

على حُطى يسوع
(من وحي لوقا ١٠)

كتابة

Stephen W Hill

ترجمة

مريم

مراجعة

أندرو

بعض المساعدة من أصدقائي

لأكثر من عقد كامل وأنا أؤرخ نمو ملكوت الله حول العالم. وبالفعل، سفر أعمال الرسل ما زال يحدث حتى يومنا هذا! لكنه غالبًا لا يكون على منابر الكنائس اللامعة، أو المؤتمرات المسيحية التي سبق التسويق لها بشكل جيد، أو الرحلات السياحية النهضويّة. إن الملكوت يحدث حيث يصلي أتباع يسوع العاديون، ويخرجون خارج مناطق راحتهم إلى أماكن غير معتادة (لكنها قد تكون بالجوار)، يخدمون ويشاركون يسوع مع الآخرين، يجتمعون ويأكلون ويتعلمون ويتكاثرون. تلك هي التحركات التي نقرأ عنها في الأصحاح العاشر من لوقا وفي سفر أعمال الرسل. هكذا بدأت الكنيسة الأولى وانتشرت في العالم القديم. وهكذا ينمو ملكوت الله في هذه الأيام.

كان "ستيف هيل *Stephen W Hill*" صديقًا ورفيقًا لي لسنين عديدة. سكب هو و"مارلين *Marilyn*" نواتهما في "أبناء السلام *People of Peace*" وفي بعض المجموعات الكنسية البسيطة على امتداد أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا الوسطى. فما يشاركونا به في هذا الكتاب ليس نظريةً، بل اختبارًا.

مارك فاندر فاود *Marc van der Woude*.

ناشر *Joelnews.org* وقائد فريق *simplechurch.eu*

...

كانت قراءة هذا الكتاب منعشة حقًا. "ستيف هيل" يجلب كثيرًا من التصحيح والتعديل لكثير من المعتقدات والممارسات السائدة في الدوائر "الكارزمية/الرسولية/النبوية". الكثير مما يتم تصديره من الغرب عبر وسائل الإعلام وشبكات التلفاز المسيحية – مُشوّه، غير صحيح، غير صحي، ومنحرف. وتأثير الإعلام الغربيّ كبير في باقي أنحاء العالم، سواء أكان ذلك للأفضل أم، كما جرت العادة، للأسوأ. كل ما هو غربيّ ليس إنجيلًا مقدسًا. بل أن بعضه كالسّم. لذلك

أُقَدِّر للغاية العقلية الرسولية التبشيرية التي لـ"ستيف" وِجْدَتَهُ النبويَّة الصافية التي تُمِغُه من أن يقول الأشياء القاسية بالضرورة بدون هجوم أو عنف جدليّ. هو يدعو بكل وضوح للعودة إلى الرسالة المبنية على بشارة العهد الجديد التي مركزها المسيح. الالتزام بتلك النصائح والتوبيخات التي يقدمها "ستيف" سوف يقي الكثيرين من الانحراف نحو تلك العقائد الشائعة الوهمية التي لا تقود لأي شيء سوى الدمار والألم والتجديف على شهادة الرب. ينبغي أن نُقال هذه الأشياء، وأنا سعيد أن "ستيف" يقولها.

ستيفين كروسبي **Stephen Crosby**، دكتور لاهوت.

خدمة اسطفانوس

www.stevencrosby.com

...

كتاب "ستيف" و"مارلين" عن الإرسالية، المبنيّ على الأصحاح العاشر من إنجيل لوقا، هو بمثابة إعلان لدعوة المسيحيين أن يكونوا عاملين في كرم الملكوت كل يوم، كما أنهم مسيحيون كل يوم. إنه يُعَلِّم، ويدرب، ويُقنع، ويُلهِم، ويُشجِّع – لكن فوق الكل هو كلمة من الرب في وقتها لهذا الجيل. وكأي كتاب تقرأه عليك أن تتناول اللحم وترمي العظام. لكن هذا الكتاب يحتوي على الكثير من اللحم.

بريان ج. دود **Brian J. Dodd**

حاصل على الدكتوراة من جامعة شيفيلد بانجلترا في دراسات العهد الجديد، أستاذ سابق وقِس لـ 25 عامًا، بعض مؤلفاته:

Praying Jesus Way_ (Inter Varsity Press, 1996)

Where Christology Began_ (Westminster John Knox Press, 1997)

The Problem with Paul_ (Inter Varsity Press, 1998)

Paul's Paradigmatic 'I': Personal Example as Literary Strategy_ (Sheffield Academic Press JSNTSS 177, 1999)

Empowered Church Leadership: Ministry in the Spirit
According to Paul_ (Inter Varsity
Press, 2003)

...

هذا الكتيب هو أفضل ما قرأت عن تقديم ملكوت الله وكلمات يسوع المُجَرِّدة من
ملامح الثقافات الغربية والمؤسسات الدينية.
حامد (تابع ليسوع، اختار البقاء وسط المجتمع المسلم)

إهداء

إلى أصدقائنا بآسيا الوسطى، الذين يسرون في ضوء هذه الحقائق.
أنتم أبطالنا وبطلاتنا.

تمهيد

شهادة من عمق النعمة والرحمة (على لسان خادمة، حديثة العهد وفعّالة في الخدمة)

أشكر الله لأنه مكنني من أن أقدم حبي له، وأن أخدمه وأمجده. وها أنا أبكي فرحًا لأن الرب قد اختارني لأشترك فيما فعله هذا العام. سنوات عديدة مرّت عليّ منذ أن سلمت حياتي ليسوع، لكن فقط في تلك السنة انفتحت عيناى لأعي حقائق يسوع العظيمة، بشأن كم أننى ابنة محبوبة لله وأن لديه خدمة خاصة لأقوم بها. في العام المنصرم كنت أصرخ للرب طلبًا لعونه لأننى كنت في احتياج. كنت قد أصبحت فاترة، وقد تلاشت بهجتى ولم يتبق لدي أي دعم روحي مما قد حصلت عليه يومًا ما. ثم قابلت الأخت راعوث التي كنت أعرفها منذ فترة طويلة. لقد اعتدنا أن نذهب سويًا للكنيسة الأبرشية¹ قبل أن أرحل لأنتقل لكازاخستان ثم لروسيا من أجل العمل. لقد تعمدت بالماء في روسيا وواصلت الانتظام في حضور الكنيسة الأبرشية.

لقد اندهشت عندما رأيت راعوث لأنها بدت بالنسبة لي في حالة من الثبات الروحي. وحينما شعرت أنها تتمتع بمقدار من الحماسة والمحبة سألتها ما إذا كانت قد رُسِمَت قسيية. أجابتنى بأنها عضوة في حركة تدعم الكنائس المنزلية وأنها قد كانت بالفعل تتحرك في هذا الأمر خارج حدود مدينتنا، وقد اشتركت في مضاعفة عدد الكنائس المنزلية في جميع أنحاء البلاد وحتى خارج حدودها. بصراحة، لقد كان لدى بعض الشكوك بشأن هذا الأمر على مدار عام كامل. كيف يمكننا ألا نجتمع سويًا في يوم الأحد وألا نستمتع لعظة القس الممسوح؟ كيف يمكن لشخص مثلي لا يملك أي معرفة روحية أن يكون مؤهلًا بالفعل لأن يفهم الكتاب المقدس وأن يتمكن من تأسيس كنيسة جديدة؟ في ذلك الحين بدأت أتردد على اجتماعاتهم من وقت لآخر لئلا ألاحظ كيف تسير الأمور هناك. لم يكن أي شخص منهم يتردد في أن يشارك الآخرين بما لديه من إعلانات أو شهادات روحية. لم يكن هناك أي عظات إلا أن شهادات الآخرين بيّنت أن كل منهم كان لديه خدمة خاصة به: منهم من كان يخدم عائلات، ومنهم من كان يتفقد الناس في القرى، يخدمهم ويساعدهم في اهتماماتهم وهمومهم الحياتية اليومية. كل ما تفوهوا به كان مؤيدًا بكلمة الله. وكانت المحبة تتدفق وتفيض منهم.

بدأت أصلي من أجل هذا الأمر. لأن الله قد وجدني عندما كنت في طريقي للهلاك ووهبني حياة جديدة مختلفة، ومن أجل هذا كانت لدى دائمًا الرغبة في أن أتواجد بين البشر وأن أشارك أخبار الإنجيل السارة معهم. وفي خلال هذا العام، شعرت مرة أخرى وأنا أستمع لشهاداتهم بقوة الريح وسمعت صوت السماء. لقد استقبلت تحررًا من الإساءات وتمكنت من الصلاة مع أختي التي كانت على وشك الموت. وكانت النتيجة أن الله شفاها!

وكانت صلاتي أن يسمح لي الله يومًا ما بأن أشارك نوره الذي زادني به مع الآخرين وهو قد سمع صراخي واستجاب لي. وفي هذه اللحظة التي أدون فيها شهادتي تلك أجدني أخدم العديد من الأشخاص. فإله قد فتح أمامي الطريق لأصل للعديد من البيوت حتى أن ثمانية منهم بدأوا يصعّون لما أقول. كما أنني أتفقد الأقارب والأصدقاء. وفي كل مرة نجتمع سويًا نقدم شكرنا لله أنه قد ألهمنا بفكرة "منازل السلام Houses of Peace" حيث اشتعلت النار الإلهية. ونحن نرفع صلواتنا من أجل ستيف ومارلين. وليبارككم الله دائمًا في كل شيء.

¹ Congregational Church طائفة تتبع المذهب البروتستانتي، وتقوم على اللامركزية حيث أن كل مجموعة كنائس بمنطقة معينة يتم إدارتها ذاتيًا. (فريق الترجمة).

مقدمة (لرفقائنا في الغرب)

لقد كُتِبَ هذا الكتيب الدراسي من أجل المجموعات التابعة لخدمتنا في آسيا الوسطى. الهدف من وراء هذه الدراسة ليس أكاديميًا نظريًا بل عمليًا. نحن نرغب في المزيد من الشهادات مثل تلك المُدونة في الصفحات السابقة. في الواقع، لم نتوقع مُطلقًا أن يتم نشر هذا الكتيب الدراسي العملي في الغرب. غير أن العديد من الأصدقاء الذين قرأوا هذا الكتيب قد سألونا عن السبب الذي يجعلنا نقضي الكثير من هذا الوقت في تناول قضية إضفاء الطابع المؤسسي على الكنائس الغربية وأساليب التعبير الكاريزماتية الجذابة للحياة الكنسية في الغرب إذا كان هذا الكتاب موجه في المقام الأول للشرق. والإجابة ببساطة لأن الطابع الكاريزماتي الغربي قد شاع في كل مكان! لقد كان من الصادم عندما كنا في بيشكك² وانتقلنا سريعًا بضغطة زر بين عشرين محطة تليفزيونية مسيحية تُبث مجانًا عبر القمر الصناعي لنجد أن كل محطة منهم كانت تبث العظات الأمريكية الخاصة بإنجيل الرخاء Prosperity Gospel التي تقدم امتياز الزعامة والسلطة والنفوذ على أنه النموذج الذي يجب أن يُحتذى به.

وقد تكون على دراية بأن كل مركز في الإتحاد السوفيتي المتفكك قد شهد ظهور كنائس كاريزماتية كبيرة مستقلة أثناء التسعينات. لكنك قد لا تعلم أنه قد انتهى أمر العديد من تلك الكنائس خلال هذا العقد الأخير. لماذا؟ السبب هو أن معظم تلك الكنائس قد قدمت نمطًا للزعامة مبنياً على السلطة والنفوذ والحظوة والسعادة، نمطًا لا يختلف إلا قليلاً عن قادة عالم السياسة وعالم الجريمة.

وقد كنت مؤخرًا في إحدى المدن الرئيسية في أوكرانيا، وبعد ذلك في مدينة من مدن جمهورية أرمينيا. في كلتا المدينتين كان يمكننا أن نرى الضوء الوامض المنبعث من الهواتف الخلوية التي في أيدي الشباب القابع في الشوارع لا يفعل شيئًا. الشقق صغيرة ومزدحمة. وهم لا يملكون المال لكي يذهبوا للأندية والمقاهي. فنجدهم يتسكعون في الشوارع والحدائق العامة طوال الليل.

لقد سألت نفس الأسئلة في كلتا المدينتين، "كيف يمكننا أن نستفيد من مثل هؤلاء الشباب اليافع في بناء الملكوت؟ بدلاً من إضاعتهم لوقتهم متسكعين بلا فائدة في الأسواق." ولقد قدم لي مضيفي في كلتا المدينتين نفس الإجابة، "إن ذلك الأمر يكاد يكون مستحيلًا. فمعظم هؤلاء الشباب قد أُقبل فيما مضى على الكنائس ولكنهم غادروها من الباب الخلفي دون أن يهتم بهم أحد."

يقول الكثيرون أن هناك نهضة روحية قد حدثت في أوكرانيا خلال التسعينات. ونحن بدأنا المشاركة المكثفة هناك في ١٩٩٨. كان هناك العديد من الاجتماعات الكرازية والكثير من إقرارات الإيمان. ولقد أخبرني البعض أن العدد الكلي لإقرارات الإيمان الذي قد أُعلن بواسطة كل الهيئات الخدمية التي تعمل في أوكرانيا قد تجاوز خمسة أضعاف العدد الفعلي للسكان! وقد أخبرني آخرون أيضًا أن عدد إقرارات الإيمان في روسيا يساوي عدد سكانها. لم أتمكن من التحقق من صحة تلك الأرقام ولكن بالفعل قد تم الإبلاغ عن العديد من إقرارات الإيمان. غير أن يسوع لم يأمرنا قط أن نحصي عدد بطاقات إقرارات الإيمان. لقد أوصانا بأن نربح له تلاميذ.

² Bishkek مدينة تقع في قارة آسيا، وهي عاصمة كيرغيزستان (ف. ت.).

نعم، إن الشباب يأتون إلى الاجتماعات لكن حضور الاجتماعات لا يجعل من الإنسان تلميذًا. حضر هؤلاء الشباب الاجتماعات وأدركوا كيف تجري الأمور. ولا بد أن العديد منهم قد رأى أن هناك فرقًا طفيفًا بين الدين المنظم والجريمة المنظمة (باستثناء أن المافيا لديها مطاعم أفضل!) إن "إنجيل" قديم أموالك أولاً من أجل أن تفوز بالثروة لاحقًا يعمل جيدًا لمصلحة القادة. فهم يمتلكون البيوت والسيارات الفارهة. لقد قاموا ببناء مباني كنسية متكاملة رائعة مليئة بالمكاتب الفاخرة. لكن هذا الأمر لا يعمل جيدًا لصالح الأشخاص الذين يقدمون أموالهم. إنهم لا يزالون فقراء.

إذا توجهت لقرية صغيرة وفقيرة فمن المرجح أن تجد مجموعة صغيرة العدد تُقاد في العبادة من قِبَل فريق يستخدم الطبول الإيقاعية والجيتارات الكهربائية. ذلك كان ما لاقينته في الحي الغجري في بلغاريا. فالبشر الذين يجدون صعوبة في إطعام أنفسهم ينفقون الأموال في أنظمة الصوت والجيتارات الكهربائية حتى يتمكن اثني عشر شخصًا من الحصول على فترة عبادة هي أشبه بموسيقى الروك؟ لقد سألتهم، "لماذا تتصرفون على هذا النحو؟"

أجابوا بأن "هذا هو ما نشاهده على محطات التلفاز التي تُبث من أمريكا." هذه هي قناعتني: أن هذا القدر الكبير من التعبير الغربي الكاريزماتي عن ملكوت الله، والذي قد تم تصديره لجميع أنحاء العالم، هو عبارة عن بدعة تتمركز حول الزعامة/بناء الشخصية والمال. وأحد أهداف هذا الكتيب الذي تقرأه هو نزع تلك الأوثان من تعبيرنا عن ملكوت الله. نحن بحاجة لأن نكون قادرين على الصمود في وجه المؤسسات الكنسية، الأصنام، والاضطهاد. نحن نرغب في أن نرى إرساليتنا تتم على غرار ما أوصى به يسوع. نرغب أيضًا في أن نرى جماعة من التلاميذ كما خطط وقصد لها يسوع أن تكون. الكنيسة التي عهدناها³ يجب أن تفسح مجالًا للكنيسة كما يريد لها يسوع، وكما يؤيدها يسوع.

إذا كنت تبحث عن مثال لشيء أصبح واقعه مناقضًا تمامًا لقصد مؤسسها، فلن تجد مثالًا أفضل من المؤسسة الكنسية. فالذي قُصد له أن يكون أساس رباط الأخوة والصدقة قد أصبح عبارة عن تسلسل هرمي كنسي بيروقراطي.

³ See, Pagan Christianity: The Origins of Our Modern Church Practices, Frank Viola (Bradon, FL: Present Testimony Ministry) for a scholarly expose of the pagan origins of church as we have known it.

مقدمة (لرفقائنا في الشرق)

شرفٌ لي أن أقدم هذه المادة الدراسية لكم. دعوني أبدأ بالإقرار بأن الكتاب المقدس، من الناحية الحضارية، هو كتاب شرقي. وأن يسوع كان رجلاً شرفياً. الخلفية الثقافية للكتاب المقدس كانت عبرانية وليست إغريقية، والخلفية الجغرافية كانت الشرق الأوسط وليس أمريكا الشمالية. وبالتالي، فأنتم كشرقيين أكثر قدرة على فهم وإدراك ما كان يسوع يُعلم به أكثر مما يمكنني أن أفعل.

ومع ذلك، دعوني أستغل ميزة كوني من الغرب لكي أؤكد على شيء واحد: "لا تفعلوا بالكنيسة كما فعلنا نحن في الغرب بها على مدار مئات الأعوام السابقة. فهذا الأمر لم يفلح تمامًا بالنسبة لنا، فلماذا نتوقع نجاحه مع أي شخص آخر؟"

من الناحية التاريخية، كنا نميل للبدء بالطريقة التقليدية عن كيفية بناء الكنيسة (قائد، جماعة مصلين، مبنى كنسي، خدمات الوعظ الأسبوعية، الصلوات الداعمة، المجموعات الصغيرة) ثم بعد ذلك كوثًا مفهومنا عن الإرسالية من ممارستنا في الكنيسة. مثل تلك الممارسات التي يكون لها مكان خاص وزمان محدد حيث تحدث أمور استثنائية بواسطة شخص مميز، أمور لا تستطيع القيام بها بنفسك وعليك أن تدفع المقابل لهذا الشخص المميز كي يفعلها لأجلك، تلك الأمور هي العلامة المميزة لجميع الديانات في جميع أنحاء العالم. لذلك بدأنا بالتقليد الديني.

عندما نبدأ بكيفية تأسيس كنيسة، يصبح كل ما نفهمه عن الإرسالية هو فقط محاولة جلب الناس لحضور الاجتماعات ودعم برنامج الكنيسة بالمواظبة على التواجد داخل مبانيها مع العمل التطوعي والتبرع المادي. هذا لا يمت للإرسالية بصلة.

في أسوأ الحالات، يُعتبر هذا الأمر نوعًا من التسويق يستهدف الأشخاص المسيحيين لحملهم على المجيء إليك بدلًا من أن تقام الكنيسة للجميع على قارة الطريق.

وفي أفضل الحالات، فهؤلاء مجموعة من الأشخاص المخلصين والمتفانين يقومون بكل ما في وسعهم من أجل خدمة مجتمعاتهم المحلية بالطريقة التي اعتادوا بها القيام بذلك.

في هذا السياق، نرى أن التلمذة تتحول لتصبح عبارة عن تلقين الشعب الاختلافات العقائدية وبناء السلطة لطائفة بعينها. وهذا التلقين يشمل بالطبع كل ما يميز تلك الطائفة ويجعلها تبدو أفضل من كل الطوائف الأخرى. وبعد كل ذلك، يعتقد الأفراد كل تلك الأشياء التي يتم تلقينهم إياها ويمارسونها لأنها الحق والصواب، وأي شخص آخر - إن لم يكن مُخطئًا - فهو على الأقل ليس على صواب بمقدارهم.

الأمر الذي لا يساعدنا كثيرًا على معاينة يسوع وتلاميذه كجسد واحد أو على رؤية يسوع وملكوته. ولكي نصيغ ذلك في كلمات رنانة، نبدأ بعلم الدراسات الكنسية⁴ (كيف يمكننا أن نؤسس كنيسة) ثم ندع ذلك يشيخ مفهومنا عن علم الإرساليات⁵ (كيف يمكننا أن نقوم بإرسالية) ونعتمد على أن الجموع بالتأكيد سيصلها خلال كل ذلك شيء ما عن يسوع بطريقة أو بأخرى (كرستولوجيًا⁶). هذا يعني أن مفهوم الكنيسة

4: Ecclesiology كل ما يتعلق بالكنيسة، بدءًا بالهندسة المعمارية للكنيسة وزينتها، وصولًا إلى العقائد اللاهوتية المتعلقة بالكنيسة. (ف. ت.)

5: Missiology دراسة كل ما يتعلق بإرسالية الكنيسة خاصة ما يتعلق بالنشاط التبشيري. (ف. ت.)

6: Christology دراسة شخص يسوع وطبيعته اللاهوتية والناسوتية وأعماله. (ف. ت.)

والإرسالية سوف يتشابه إلى حد كبير في كل ثقافة باستثناء الاختلافات الطائفية التي للأسف تنتهي لأن تكون أكثر ترسخًا في دول العالم الثاني والعالم الثالث من دول العالم الأول. ويُنسب لألبرت أينشتاين⁷ هذا القول، "الجنون، هو فعل نفس الأمر مرارًا وتكرارًا مع توقع نتائج مختلفة." وسوف أستخدم قولاً آخر، "إذا فعلنا دائمًا ما اعتدنا أن نفعله، فسوف نتحصل على ما حصلنا عليه دائمًا." ونحن بكل حماقة نفعل ما اعتدنا أن نفعله دائمًا بينما نتضرع من أجل حدوث نتيجة مختلفة. ماذا سيحدث إذا بدأنا من يسوع؟ ماذا سيحدث إذا تركنا يسوع يوجه ويقود إرساليتنا ثم تركناه يشيد كنيسته؟ ماذا عن بدء الترتيب بمعرفة يسوع وما قام به (الكرستولوجي Christology)، مرورًا بدراسة ما يتعلق بالإرساليات (Missiology)، وصولاً إلى معرفة الأمور الكنسية (Ecclesiology)⁸؟ ماذا لو أن يسوع هو الذي يوجه ويقود الإرسالية بطريقة مختلفة في مختلف الحضارات وأن الكنيسة التي يبنينا تبو مختلفة باختلاف الثقافات؟

إن استكشاف هذا الأمر في نور كلمات يسوع المذكورة في لوقا ١٠ هو الغرض من وراء هذا الكتاب. عندما ننظر إلى كلمات يسوع من خلال عدسة قوامها مئات السنوات من بناء طابع مركزي وهرمي للكنيسة، نجد أننا قد قولنا كلماته لتلائم مع هذا البناء الذي شيدناه. لقد انتفعنا من استخدام كلمات يسوع لكي ندعم ونؤيد تقاليدنا الدينية وما كنا نمارسه بالفعل. والذي هو أن نبقي دائمًا عالقين في تلك الصورة التي لطالما عرفناها عن الكنيسة.

كيف يجب أن تكون الكنيسة التي يتوق إليها يسوع؟ ما الذي سيحدث لو حاولنا أن نتدبر أمر الكنيسة من خلال أقوال يسوع وقدوته؟

ربما إذا أطعنا ما أمرنا به يسوع وربحنا له تلاميذ (أي دربنا الأمم على أن يفعلوا كل ما أمرنا يسوع بفعله)، سوف يحقق لنا يسوع ما وعدنا به ويبنى كنيسته (بأن يقوم يسوع بنفسه بتوجيه وإرشاد أعضاء جسده فيكون الرأس والقائد الحقيقي للجسد بدلًا من كونه الرأس الشكلي له)؟

ماذا لو انطلقنا من الإرسالية كما نفذها يسوع وأوصى بها؟ ندعوكم للسير معنا عبر الوصايا والتضمينات التي لأقوال يسوع في لوقا ١٠.

⁷ ألبرت أينشتاين Albert Einstein: عالم فيزياء ورياضيات شهير، ألماني المولد، حائز جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٢١. (ف. ت.)
⁸ Steve Chaulk, "Intelligent Church", page 29, ISBN-13:978-0-310-24884-2.

الفصل الأول

معضلة الفعلة

"فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْحَصَادَ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّ الْفَعْلَةَ قَلِيلَةٌ... (لوقا ١٠: ٢)

١- آفة القلب

عندما قارن يسوع بين ضخامة الحصاد وندرة الفعلة، لم يذكر حينها السبب وراء قلة الفعلة. مع ذلك، فالجربة تُبين أن أغلبية الفعلة المسيحيين متكدسون في الأماكن الأكثر تبشيراً بالإنجيل من العالم في حين أن الأماكن التي بها العدد الأقل من المؤمنين بها عدد الفعلة الأقل. قد يكون مقابل القيام بهذا هو التضحية بشهوتنا في الحماية المضمونة، المكانة الاجتماعية، الراتب الجيد، الراحة والرفاهية والعيش الآمن، وذلك نظراً لأن غير المؤمنين لا يستطيعون توفير أي من تلك الأمور لنا! في كثير من الأحيان يكون الحصاد عملاً خَطراً ووعيصاً وتدبيره على نفقتك الخاصة! هذا قد يشير إلى المشكلة التي تنخر في قلب الفاعل. وأنا أحياناً أشعر أننا نذهب فقط إلى هذا الحد في سعينا وراء الله. فنحن نتبعه إلى الحد الذي يكفيننا لنشعر بحبه لنا، ونميز غفرانه لنا، ونختبر شفاؤه، باختصار، أن نكون في حال أفضل، لكننا لا نسير وراءه بعيداً بما فيه الكفاية ليستخدمنا قلب الله حتى الذبول من أجل الأمم والأصاغر. الله محبة ولكنه ليس لطيفاً، كما أن محبته جامحة، خَطرة، غير محدودة ولا تعرف الخوف. والحصاد عموماً عمل شاق لكن من الممكن أن يكون أيضاً عملاً كثير الأخطاء محفوفاً بالخطر. ويجب أن تتسع قلوبنا لتحتوي كل تلك الأمور، ويمكن لقلوبنا أن تصير على هذا النحو بأن تتوحد مع قلب الله. نحن بحاجة أيضاً لأن نكون على دراية بالأمور الروحية الخاصة بحركة العصر الجديد⁹ وسعيها الحثيث وراء الاختبارات الروحية في حد ذاتها، كمواد استهلاكية. فعندما تشيع طريقة التفكير تلك، سنتفصل الحياة الروحية انفصالاً تاماً عن المسؤولية التي تقع على عاتق الفرد تجاه الآخرين وعن طاعة ذوي الخبرة والتجربة. في العهد الجديد لم تنفصل تلك الأمور على الإطلاق. فاختبار الروح القدس هو الدافع للحياة التي أقرها الأب ليسوع من خلال الطاعة القصوى.

"لِكِنِّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا (شهداء) فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَهْصَى الْأَرْضِ." (أعمال الرسل ١: ٨)

العهد الجديد مليء باللقاءات الروحية المثيرة غير المتوقعة، لكنها لم تحدث لأن القديسين الأوائل سعوا وراءها في حد ذاتها. ولا يوجد أي إشارة في العهد الجديد لكون الرسل قد قاموا بتعليم القديسين كيفية التوجه للسماء الثالثة، أو كيفية ملاقات الملائكة أو حتى كيفية التعرف على صوت الله. وهناك العديد من الهيئات الخدمية في الغرب التي تقوم على أساس فكر القائد الذي يدعي أنه قادر على تعليم الآخرين كيف يختبرون تلك الأمور. إنهم يتحدثون عن ذهابهم للسماء الثالثة بنفس عدم الاكتراث الذين يتحدثون به عن ذهابهم

⁹ New Age هي حركة روحانية شبه دينية غربية نشأت في النصف الثاني من القرن العشرين. وتتناول تعاليم الحركة الرئيسية الأمور الميتافيزيقية والروحانية الشرقية والغربية وخطتها بعلم النفس والطب البديل وبحوث الوعي الداخلي والفيزياء الكمية في سبيل خلق روحانية بدون حدود أو عقائد. (ف.ت.)

لمطعم ما، وهذا ما يبرهن لنا أنهم لم يذهبوا لأبعد من خيالهم الشخصي. ولا يمت هذا التعليم إلى الكتاب المقدس بصلة.

هل يختبر الحضور في تلك الاجتماعات أيًا من تلك الأمور؟ نعم، العديد منهم يختبر مثلها، لكن، ما الذي يختبره مثل هؤلاء؟ يمكن لتأثير الحشد، الإيحاءات النفسية والضحيج الذي يدغدغ الأحاسيس أن يولد المشاعر الجارفة ويقود لتوهم حدوث الاختبارات الروحية الحقيقية كما قال لي احد الأمرنمين المشهورين أنني أستخدم الآلات الإيقاعية لأنها تلعب على الإرادة فأستطيع تحريك إرادة جماعة العابدين لما أريده- إضافة من المراجع-). فحقيقة أن شخصيات العهد الجديد كانت لديها اختبارات روحية خارقة للطبيعة لا تُفقد بالضرورة أن علينا نحن أيضًا أن نسعى وراء مثل تلك الاختبارات في حد ذاتها. والعديد من المؤتمرات الخاصة بالخدمات الكاريزماتية والخدمات التي تُبث عبر شاشات التلفاز لا تمت للكتاب المقدس بأي صلة. فآيات الكتاب المقدس تُستخدم بطرق غريبة لم يتم التطرق لها في العهد الجديد. وهذا هو الضلال الذي حاربه الكنيسة الناشئة عندما بدأ البعض في ادعاء امتلاكهم لخبرات روحية ومعرفة استثنائية، وعلّموا أن تلك الأمور الخاصة هي ضرورة حتمية للخلاص. وقد سُمي هؤلاء المعلمين بالـ "الغنوسيين". لقد رَفَعُوا أن قدر تجاربهم الروحية فوق التعاليم الأولية البسيطة المباشرة للكتاب المقدس.

لقد قَدَّب يوحنا الرسول الطاولة على الغنوسيين -أخذًا في اعتباره رؤياهم الجديدة - عندما دون (1 يوحنا ١: ٤-١) مُقَادًا بالروح القدس: "الَّذِي كَانَ الْهَيَّو، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَى نَاهُ يَعْبُونَنَا، الَّذِي شَاهَدْنَا، وَلَمَسْتُهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِاللَّهِ الْأَبَدِيِّ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الْأَبِ وَأُظْهِرَتْ لِلدُّنْيَا رَأَى نَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرَكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرَكُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الْأَبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَنَكْتَبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ يَكُونَ فَرْحُكُمْ كَامِلًا."

الأمور التي كانت منذ البدء، الأمور التي اختبرها الجميع، تجلب الفرح الحقيقي والرفقة المخلصة مع الآخرين. هذه العلاقة مع الله ستؤول في حد ذاتها لعلاقة أصيلة مع الآخرين. لقد كان الرسول يوحنا واضحًا بشأن النتيجة الفعلية المترتبة على العلاقة مع الله؛ أن يحب ويخدم أحدنا الآخر. في العهد الجديد، لم يكن هناك من يسعى وراء اختبارات ملاقاته الله بدون طاعة لله أولاً. لقد كانوا يختبرون اللقاءات الخارقة للطبيعة مع الله والتدخلات المعجزية له عندما كان يتم اختبارهم بالمشقة والمعاناة ليطيعوا السيد. على سبيل المثال، ربما أتفق مع كثيرين ممن يعتقدون أن اختبار السماء الثالثة الذي اجتازه بولس الرسول قد وقع عندما تم رجمه وثرثك ليموت خارج لسترة (أعمال الرسل ١٤ : ١٩). الأمر الأساسي الذي علّم به بولس هو أن نكون عاملين سويًا مع الله! لم يناد بولس بأن نكون ساعين بتلهف وراء الاختبارات الروحية في حد ذاتها. علينا أن نكون هؤلاء البشر الذين يعلمون أنهم ماتوا عن الخطية والأنانية في المسيح ولذلك فنحن أحرار لأن نقدم أنفسنا كذبيحة حية له. الغرض من وراء حياتنا هو أن نسير وراء السيد ونتبعه للبيت التالي، القرية التالية أو حتى البلد المجاورة. إننا نسير في صحبته.

٢- معضلة التدريب.

من المحتمل أن يكون التدريب التقليدي أيضًا مشكلة. لقد أصبح من الواقعي اعتبار أنه كلما زادت عدد سنوات التعليم اللاهوتي التي يحصل عليها الشخص، قل احتمال أن يقود هذا الشخص الآخرين في أي وقت ليتبوا يسوع. في الواقع، إن معاهد دراسة الكتاب المقدس والمعاهد اللاهوتية التقليدية لا تُعد القوّة الحقيقية الذين ابتغاهم يسوع. مثل تلك المعاهد والكليات تُدرّب مهنيين يحترفون فن تنمية المؤسسات

والحفاظ على وجودها. وهؤلاء الفعلة المُدرِّبين بهذا الشكل، الذين يثبتون نجاحهم فيما بعد في رؤية العديد من الأشخاص يصبحون تابعين ليسوع، يشهدون أنه كان عليهم أن يتناسوا كل ما تعلموه في المعاهد اللاهوتية لكي يفلحوا في أن يكونوا هم أنفسهم تابعين ليسوع أولاً ثم بعد ذلك يصبحوا معلمين للبشر وقادة لهم في ذلك.

ثمة أمر بديهي آخر وهو أنه كلما زادت المسافة الجغرافية التي يقطعها المتدرب بعيداً عن منطقتة وبيئته الأصلية من أجل التدريب، قلَّ احتمال عودته في أي وقت لخدمة تلك المنطقة. لا يعول على هذا الأمر كثيراً في الثقافة الغربية ولكن هذا الأمر يعني الكثير في حالة ما إذا أخذت شخصاً ما من دول العالم الثالث وقمت بتدريبه في مناخ غربي، أو إذا أخذت شخصاً ما من دول العالم الثالث له خلفية ثقافية ريفية وقمت بتدريبه في الحضر. مرة أخرى، مثل هذا التدريب يميل لأن ينتج أشخاصاً ينظرون للحصاد كمهنة يرتزقون من ورائها ويرغبوا فيما بعد في مستوى معيشة مغالى فيه. لكن هذا الأمر لا يؤهل لنا فعلة راغبين ومستعدين للانخراط في العمل الشاق الذي يستلزمه الحصاد وللعيش في نفس نمط الحياة الخاص بحقل الخدمة. يتم تدريب الفعلة في الحقل نفسه!

لقد درب يسوع تلاميذه (فعلته) في مكان خدمتهم. ولا يوجد لدينا طريقة أفضل من تلك! درب يسوع صيادي سمك ومزارعين في حقل الخدمة الفعلي ليكونوا صيادين للناس. لم يكن يسوع شغوفاً بتدريب أشخاص يحترفون العمل الديني. وهو قد وبخ بشدة، ولعن الذين امتهنوا الدين في عهده (متى ٢٣ هو قراءة مقارنة عن هذا الأمر) وهو قد يفعل نفس هذا الأمر أيضاً في أيامنا الحاضرة.

لقد تحدث يسوع عن التدريب العملي في (يوحنا ٧: ١٧) "إِنْ شَاءَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ مَشِيئَتَهُ يَعْرِفُ الدِّعْمَ، هَلْ هُوَ مِنَ اللَّهِ، أَمْ أَتَكَلَّمُ أَنَا مِنْ نَفْسِي." فنحن نتعلم القيام بالأشياء من خلال ممارستها! كما أن الانضباط، الإيمان والنضال من أجل أن نعمل مشيئته سوف يؤدي إلى اتضاع قلبي عميق داخلنا واتكال كامل على الله. أما جمع وتنسيق المعلومات، والبحث وراء الموضوعات المختلفة وامتلاك المعرفة عن العقيدة واللاهوت والحق الكتابي، من الممكن أن تؤدي إلى الغطرسة الأكثر خبثاً في حياة الإنسان كما يتضح من تصريح الفريسيين في (يوحنا ٧: ٤٩) "وَلَكِنَّ هَذَا الشَّعْبَ الَّذِي لَا يَقَهُمُ التَّامُوسَ هُوَ مَلْعُونٌ." وتحدث يسوع أيضاً عن "التدريب الميداني العملي" في (متى ٨: ٢٠-١٩) في وصيته الأخيرة لأتباعه بتلمذة الأمم عن طريق "وَعَلِّمُوهُمْ بِحَفْظِ مَا أُوصِيْتُكُمْ بِهِ." إن أسوأ الأمور التي قد نقابلها في معاهد التلمذة هي تدريس الاختلافات العقائدية والاختلافات الموجودة في الهيكل التنظيمي للسلطة الكنسية لتلك الطائفة - التابع لها هذا المعهد - عن باقي الطوائف الأخرى. هذا الأمر يُنشئ انفصلاً تدريجياً لتلك المجموعة عن باقي جسد المسيح ويمنحها شعوراً بالتفوق والتعظيم نظراً لاعتقاد أفرادها الواضح في أن ما يؤمنون به ويعيشونه هو الأفضل على الإطلاق!

في المقابل لذلك، نجد وصايا يسوع تتطرق لتشمل السعي للكمال في العلاقات عن طريق الغفران للآخرين وإعادة وصل العلاقات المقطوعة معهم ومن ثمَّ خدمتهم من خلال علاقات أمينة صادقة. الأمر المحوري هنا هو أن مداواة القلوب وإلتئام العلاقات لا يحدثان عن طريق تصحيح العقائد التي يؤمن بها الإنسان. فلأسف، غالباً ما يكون أكثر الأشخاص موهبةً وذكاءً هم أشدهم فقراً من جهة العلاقات. إن الاستعلاء الفكري ليس الأساس الجيد لحسن المعاملة الذي يجب أن تُؤسس عليه العلاقات! وقد لاحظ بولس الرسول - وهو يُعد واحداً من أكثر الأشخاص المتعلمين في أيامه - في (١ كورنثوس ٨: ١) أن " الْعِلْمُ يَنْفُخُ، وَلَكِنَّ الْمَحَبَّةَ تَبْنِي."

أيهما تفضل أن تكون - شخصًا يتحدث عن المعجزات أم شخصًا تحدث بواسطته المعجزات؟ شخصًا يتحدث فقط عن محبة الله أو شخصًا يمكنه أن يحتوي غيره ويتقبله بسرور، ويقدم محبة الله نيابة عنه للآخرين؟ سوف نُعرف في ملكوت يسوع من ثمارنا، ليس من خلال قدر المعلومات الذي أتقنا تحصيله. لن يكون هناك مجال لتعليق شهادات دراساتنا العليا على جدران ملكوت الله. لقد عهد يسوع بملكوته "للعاميين وعديمي العلم". فلماذا نظن أن لدينا سبيلًا أفضل من ذلك لتتبعه؟

'فَلَمَّا رَأَوْا مُجَاهَ رَءَ بَطُّوسَ وَيُوحَنَّا، وَوَجَدُوا أَنَّهُمَا إِنْسَانَانِ عَدِيمَا الْعِلْمِ وَعَامِّيَانِ، تَعَجَّبُوا. فَعَرَفُوهُمَا أَنَّهُمَا كَانَا مَعَ يَسُوعَ.' (أعمال الرسل ٤: ١٣)

مظهر آخر لخطأ إقامة التدريب بعيدًا عن موقع الخدمة يتمثل في القائد الكاريزماتي الناجح الذي يفتح مدرسة للتدريب على الخدمة. حيث يتم التركيز على تدريب الدارسين على القيام بنفس الأمور التي يقوم بها القائد في خدمته الفعلية، مثلاً، الشفاء. هذا يبدو جيدًا ظاهريًا. يبدأ الدارسون في التدفق على هذه المدرسة من جميع الأماكن التي يقوم القائد أو مساعديه بخدمتهم فيها. وفي الغالب سنجد أن من يحضر تلك المدارس الخاصة بالخدمة هم الأشخاص الأكثر تكريسًا والأشد جوعًا لملكوت الله. ومن المرجح أن يكون الجو العام في المدرسة وفي الكنيسة المركزية مثيرًا ومشجعًا ومغيّرًا للحياة. فما المشكلة إذن؟ ليس هذا هو ما قام به يسوع أو حتى ما أوصانا بفعله؛ فذلك سيكون هناك مشاكل! إن أفضل الأشخاص هم من يأتون ليتلقوا التدريب. ويزداد عدد الدارسين في تلك المدرسة التابعة للخدمة وتبدأ احتياجاتها الخاصة في الظهور للعيان - احتياجات لموظفي إدارة، معلمين، مرشدين ومساعدين شخصيين. ما يحدث بعد ذلك هو أن العديد ممن أرسلوا للتدريب في تلك المدرسة يبقون في العمل داخل المدرسة. ولا يبارك مركز الخدمة المجتمعات المحلية التي أرسلت أفضل أبنائها وبناتها من أجل أن يتدربوا، لا يبارك المجتمع بإرسال الدارسين المدربين إلى نطاق الخدمة المحلي الذي يحتاج للحصاد، لكن بدلاً من ذلك تُبقي مثل تلك المدارس على أفضل المتدربين للعمل داخلها. ونتيجة لذلك لا يتوفر في مجالات الخدمة المحلية التي تنتظر الحصاد عدد أكبر من الحصادين بل أقل بسبب المدارس التابعة للخدمات.

وتعتبر المؤتمرات من ركائز تلك الخدمات، حيث يحضرها القساوسة، القادة أو أي شخص يتمكن من الحضور برًا أو بحرًا أو حتى سيرًا على الأقدام. عليك أن تتواجد هناك دائمًا إذا أردت أن تكون شخصًا ذا أهمية فيما يتعلق بالنشاط الرئيسي للخدمة! تتركز خدمات الوعظ والصلاة حول النهضة والحصاد. يا له من أمر رائع! رائع؟ سينفق القادة أموالًا طائلة كل عام على المؤتمرات في حين يستثمرون القليل أو لا شيء في مدنها الداخلية المعزولة عن كل تلك المؤتمرات الصاخبة.

ماذا سيحدث لو تم استثمار الوقت والأموال - المُنفقة سُدى في المؤتمرات - في خدمة المشردين، الفقراء، المسجونين، المدن المعزولة واللاجئين؟ ماذا سيحدث؟ الحصاد الذي يعطون عنه ويصلون لأجله قد يحدث على أرض الواقع.

لقد تفاجئنا في آسيا الوسطى عندما وجدنا أشخاصًا قد أنهوا ما يصل لثمانية مقررات تدريبية تخص دراسة الكتاب المقدس من العديد من المنظمات الإرسالية. لماذا يود البعض أن يظلوا للأبد تلاميذ يستمعون لنفس التعليم مرارًا وتكرارًا؟ لماذا عليهم أن يسعوا لتحصيل معرفة إضافية أبعد مما لديهم؟ في بعض الأحيان تكتمل عملية التدريب بمنح المتدرب الطعام والسكن، ويُعد هذا عامل جذب قويًا في الثقافات الفقيرة. في أحيان أخرى تؤدي خبرة التدريب إلى فرصة للاتصال بين المتدرب ومنظمة الإرسالية، وقد يترتب على ذلك توفير وظيفة مدفوعة الأجر له داخل المنظمة - وهذا عامل جذب قوي آخر!

يجب أن تكون على يقين بأن مختلف الإرساليات لا تُخبر داعمياها أن أغلبية الطلبة في مدرسة الكتاب المقدس الخاصة بها قد أتموا بالفعل من قبل مناهج دراسية أخرى في العديد من المدارس الطائفية المنافسة. أنا واثق من أنهم يضعون في تقاريرهم الخاصة بذلك الأمر أعداد الأشخاص الذين يقومون بتدريبتهم فقط لكي يصبحوا "قادة الأمة في المستقبل".

لماذا يتصرفون بمثل تلك الطريقة؟ لقد تدرّب قادة تلك الإرساليات أنفسهم في مدارس للكتاب المقدس. وإدارة مدرسة للكتاب المقدس هو كل ما تعلموا القيام به. لقد تعلموا كيفية تدريب محترفين من أجل وظائف في الإطار المؤسسي. لم يتعلم مثل هؤلاء القادة كيفية تويب فعلة من أجل الحقول الجاهزة للحصاد. يكمن نجاحهم في كيفية جعل العديد من راغبي الدراسة يلتحقون بهذا البرنامج. إنهم يحصون عدد الشهادات التي منحوها للدارسين. لكن لا يمكنهم معرفة عدد التلاميذ الحقيقيين من بين هؤلاء الذين تسلموا الشهادات. ومن حسن الحظ أن بعض الدارسين يسأمون من ذلك الجو الصاخب المليء بالنشاط الذي يحيط بهم ويقررون ببساطة إتباع يسوع ويستمرّون في القيام بالعمل. ومع ذلك، فحتى بعض البرامج التقليدية قد تم تغييرها. لقد سمعت عن العديد من المدارس التي لا تسمح للطلاب بالتخرج إلا بعد أن يخرج للمجتمع، ويُعدّ اثني عشر فردًا ويُؤلف منهم جماعة من أتباع يسوع. الحقيقية البسيطة الواضحة هي أن أي مؤسسة أو أي هيكل تنظيمي للسلطة ينشأ دخيلاً على الكنيسة المحلية سوف يصبح في نهاية المطاف عدواً لها.

فتلك المؤسسات تمتص الموارد المالية والبشرية وتصبح رأساً للكنيسة المحلية بدلاً من يسوع. وتصبح أيضاً تلك المراكز - التي يتم بها هذا التعليم والتدريب الذي يُفترض أنه لقادة الكنيسة في المستقبل - مصدرًا من مصادر الهرطقات. تُعبر هذه الكلمة عن حقيقة 'ضد المسيح AntiChrist'، والذي يتمثل في أي مؤسسة، هيكل تنظيمي أو أي شخص يحط من قدر المكانة التي ليسوع أو ينكرها بالنسبة لكونه الرأس الوظيفي للفعال لكنيستته والواحد الوحيد الذي يُلهم ويوجه ويرشد شعبه.

و 'ضد المسيح' هذا ليس شخصاً واحد من المزمع له أن يأتي ويهاجم الكنيسة لكنه روح تعمل بالفعل وتخرّب في الكنيسة، كما يقول الرسول يوحنا في (1 يوحنا ٢: ١٨-٢٣). وتتميز التجليات الخاصة ب'ضد المسيح' بأنها تخرج من الكنيسة، وأن أبرز أذوباتها هو إنكار أن يسوع هو المسيح. وأنا لا أعتقد أن يوحنا كان يشير للإنكار اللفظي لكون يسوع هو المسيح، لكنه كان يُلمح للإنكار الفعلي لسيادته وسلطانه وربوبيته على كنيستته. نحن نعترف بسيادته وسلطانه وربوبيته بأفواهنا لكننا نتخذ جميع قراراتنا بأنفسنا مختزلين إياه بذلك إلى رأس رمزي بدلاً من كونه الرأس الحقيقي لكنيستته.

ومع ذلك، فقد انتشرت حول العالم في العشرين عامًا الأخيرة حركات ضخمة لتأسيس الكنائس، كانت مُكرسة لتدريب الفعلة على الحصاد في الحقل نفسه. هذا ما فعله يسوع تمامًا. وقد وثّق ديفيد جاريسون David Garrison هذا الأمر في "10 Church Planting Movements". فقد شاعت حركات التلمذة بين مجموعات البشر التي تعذر الوصول إليها فيما مضى وفي المناطق التي تم وصفها بأنها "أرض صخرية"¹¹، وأحد أسباب هذا يكمن في التدريب الفعال الذي حصل عليه الفعلة.

¹⁰ www.churchplantingmovements.com.

¹¹ يقصد هنا الأرض الصخرية التي ذُكرت في مثل الزارع. (ف. ت.)

يتم تلمذة التلاميذ الجدد بواسطة التلاميذ القدامى. أما برامج وفعاليات المنظمات الكنسية فلا تُنجم التلاميذ. أنها تُنتج أشخاصاً يعرفون كيف يديرون البرامج وكيف ينظمون النشاطات الاجتماعية. وحين ننظر ليسوع نجد أنه قد صرف الجموع وقضى حياته منغمساً بكل أعماقه مع اثني عشر تلميذاً. إن البنية التحتية الأساسية لمكوت الله هي العلاقات الإنسانية.

٣- معضلة الرؤية أو إلقاء اللوم على الحصاد.

نقرأ في الإصحاح الرابع من إنجيل يوحنا قصة المرأة السامرية التي كانت عند البئر. وفي العادة، يحتقر اليهود السامريين وينظرون إليهم على أنهم عرق مُرتد مُختلط، حيث كان اليهود يفضلون الالتفاف حول السامرة أثناء سفرهم بدلاً من المرور عبرها، لكن يوحنا يدون لنا في الآية الرابعة أن يسوع "كَانَ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَجْتَازَ السَّامِرَةَ". وقد نتج عن هذا الأمر لقاء يسوع عند بئر يعقوب مع المرأة السامرية وخلصها وإتيانه على ذكر الحقول التي "قَدِ ابْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ".

أَمَا تَقُولُونَ: إِنَّهُ يَكُونُ أَرْبَعَةَ أَشْهُ ثُمَّ لِيَّ لِلْحَصَادِ؟ هَا أَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اِرْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ وَاَنْظُرُوا الْحُقُولَ لِيَّهَا قَدْ ابْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ. " (يوحنا ٤: ٣٥)

لقد كان يسوع وتلاميذه ينظرون إلى نفس الحقل، السامرة، لكن التلاميذ رأوا أرضاً خاوية لا تزال أمامها أربعة أشهر ليتم حصادها. لم تكن لديهم رغبة لأن يكونوا في السامرة ولم يكن عندهم إيمان في حدوث أي شيء جيد هناك! أما يسوع، فقد كان طعامه هو أن يفعل مشيئة أبيه الذي أرسله ويتم عمله من خلال تفعيل الإيمان الموهوب بالروح القدس، ولذلك رأى يسوع السامرة كحقول ابيضت للحصاد، وقام بحصدها من دون تردد. لقد تطلع كل منهم - يسوع وتلاميذه - إلى نفس الحقل لكن رؤية كل منهم اختلفت وفقاً لما في قلوبهم.

أن تصف حقلاً في الخدمة بأنه "أرض صخرية" هو نبوءة ذاتية التحقيق. إن قيامك بهذا الأمر يعني ضمناً أنك أيضاً تلوم المحصول لعدم حصده. أو الأسوأ من ذلك، أنك تلوم الله - "إن يد الله لا تتحرك هنا في تلك الأرض كما تتحرك في باقي الأمم". إن كيفية رؤيتنا للأمور تتعلق بما في قلوبنا وضمائرنا من عقبات خفية، تلك القلوب التي تحتاج لتقويم بواسطة المعمودية لتصبح كقلب السيد.

وعلى مدار أعوام، وجدنا أن إحدى الهيئات الخدمية كانت تبث تليفزيونياً تلك الرسالة إلى داخل إحدى البلاد الإسلامية المغلقة: "تعالوا إلى يسوع، وانضموا لكنيسة جيدة لكي تتعمدوا وتكونوا تلاميذ". الإشكالية التي خلقتها تلك الرسالة هي عدم وجود اجتماعات في مباني كنسية داخل تلك الدولة من الأساس. فتم تغيير تلك المنهجية. وبدأوا في بث نماذج لاجتماعات منزلية بسيطة بالإضافة إلى دراسة الكتاب المقدس ومناسبات التعميد والصلاة من أجل المرضى. لقد أصبحت الرسالة: "تعالوا إلى يسوع وأسسوا مجتمعاً من التلاميذ في منازلكم." وتلك المجتمعات تتضاعف الآن عددًا في تلك الثقافة وقد أفادت التقارير بأن نسبة المؤمنين المُعمَّدين المؤوية إلى عدد السكان تتخطى النسبة الموجودة في بلجيكا أو اليابان. وتلك المنهجية عينها عن الكنائس الصغيرة قد ساعدت على ظهور الكنائس المنزلية، في منزل تلو الآخر، في إيران.

يمكنك أن تجد كل تلك الأمور على أسطوانات مدمجة أو على الإنترنت على

موقع: www.222ministries.com.

الأسئلة الأكثر تكرارًا

١- إنه لمن غير العادل أن نلقي بمسؤولية نقص الحصاد في ثقافة معينة على قلب، رؤية أو منهجية الفعّلة. أليس صحيحًا أن بعض الثقافات قد تكون أكثر انفتاحًا واستقبالًا ليسوع من غيرها؟ أليس هناك مواسم للزرع والحصاد؟

- نعم، هناك مواسم للزرع والحصاد لكنها مواسم متتابعة ومتقاربة كما وضحتها بولس الرسول في الأصحاح الثالث من رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس. من الواضح أيضًا أننا سنجد في كل ثقافة حفنة من الحصاد الخاصة بشخص ما تجاهل فكرة "الأرض الصخرية" وأطاع يسوع بتلقائية. العديد من تحركات الله بدأت بين الفقراء، منكسري القلب والمحرومين.

٢- أليس صحيحًا أن ما يجدي نفعًا في ثقافة قد لا يفيد غيرها؟

- لقد طرحنا تلك المبادئ للنقاش في الغرب، وقد قال بعضهم حينها أنها ربما تجدي نفعًا في الشرق لكن ليس هنا. وعندما طرحناها في الشرق قال بعضهم أنها ربما تجدي نفعًا في الغرب لكن ليس هنا. جميعنا يهوى خلق الأعداء! غير أننا نتعامل في هذا الصدد مع وصايا يسوع. وهو القائد العظيم والأحكم على الإطلاق. وإذا كانت كلماته محدودة بثقافة واحدة بعينها فنسكون جميعًا في ورطة كبيرة. إن أقواله تسمو فوق أي ثقافة وهي كلمة السر التي تفتح كل الأبواب المغلقة لتملأ ثقافة ملكوته القلوب، وتُشبع العائلات والمدن والشعوب.

٣- ألا يُعد هذا مجرد منهجية أخرى؟ هل نعود ونقوم فقط بتقليد أمر ما يُعمل به في مكان آخر على أمل أن يجدي هذا الأمر نفعًا لدينا؟

-من المفترض أننا أتباع يسوع. وقد كانت وصاياه لنا أن נוُهّل آخرين كي يطيعوا كل الأمور التي قد علم بها. نحن لسنا أتباع لأي إنسان، حتى الأكثر نجاحًا منهم. بالفعل نحن مدينون لعدد لا يحصى من الأشخاص الذين تحلوا بالشجاعة وأطاعوا كلمات يسوع في لوقا ١٠ والذين لاحظوا ثمار تلك الطاعة في الثقافات التي وُصمت تاريخيًا بأنها ثقافات "الأرض الصخرية". هذا ليس مجرد أسلوب أو نظام آخر. هذا ببساطة ما أوصى به يسوع.

وتستند العديد من استراتيجيات نمو الكنيسة في الوقت الحالي على نماذج التسويق والتجارة. والكثير من مؤتمرات القيادة تستند على أحدث ما تم التوصل إليه في الشركات الكبرى. وقد استخدمت آيات العهد الجديد بصورة ملتوية للبرهنة على صحة ما يحدث كـ"دليل كتابي" لكن الأساس الفعلي لما يجري هو في الغالب أحدث موضة في الأعمال التجارية. وتلك التقليعات المنتشرة تبدأ وتنتهي لكن كل الحق يكمن في يسوع ونحن نسعى سعيًا حثيثًا وراء تلك الحقائق التي في يسوع.

هذه ليست منهجية أخرى. هذه هي منهجيته التي يجب علينا اتباعها! ومع ذلك، يجدر بنا أن نعرف أن بعض المدربين في مجال إدارة الأعمال يتبنون الجزء الأكبر من استراتيجيات النزاهة في العلاقات والتوجيه المكثف، تلك التي صاغها يسوع.

٤- لماذا إذاً نقوم ببناء المعاهد وكليات اللاهوت من أجل التدريب والتعليم؟

لماذا لا نفعل مثلما فعل يسوع وندرب الفعلة في حقل الخدمة نفسه؟ هل لعدم قيامنا بهذا علاقة بأمر مثل الشعور بالقوة والسيطرة والنجاح وحب الظهور؟ هل يجب علينا أن نحاكي الطريقة التي يفعل بها العالم أموره؟ هل لهذا علاقة بالتقليد؟ هل لهذا الأمر علاقة بانعدام ثقة الإنسان الأساسية وضعف إيمانه في أن الكتب المقدسة والروح القدس كافيان لهذا؟ هل لهذا علاقة بضعف الإيمان في كلمات يسوع بأن الشرط الأساسي لكون الإنسان شاهداً له ولملكوته هو ملء وقيادة الروح القدس له؟ هل لهذا علاقة بحقيقة أنه فقط عدد قليل من البالغين في الإيمان هم الذين سوف يجتازون الطريق فعلياً مع حديثي الإيمان كما فعل يسوع مع تلاميذه؟ أو ربما بسبب عدم وجود علاقة التلمذة الحقيقية التي من خلالها يحدث التحول في حياة الأشخاص من خلال مرافقة البشر في نفس الطريق الذي ساره يسوع؟ إن البرامج الكنسية، نقل وتدوين المعلومات عن الأشخاص وحتى الشهادات التي قد تمنحها الكليات والمعاهد اللاهوتية، كل تلك الأمور لا تعتبر بديلاً للعلاقات الإنسانية.

٥- هل ما تود أن تقوله هو أنك تعتبر أن أي شخص يُنشئ ما يشبه المركز التدريبي التابع للخدمة أو أي مدرسة للكتاب المقدس لديه دوافع خاطئة؟

- لا، لم أقل كذلك. لقد بدأنا جميعاً كل تلك الخطط بدوافع جيدة وبأفضل النوايا. ولدى كل منا قصته الخاصة عن فتح وغلق مركز للتدريب! وتتمثل المشكلة في أنه عندما لا نتبع أقوال ومثال يسوع، فسينتهي بنا الحال دائماً في المكان الخطأ. المشكلة التي تتعلق بمركزية التدريب هي مشكلة واضحة وموثقة. وربما أن مركزية التدريب تلك تبدأ بدوافع صحيحة لكن ما أن تتدخل أي مؤسسة في هذا الأمر وتديره فسيكتسب هذا الأمر أهميته من نفسه - ليس مما يقدمه - وتختلف دوافع هؤلاء المسؤولين الذين يديرون هذا الشأن اختلافاً جذرياً عما كان في نية مؤسسه. قد يكون لدى المؤسس الرؤية المركزة الواضحة على الفعلة لكن من يأتي بعده قد يجعل شغله الشاغل هو المحافظة على هذا الكيان المؤسسي وتنميته، وزيادة مرتبات العاملين فيه وترقية مناصبهم داخله.

هل تحدث بعض الأمور الجيدة على هامش كل ذلك؟ بالطبع، لكن ستعمل كل تلك المؤسسات في نهاية المطاف ضد الحصاد. لأنها تستنزف الموارد المالية والبشرية التي من الممكن أن يبعثها يسوع لموسم الحصاد.

ما بدأ على أنه تدريب قصير المدى من أجل الخدمة قد يتحول لمدرسة للكتاب المقدس مدتها ثلاث سنوات، وما بدأ على أنه مدرسة للكتاب المقدس قد يصبح معهداً لاهوتياً مدته أربع سنوات، وما بدأ على أنه معهد لاهوتي قد يتحول لجامعة. إن القصد الأساسي للمؤسس قد يُفقد ويستولي الزخم المؤسسي على مقاليد الأمور.

علينا أن نتبع نهج يسوع. لقد درب تلاميذه أثناء تنقله وإياهم في حقل الخدمة. وحيث تتكاثر حركات التلمذة وتأسيس الكنائس في ثقافة معينة، نجد أن التدريب أثناء العمل هو أحد الخصائص المميزة لها. ويستكمل هذا الأمر بعد ذلك بواسطة فترات التدريب القصيرة والمتعددة، وفترات السكون والتوقف، حتى يتسنى للتلاميذ الحصول على فرصة للاستفادة من التعليقات الخاصة بالأشخاص الراشدين في الإيمان ومن حكمتهم.

الفصل الثاني

الصلوات المُبَدَّدة

والمعضلة الجغرافية

"فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَّانِ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ." (لوقا 10: 2)

1- الصلوات المُبَدَّدة.

قد يبدو الأمر مثيرًا للجدل حين نلاحظ أن يسوع لم يأمرنا أن نصلي لأجل الضالين، لكن هذه هي الحقيقة. هو لم يطلب منا أيضًا أن نصلي لأجل الحصاد. صرخات المهجورين، والمُساء إليهم، وللعَدَّيين، والخائفين، والمُعْتَلِّين، والمدمنين، والمُغْتَصِبِينَ، والمتضورين جوَّاء، والمُضْطَّهَدِينَ، والمنكوبين، كلها باستمرار تلمس قلب الأب. صرخات الضائعين هي صلوات مؤثرة وقوية ولا تنتهي.

رأى يسوع أن الحقول قد ابيضَّت روحياً وأنها جاهزة للحصاد. هي ليست بحاجة للمزيد من التحضير الروحي. نحن من نحتاج للإصغاء إلى صلواتهم! ليسوا هم المحتاجون لصلواتنا. هم يحتاجون مَدًا امثالنا لله.

قد يبدو الأمر مثيرًا للجدل أيضًا حين نلاحظ أن يسوع لم يأمرنا بربط أي قوى روحية تتحكم في أولئك الضالين، أو طرد أي قوى روحية تمارس سلطانها عليهم. فهو لم ير في تلك المسألة العائق الذي يعطل الحصاد. بالإضافة إلى أنه كان يَعْلَم أنه سيتعامل مع قوات الظُّلْمَة من خلال موته وقيامته.

تأمل في أفسس 1: 15-23، كولوسي 2: 14-15، عبرانيين 2: 14-15، بهذا الترتيب. الرياسات الروحية التي تربط الأمم في الأسر قد تم التعامل معها عبر موت يسوع وقيامته. فحين نصلي كما لو كنا نقوم بأنفسنا بهذا العمل الذي أتمه يسوع، يعني ببساطة أننا نسلك بعدم تصديق في هذا العمل. إذ لا نستطيع بالأساليب الروحية أن نقوم بما تم إتمامه بالفعل على عود الصليب.

لهذا السبب نكرز بالمسيح المصلوب! لم يُصَلَّ بولس الرسول ضد أجناد الظُّلْمَة، لكنه صلَّى من أجل أن تفتتح أعين الكنيسة على رؤية انتصار المسيح المُمَجَّد على الظُّلْمَة.

لقد أعلن يسوع لرسله السبعين عند عودتهم (لوقا 10: 18) أنه رأى "الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبُرْقِ مِنَ السَّمَاءِ." لكن هذا تحقق حين امتثلوا لأمر يسوع بالكراسة لملكوت الله أينما ذهبوا. لقد كان ذلك نتيجة طاعتهم على الأرض. أعلن يسوع أن لهم سلطانًا أن يدوسوا "الحيات والعقارب وكل قوة العدو" وبينما كانوا يمارسون هذا السلطان في الشفاء والتحرير، رأى يسوع الشيطان ساقطًا.

في الدوائر الكارزماتية يبدو الأمر كما لو أنه من السهل أن يكون لك "خدمة" طالما تستطيع خلق أسباب تجعل الجموع تقوم بأمر "روحية" لا تتضمن في حقيقة الأمر خدمة الناس. سيرنمون لساعات، ويندمجون في حروب "روحية"، ويعلنون إيمانهم، ويقومون مسيرات الصلاة ومؤتمرات الصلاة (سياحة "روحية"؟)، ويتنبأون أن وقت الحصاد قد حان، ويصلون من أجل أن يحين وقت الحصاد، ويُعلنون حلول موعد

الحصاد، لكنهم لن يستغلوا الوقت أو العلاقات في طاعة وصايا يسوع المذكورة في لوقا 10 بأن يفعلوا عمل الحصاد الآن.

ما دمت تصلي وتتنبأ وتستعد وتعلن، فأنت بأمان. لا توجد مخاطرة بالفشل. ولا توجد ثمار للتقييم. يمكنك فقط أن تحكم على المناخ العام للاجتماع، "المسحة" التي به أو المشاعر التي تسوده. يمكنك الحديث عن "النهضات الروحية" (أين يوجد في العهد الجديد أي حديث عن النهضات الروحية؟) لكن عليك أن تكون ممثلًا من الروح كي تشعر بها! أنت هكذا تقيّم فئا استعراضياً، دون أي مسؤولية تجاه الواقع المعاش. لقد أهملت وصية ومسؤولية التلمذة وفي المقابل تعيش بعالم من الروحانيات الزائفة والاجتماعات اللامتناهية. لماذا نصلي كما لو أننا يجب أن نُقنع أو نتملق، أو بصورة أخرى نقوم بلّي ذراع الرب، حتى يسود الشعوب؟ ألا نؤمن أنه يحب البشر وأن إرادته الفعّالة هي خيرهم؟ الكثير من الصلوات موجودة لأننا لم نتلامس قط مع طبيعة قلب الرب. نعم، صلّ لأجل الأمم حتى يصير لديك قلب الرب تجاههم فتذهب إليهم. لماذا نصلي كما لو أننا كلما كررنا الطلبات أو قلناها بصوت أعلى، زادت احتمالية سماع واستجابة الرب لها؟ لقد أوصانا يسوع ألا نفعل ذلك، حيث أن الأمم هم من يظنون أنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم (متى 6: 7). الرب يسمع قلوبنا.

لماذا نحاول أن نجمع أكبر عدد ممكن لأجل اجتماعات الصلاة الضخمة؟ هل نظن حقًا أنه كلما ازداد عدد المصلين ازدادت قوة استجابة الرب؟ هل يمكننا فعلاً أن نمارس سلطة عددية على الرب؟ يخبرنا يعقوب أن طلبة البار تقتدر كثيرًا في فعلها، ويعطينا مثالًا لذلك النبي إيليا (يعقوب 5: 16-17). الرب يُعظّم الإيمان والبر، لا الأعداد.

لماذا نظن أن الصلوات الجماعية الجهريّة مؤثرة؟ ربما يمكنها أن تجعل من قادة الصلاة نُجومًا، لكن يسوع أدان جموع المتدينين في زمنه بسبب صلواتهم العلنيّة، وقال أنه عندما نصلي في الخفاء يجازينا الرب علانية (متى 5: 5-6)

روح التدين ستمجّد عمل الرب في الماضي وتبتهج بالمسيّا الآت في المستقبل لكنها ستسعى لقتل الفائل "اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم" (لوقا 4: 21-30). ما فعله الرب في الماضي يجلب لنا الراحة، وما سيفعله في المستقبل يجلب لنا بعض الإحساس بالتشويق، لكن وصية السيد تقتضي إيمانًا وطاعة وذبحة الآن.

الحقيقة أن يسوع أمرنا أن نصلي لأجل الفعّالة. الحصاد أكثر من جاهز! إنه مُعدّ روحياً. يسوع قام بعمل كل الترتيبات اللازمة. هو قد أتم عمله الشفاعيّ العظيم، وعلينا أن نجني ثمار شفاعته. نحن الذين يجب أن نصلي لأجل الفعّالة.

إن خطورة الصلاة لأجل الفعّالة هي تمامًا ما حدث للتلاميذ. ففي الحال تم إرسالهم استجابةً لصلواتهم هم أنفسهم! عندما نتضع ونمتلئ، سيجعلنا تيار مقاصد الله.

لسنا المديرين، المحترفين، الباحثين، أو الملوك. لا توجد خدمة بالعهد الجديد تُدعى "الشفيع النبوي". لا يوجد ما يسمى "قادة الشفاعة". كلنا كهنة وكلنا يصلي لأن هذا هو عملنا. نحن الفعّالة! يُفترض بنا أن نصلي لأجل أولئك الذين سيتضعون ويقومون بعمل الحصاد الشاق المُرهِق والذي يكون في بعض الأحيان خطيرًا. أما الله فلديه طريقة واحدة وهي أن يرسل كلمته متجسدًا في وسط الناس كي يروا مجد الأب مملوءًا نعمةً وحقًا. يوحنا 1: 14 تلك هي خطته الأساسية، وليس لديه خطة احتياطية أخرى.

لا يمكننا الصلاة لأجل الفعلة من دون أن نذهب نحن أنفسنا للحصاد.
صلوا لأجل الفعلة!

2 - رب الحصاد.

في هذه الفقرة من إنجيل لوقا أطلق يسوع على نفسه لقب "رب الحصاد". وقد قام بكل ما يلزم ليقيم نفسه بهذه الهوية. يظن البعض أن الكنيسة سوف تتضائل حتى يأتي يسوع لينقذنا من ظُلْمَة إبليس. ويبدو أنهم بالفعل يصدقون أن الشر سيسيطر تدريجياً حتى يسود العالم، بدل أن يصدقوا ما رآه دانيال في الإصحاح الثاني من سفره وما أعلنه يسوع في متى 13 عن نمو ملكوت الله الذي يملأ المسكونة. يعتقدون أن يسوع سيعود ليتمم بالقوة الضاربة ما قد فشل في تأديته بالمحبة الباذلة. لا يصدقون أنه بالفعل "قد أُكْمِلَ" على الصليب، لا يصدقون أن ذبيحته كانت كافية لخلاص خليقته الضالة. يبدو أنهم يظنون أن يسوع كان يجب أن يدعو نفسه "رب التناقص".

لقد انتصر يسوع على الشر فوق صليبه. المحبة بالفعل لا تسقط أبداً! الأرقام تحكي لنا رواية نمو ملكوت الله. "بحلول سنة 40 ميلادية بلغ عدد الحركة التي أسسها يسوع 10 آلاف تابع. مع بزوغ فجر القرن الثالث الميلادي نما العدد حتى أصبح قرابة الستة ملايين نسمة، أو تقريباً 10% من نسبة سكان الإمبراطورية الرومانية".¹² ذاك النمو المُطَوَّد توقف بعد القرن الثالث حين تم تحويل الكنيسة لمؤسسة، ثم بدأ العدد في النمو مجدداً مع الحركة الإرسالية الأولى للقديس باتريك St. Patrick، تلتها فترة من الانحدار، وبدأ النمو مرة أخرى مع مارتن لوثر Martin Luther وبدايات حركات الإصلاح والتجديد والحركات الإرسالية خلال القرون الخمسة الأخيرة.

على مدار القرون الثلاثة الأولى لم تكن الكنيسة سوى حركة اجتماعات منزلية بسيطة حول وجبة طعام. ولم تختف تلك الاجتماعات إنما اضطهدتها الكنيسة التقليدية بعنف لقرون عديدة وأصدرت أحكامها بإعدام من يقرأ الكتاب المقدس في منزله أو يصلي مع أطفاله. لكن في القرن العشرين، انفجر ما كان في السابق خفياً ومتقطعاً، فظهرت الكنائس المنزلية على الساحة مرة ثانية، في الصين على وجه الخصوص. "في عصور الاضطهاد المبكرة، تخلى العديد من المؤمنون الصينيون عن إيمانهم... بعض المؤرخين يقول أن 70% من أصل 750000 عضواً بالكنيسة في ذلك الوقت قد أنكروا الرب. في الوقت الذي أغلقت فيه الصين أبوابها، تيقن باقي العالم أنه لن يتبقى أي مسيحيون على الإطلاق... في أواخر السبعينات بدأت أبواب الصين في الانفتاح... والآن يتفق معظم الباحثين أن هنالك حوالي 100 مليون مسيحي في الصين في يومنا هذا".¹³

وإذا ألقينا نظرة على أفريقيا... "في عام 1900 بلغ عدد سكان أفريقيا 108 مليون نسمة، كان عدد المسيحيين منهم 8.7 مليون نسمة بنسبة 9%. معظم هؤلاء المسيحيين كانوا من الأقباط والأحباش الأرثوذكس. وكان المسلمون يفوقونهم عدداً إذ بلغ عددهم 34.5 مليون مسلم، بمعدل 4:1. في عام 1962... كان عدد المسلمين 145 مليون نسمة بينما كان هناك 60 مليون مسيحياً – بمعدل 5:2. ... بحلول عام 2000 بلغ عدد المسيحيين بأفريقيا 360 مليون... صارت نسبة المسلمين بأفريقيا 40.6%

¹² Steve Addison, Movements That Change the World, Missional Press, 2009, page 73

¹³ Asia Harvest Magazine, December 2009, Newsletter #102, www.asiaharvest.org

ونسبة المسيحيين 45%. من عام 1900 حتى عام 2000 تحولت نسبة المسلمين إلى المسيحيين من 4: 1 إلى أقل من 1: 1.¹⁴

وفي الهند... نجد "تحالف نجم البحر Starfish Alliance"، وهو ائتلاف من عدة شبكات للكنائس المنزلية بالهند، قال في تقرير له أنهم في عيد العنصرة 15 عام 2009 قاموا بتعميد ثلاثمائة ألف شخص. وفي نفس العيد من العام الذي يليه، عمدوا مليون شخص. ويقول القائدان فيكتور وبيندو تشاودري Victor and Bindhu Choudhrie أن العديد من الفتوحات قد حدثت داخل المجتمعات الإسلامية والهندوسية.¹⁶ وتحالف نجم البحر هذا هو مجرد واحد من العديد من الشبكات المطّردة النمو في الهند. يعتقد جيمس روتز James Rutz أن "قلب المسيحية النامي يعبر الخطوط العرقية ليشمل 707 مليون مسيحي مولود ثانية"، ويزيد هذا العدد بمعدل 8% كل سنة. هذه النواة الرسولية تتكون من مزيج قوي من الكاريزماتيين، الخمسينيين والإنجيليين، الذين أهم ما يميزهم هو وجودهم في شبكات متوسعة ومتصلة وسهلة الإحصاء.¹⁷ يسوع هو رب الحصاد. ذلك أحد ألقابه. وهو أيضاً تعبير عن طبيعته. ونحن جزء من مملكته النامية!

3- طلبية خاصة جداً ومشكلة جغرافية.

إن طلبتنا أن "يرسل الله فعلة إلى حصاده" تبدو وكأنها بصيغة المفعول به (على الأقل في اللغة الإنجليزية). نحن نرسل الخطابات، نرسل رسائل البريد الإلكتروني، نرسل تحياتنا أو تعازينا. مع ذلك، ففي لوقا 10 يرسم هذا الفعل صورة زارع ينثر البذور على الأرض بيده. هل يملك يسوع على حياتنا بالقدر الكافي لأن يأخذنا بيده إلى خارج عالمنا المعتاد والمريح والأمن، وينثرنا فوق حقول حصاده؟ هل نحن مستعدون للسقوط على الأرض والاحتجاب والموت حتى نؤتي ثمراً كثيراً؟ ما هو دافعنا؟ هل نريد أن نستغل الله في الحصول على ما نريده منه أم أننا بالحقيقة نطلب مجده؟ تأمل في يوحنا 12: 23-26! إذا خدمنا وتبعنا المسيح، فحيث يكون هو نكون نحن ويكرمنا الأب. أين كان المسيح في ذلك الوقت؟ لم يكن يسوع يتحدث عن مكان مرهون بأبعاد المكان أو الزمان، إنما عن مكانة علاقته وهي تلك المكانة التي له في قلب الأب. ولا يمكننا أن نعيّر عن قلب الأب إلا إذا كنا نحيا بداخله. هناك حيث عاش يسوع، هناك حيث يريدنا أن نعيش. قليلة جداً هي الخطوات الإلهية التي أتت من قلب المجتمع المحترم ميسور الحال. بينما بدأ معظمها من الهامش وسط الفقراء والبائسين والمحطمين. وقليلة جداً هي الخطوات الإلهية التي بدأت بدعوة أولئك المهمشين إلى الاجتماعات. نحن من ينبغي أن نذهب إليهم. قال أحدهم أن الكنيسة تعاني من مشكلة جغرافية. أمرنا يسوع أن نذهب للآخرين بينما نصر نحن على استجداء العالم للقدوم إلينا. لماذا نفعل ذلك؟ لأنه إن أتى أحد ما إلى منطقتي، فقد جاء إلى حيث أكون أنا المسيطر على الأمور، حيث أعرف القواعد الغير مكتوبة، حيث أكون على راحتي. وكلما ازداد عدد الناس

¹⁴ Steve Addison, Movements That Change the World, Missional Press, 2009, Page 50- 51

¹⁵ The Pentecost, (ف.ت.)، عيد الخمسين أو عيد حلول الروح القدس.

¹⁶ Marc Van der Woude, Joel News International #708, November 17, 2009

¹⁷ Jim Rutz, Mega Shift, Colorado Springs, CO, 2005, page 15.

القادمين إليّ، ازدادت الموارد التي يمكن أن أتحمك فيها وأصبحت أكثر سطوة. كلما ازداد عدد الآتين إليّ، بدت أكثر نجاحًا. وقد حوّل حشد الجموع هذا الكثير من القادة إلى ملوك يعيشون بكامل نمط الحياة الملكية. أُطِيقَ على هذا النوع من النمو الكنسيّ "نموذج الجذب".¹⁸ المشكلة هنا هي أن معظم هؤلاء الذين يتم اجتذابهم هم في الأصل مؤمنون، لكنهم مؤمنون يبحثون عن صفقة أفضل. هل دورنا كمؤمنين أن نعثر على جماعة تلبي احتياجاتنا كما نراها، أم أن دورنا هو خلق جماعة لأولئك الذين ليست لديهم واحدة؟ من الضروري أن يتضح لدينا أنه ليس من المفترض بنا أن نتسوق لاستهلاك الاختبارات الروحية أو نسوق لها. بل نحن موجودون لنكون فعلة في حصاد الحقول.

الحقيقة بسيطة جدًا. فبشكل عام، من لم يتبع المسيح بعد لن يحضر اجتماعاتنا، مهما كانت قوة مسخّتها. إن الأمر أشبه بالزارع الذي يقف على بوابة حظيرته مناديًا الحصاد للدخول قائلًا "تفضل أيها الحصاد! حظيرتنا لطيفة وبها كل وسائل الراحة والرعاية. فعبادتنا شقيقة، ووعظنا ممسوح، أما حضانة الأطفال لدينا فهي الأفضل!"

يمكنك أن تقول أن مزارعًا كهذا قد فقد عقله. إذا أراد لحصاده أن يدخل فعليه هو أن يذهب ويحضره للداخل. هذا هو نوع الفعلة الذي نصلي من أجله. وهذا هو ما يوصينا رب الحصاد أن نفعله.

الأسئلة الأكثر تكرارًا

1- إذا أنت لا تؤمن بما يسميه البعض "الحرب الروحية على المستوى الاستراتيجي"؟ لا تؤمن برُبط القوى الروحية التي تُمسك الأمم في الأسر، كنوع من التمهيد للكراسة؟

- لا، لا تؤمن بذلك. يسوع نفسه لم يجعل من هذا شرطًا يسبق الذهاب للكراسة، فلماذا نجعله نحن كذلك؟ في الواقع، في منتصف الأصحاح العاشر من إنجيل لوقا قال يسوع "رَأَيْتُ الشَّدَّ يُطَانُ سَاقِطًا مِثْلَ الْبُرْقِ مِنَ السَّمَاءِ." ومن السياق لا يمكننا أن نستنتج إلا أن هذا الحدث كان نتيجة لأعمال الملكوت التي أتمها التلاميذ على الأرض في الأعداد السابقة.

لمناقشة تلك القضية بمزيد من التفصيل، ندعوك لدراسة "الحرب الروحية الأخيرة- إعلان مجد يسوع" (بالإنجليزية: Ultimate Spiritual Warfare- The Revelation of the Glory of Jesus) على موقعنا الإلكتروني

www.harvest-now.org

إن وصية يسوع لنا هي الصلاة لأجل الفعلة والذهاب للكراسة. فهل كان السيد سيرسلنا لو لم يكن قد أتم كل الأعمال التحضيرية؟

بعض هؤلاء الذين بدأوا التعليم الخاص بتمييز الرياسات والسلطين ثم طرحهم تحت الأقدام كانوا عبدة شيطان سابقين، ممن يدعون المعرفة بمملكة الظلمة من الداخل. فلماذا نأخذ بشهاداتهم بدل الأخذ بالتعاليم الكتابية الواضحة؟

¹⁸ Michael Frost & Alan Hirsch, The Shaping of Things to Come, Hendrickson Publishers, 2006, page 225.

لقد أصبح ادعاء القدرة على تمييز قوى الشر المتسلطة على الأمم وتقييدها وطرحها أرضاً - جزءاً أصيلاً من العديد من خدمات "الشفاعة النبوية" (وهذا التعبير غير كتابي بالمرّة). لو كان الأمر بتلك الأهمية، فلماذا لم يُعلّم به يسوع أو بولس؟ لماذا لا يوجد أي ذكر لحدوث مثل هذا الأمر قبيل ذهاب بولس للكراتة في مناطق جديدة مثلاً؟

قد يكون للأمر بريقاً مسرحياً فوق المنبر، لكنه لا يُعتَبَر جزءاً من مسيحية العهد الجديد ولا مكان له في ممارساتنا الروحية. علينا أن نشفي المرضى ونطرد الأرواح الشريرة من الناس، فدعونا نعمل الأعمال التي كان يعملها يسوع ولا نتبع ضلالات الذين يركزون على الشياطين التي في السماء.

2- وماذا عن مسيرات الصلاة التي تسبق الكراتة داخل البيوت أثناء افتقاد بيوت السلام في منطقة أو قرية معينة؟

-نعم، الصلوات الساعية لمباركة القرية أو المنطقة، الصلوات من أجل إرشاد أهل السلام، والصلوات المرتبطة بعمل معين يتعلق بالطاعة أو بالخدمة. لكن تنحرف الأمور عن المسار الصحيح حين تنفصل صلواتنا عن خضوعنا لله، أو حين تصبح الأنشطة "الروحية" بديلاً لمحبة الناس وخدمتهم. الفكرة أننا كلنا مثشفعين لكوننا كهنة ملكيين، وكلنا أيضاً فعلة. وكما يقول شعار شركة نايكي Nike، "افعلها وحسب!"

3- هل على الجميع الذهاب؟ هل ينبغي علينا كلنا أن نكون كارزين وزارعين بالكنيسة؟ ألم يكن يسوع يوجه خطابه للرسل وقتها؟

-نعم، كان يسوع يخاطب الرسل بالفعل، وبالتأكيد فليس مطلوب منا جميعاً أن نقوم بمهام خارج نطاق المكان الذي نعيش به. مع ذلك، سواء أكان الأمر على الجهة المقابلة من المحيط، أم الوادي، أو حتى الشارع المقابل، فكلُّ منا لديه امتياز ومسؤولية أن يخدم العالم من حوله، ومسؤولية خاصة تجاه العائلة والأصدقاء.

وكما هو الحال في أي أسرة طبيعية أن يرغب الزوجان في وجود أطفال، كذلك من الطبيعي في إطار علاقتنا بالله الأب أن نشاركه رغبة قلبه نحو البنين والبنات، نشاركه شغفه لتقديم عروس عظيمة وجميلة لابنه الوحيد، ونشاركه رغبة قلبه في وجود هيكل حيّ وعظيم ومبدع لمسرة روحه القدوس.

الفصل الثالث الخطر الوشيك

اتَّهَبُوا! هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ حُمَلَانَ بَيْنَ بَنَاتٍ. (لوقا ١٠: ٣)

١- من المُقدَّر أن يكون الحصاد عملاً محفوظاً بالخطر!

عندما ذهبنا لآسيا الوسطى، تساءلت عن كيفية وصول بشاراة الإنجيل لأول مرة إلى تلك المنطقة. وكان الرد أن المبشرين المرسلين الأوائل قد جاءوا إلى هنا بسبب جَميل "الرسول ستالين Apostle Stalin". لقد سمعت ستالين¹⁹ يُلقب بالعديد من الألقاب لكنني لم أسمع قط عن أنه ينادى بالـ "رسول" ولذلك، فقد تساءلت بالطبع عما يعنيه هذا التعبير.

القصة تتلخص في أن ستالين، بسبب كراهيته لكل الأمور التي تُنسب إلى الله، قد اعتقل المؤمنين في موسكو وأرسلهم في عربات القطار الخاصة بنقل الماشية إلى كيرغيزستان²⁰. تستغرق تلك الرحلة في يومنا هذا ثلاثة أيام وليالي، كما أنهم قد غادروا وقتها بالليل الذي يمكنهم حمله من الطعام والمياه بدون تزويدهم بمؤن إضافية على طول الطريق. لقد توفي ثلثهم الأول خلال الرحلة وتوفي الثلث الثاني بمجرد وصولهم، نظراً لعدم توافر أي طعام عند وصولهم. وقد كان الثلث الذي تبقى على قيد الحياة هم الشهود الأوائل عن يسوع في تلك المنطقة.²¹

يُدعى ماو تسي تونج Mao Tse Tung²² أيضاً "رسولاً" من قِبَل بعض الأشخاص في جسد المسيح في الصين. مرة أخرى ربما تسأل لماذا؟ عندما جاء ماو وتسلم مقاليد الحكم تركزت الكنيسة الصينية في جنوب شرق البلاد، معتمدة على التمويل الغربي، مما جعلها خانعة ومتخاذلة أمام القيادة الغربية. قام ماو بترحيل الأجانب، وهدم كليات اللاهوت والمعاهد المسيحية والأبنية الكنسية ثم بدأ في إلقاء القبض على المؤمنين وإرسالهم لجميع أنحاء البلاد للعمل بالسخرة في المصانع، المناجم والمزارع. وقد أعطى هؤلاء المؤمنين من خبزهم وغطائهم للمرضى وللأشخاص الذين يحتضرون. لقد كانوا يعملون بأكثر الأعمال انحطاطاً مثل تنظيف المراحيض لكي يتمكنوا من الانتقال بين زنزاناته وأخرى ويجلبوا بعض الراحة للآخرين. لقد عملت شهادتهم كمؤمنين، في طريقة معيشتهم وخدمتهم ومعاناتهم ثم موتهم، على اجتذاب الجموع ليسوع. وبذلك الطريقة تم غرس وتأصيل الشهادة عن يسوع - الشهادة التي قد تم عزلها في ثقافة غريبة وقصرها على جزء واحد من البلاد - في جميع أنحاء البلاد على حساب الدولة الصينية الشيوعية. الكلمة صار جسداً وحل بينهم!²³

¹⁹ جوزيف ستالين Joseph Stalin (١٨٧٨ - ١٩٥٣): القائد الثاني للاتحاد السوفييتي بعد لينين، عُرف بقسوته وقوته، وقد حول الإتحاد السوفييتي من دولة زراعية لدولة صناعية. كان عضواً في الحزب الشيوعي السوفييتي. لم تكن العلاقة بين ستالين وبين الكنيسة مستقرة في بادئ الأمر، حتى أنه قد هدم بعض الكنائس، لكن تغير كل ذلك بعد الحرب العالمية الثانية حيث استقرت العلاقة بينهما وأظهر رجال الدين ولاءهم له. (ف. ت.)

²⁰ كيرغيزستان Kyrgyzstan: دولة تقع في آسيا الوسطى، عاصمتها بيشيك. وقد استقلت عن الإتحاد السوفييتي في أواخر عام ١٩٩١. (ف. ت.)

²¹ تحصلت على تلك المعلومات من محادثاتي مع صديق من آسيا الوسطى.

²² ماو تسي تونج Mao Tse Tung (١٨٩٣ - ١٩٧٦): هو رئيس الحزب الشيوعي الصيني، ورئيس جمهورية الصين الشعبية. (ف. ت.)

²³ For a first hand account see The Heavenly Man, Paul Hathaway, Monarch Books, Mill Hill, London, 2003.

هل قاسى هؤلاء المؤمنون ودفعوا الثمن؟ نعم، والعديد منهم قد لقي حتفه. هل كان لستالين أو لمارو الكلمة الأخيرة؟ لا، فكل ما تمكنوا من القيام به، في محاولتهما لسحق الكنيسة والقضاء عليها، هو أنهما رسخا وجودها بعمق في أرض كلاً منهما.

٢- تتجلى طبيعة يسوع أثناء المعاناة.

طوبى لكم إذا عرودكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجلي، كاذبين. ارحموا وتهاؤوا، لأن أجزاكم عظيم في السموات، فإنهم هكذا طردوا الأتبياء الذين قبلكم. (متى ٥: ١١-١٢)

لقد ألقيت وصايا يسوع في الموعظة على الجبل في مواجهة مع وقائع الاضطهاد والمعاناة. كانت وصيته لنا أن نحب أعداءنا، ونبارك لاعيننا ونحسين إلى من يسيئون إلينا، في متى ٥: ٤٤. لقد كان إتمام تلك الوصايا هو ما حوّل الكثير من القلوب ليسوع في السجون الصينية وفي أنظمة العمل القسري.

وتتعارض تلك الوصايا مع رغبتنا في الراحة، السلام والرفاهية. حتى أنه لدينا قطاعات كاملة من الكنيسة تُعلم عن أن الثراء والنجاح والرخاء هم علامة على بركة الله للإنسان، وأن عُسر الحياة والفقر والمعاناة هم علامة على خطية الإنسان الشخصية أو ضعف إيمانه. يُعد هذا تحريفاً لبشارة الملكوت. وفي هذه البيئة الزائفة من السلام والرفاهية والمُتّع الحسية يلعب الناس دور الضحية ويتساءلون عما إذا كان الله مازال يحبهم عندما يكون يومهم سيئاً بوجه عام. الله ليس خادماً. إننا لا نأتي إلى الله لأجل ما يمكننا أن نتحصل عليه منه. كما أن الصبغ الإيمانية المبتذلة لا تجعل الله طوع أمرك. والله ليس كآلة البيع التي تضع فيها بقدر دولار من الإيمان، وبقدر دولار من المجاهرة بالإيمان، وبقدر دولار من التقدّمات ومن ثمّ تحصل على كل ما تريد.

لقد متنا عن إنسان الخطايا العتيق وقدمنا حياتنا الجديدة قرباناً إلى الله لأجل مجده، حتى ولو كان هذا يعني المعاناة. الواقع يفيد بأن تبعية يسوع، في أجزاء كثيرة من العالم، لن تجعل حياتك أسهل. سوف يجعل ذلك حياتك تمتليء بمصاعب ومخاطر أكثر من ذي قبل. لقد استشهد أكثر من ١٧٦٠٠٠ شخص نتيجة لإيمانهم بيسوع، في فترة زمنية قدرها عام، من منتصف عام ٢٠٠٨ إلى منتصف عام ٢٠٠٩ وفقاً لموقع www.opendoorsusa.org. هذا يعني أن ما يقارب الـ ٥٠٠ شخص يومياً قد بذلوا أرواحهم.

تلك الوقائع الخاصة بالمعاناة والاضطهاد تتواجه مع إنجيل الرخاء الذي يحاول إغراء الناس لكي يأتوا ليسوع لأجل كل ما سوف يفعله لهم وكل ما سيحصلون عليه منه. على النقيض من ذلك، نجد بولس الرسول يُخبر تلميذه تيموثاوس في (٢ تيموثاوس ٣: ١٢) أن: "جميع الذين يُريؤون أن يعيشوا بالدّهوى في المسيح. يسوع يُضطّهون". البعض قد قلب تلك الكلمات رأساً على عقب وعلم أنه إذا كان لدينا إيمان كافٍ في يسوع، فحيواتنا ستمتلئ بالصحة والثروة والسلام والمتعة. إن "إنجيل" الرخاء والسلام هذا لا يمت بصلة لإنجيل العهد الجديد. لقد قمنا بتعميد²⁴ النزعة المادية الغربية والرغبة في السعى وراء الملذات لينضمنا لملكوت الله.

لا يهم عدد الآيات الكتابية التي يستشهد بها واعظو القنوات التليفزيونية المسيحية لكي يثبتوا أن تلك النزعة المادية ومحبة المال هما بركات من يسوع. نعم، بالفعل نجد أن الكثير من حديثهم هو عن البركة واللجنة وكيف أننا نكون مباركين أو ملعونين وفقاً لما نقوم به، ولا سيما فيما يختص بتقدّماتنا المادية لهم. تعهدات

²⁴ دلالة على إضفاء الصبغة الروحية المسيحية على تلك الأمور لجواز الاعتراف بها من قِبَل المؤسسة الكنسية. (ف. ت.)

الله بالبركة واللعنة في العهد القديم، ذلك العهد الذي كان يركز على الإذعان لشريعة موسى والعمل بموجبها، يتم تقديمها في عظاتهم كأمر قابل للتطبيق في الوقت الحاضر. لكننا لا نعيش في كنف العهد القديم. بالإضافة إلى أن الوعد بأرض الميعاد التي للعهد القديم قد تحول ليصبح الوعد بالروح القدس في العهد الجديد. والوعود بالنمو والازدهار في أرض الميعاد قد أصبحت وعودًا بأن نكون في المسيح في كل موقف. لقد بوركنا في يسوع بسبب ما قام به لأجلنا، وتلك البركات بالحياة الروحية العميقة والسلام قوية بما فيه الكفاية لأن نكون مبتهجين، حتى عندما تحاصرنا المعاناة من كل جهة. لقد قاسى شعب الكنيسة العبرانية لدرجة أن الكتاب قد قال عنهم: "فَيَلْتَمُّ نَبَأَ أَمْوَالِكُمْ يَفْرَحُ". "لماذا؟ لأنهم كانوا عالمين في أنفسهم أن لهم "مَالًا أَفْضَلَ فِي السَّمَاوَاتِ وَبِأَقْيَا." (عبرانيين ١٠: ٣٤). فإذا عايننا الأبدية بحق، فستضع تلك البصيرة الزمن الحاضر وكل ما يتعلق به في حجمه الطبيعي. ليس علينا أن نتفاعل مع ما يحدث حولنا كضحايا لكن علينا أن نثق في أنه بعد قيامنا بما يُسر الله ويتوافق مع مشيئته، سوف نتلقى الوعد!

لقد تحدث الرسول بولس إلى أهل تسالونيكي في (١ تسالونيكي ٣: ٣) قائلاً: "كَيْ لَا يَنْزَعَرَّعَ أَحَدٌ فِي هَذِهِ الضِّيَقَاتِ. فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ لَنَا مَوْضُوعُونَ لِهَذَا." "لم يتم اختيارنا حتمًا لأجل أن ننعم بالرفاهية. لقد تم تعييننا لشبابه يسوع وقد يعني هذا أنه قد تم إعدادنا للخوض في المعاناة. ونجد أن الكثير من القديسين، في سياق المعاناة والاضطهاد، يسمحون للسر الخاص بصليب يسوع أن يعمل عمله في الناس، يحدث ذلك عندما يحولون الإساءة إلى نعمة الغفران، ويحولون اللعنة إلى نعمة المباركة. إن البركة أقوى من اللعنة والغفران أقوى من أي إساءة. قد لا يكون متاحًا لديك أن تختار ما يحدث لك لكنك تستطيع أن تختار بارادتك سلوكك الشخصي ورد فعلك تجاه ما يحدث معك. الثقة الهادئة، السلام، الفرح والتسامح في مواجهة الشدائد هم شهادة أساسية عن أن المسيح يحيا فيك!

٣- لقد بوركنا لكي نكون بركة للآخرين.

لقد استخدم يسوع تشبيهًا مجازيًا آخر وقال أننا يجب أن نكون حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام (متى ١٠: ١٦). نعم، لقد بوركنا لكي نكون بركة للآخرين! لن تتمكن من مباركة الآخرين ما لم تكن أنت شخصيًا قد تلقيت تلك البركة. علينا أن نُعطي مثل هؤلاء الذين أخذوا مجانًا! تلك هي بركات النعمة؛ الغفران، الشفاء، تقديم رسالة الخلاص، ومحبة الجميع حتى أولئك الذين يعادوننا، كما أننا أيضًا قد بوركنا في كل مجال من مجالات الحياة من الصحة إلى العلاقات إلى الأمور المالية. علينا أن نكون حكماء في التعامل مع الموارد التي لدينا، أذكاء في مجال الأمور التجارية والمالية وحريصين على ألا نتورط في مديونيات شخصية. علينا أن نفعل كما اعتاد جون ويسلي²⁵ أن يقول: "افعل كل ما في وسعك القيام به. اقتصد كل ما يمكنك اقتصاده. قدم كل ما يمكنك تقديمه."

دائمًا ما تجلب البركات - التي يمنحها الله للإنسان - معها مسئولية ضخمة تجاه أولئك الذين يعانون وأولئك الذين يذهبون إليهم أيضًا! إن كيفية التعامل مع البركات التي منحنا الله إياها هو موضوع آخر يختلف لكن العهد الجديد قد حدد لنا في الأساس مجالين رئيسيين لتلقي الهبات وتقديم العطايا. واحدًا منهم من أجل الفقراء والآخر لأجل الفرق الرسولية المُرسلة للخدمة في أماكن جديدة. لكن إذا جعلنا البركة التي سنحصل

²⁵ جون ويسلي John Wesley (١٧٠٣ - ١٧٩١): إنجليزي الجنسية، فيلسوف ومترجم ورجل دين، ويعود الفضل إليه هو وشقيقه تشارلز ويسلي Charles Wesley في تأسيس الحركة الميثودية الإصلاحية Methodism. (ف. ت.)

عليها هي الهدف الأساسي، فلن نحتاج بعد ذلك سوى خطوة صغيرة لنجعل كل من المتعة الشخصية، الحماية، الراحة وغياب المخاطر أهدافًا لنا أيضًا.

وأحد الأسباب التي جعلت يسوع يوضح وجود الخطر، بكل وضوح وصراحة، هي أن يجعل تلاميذه صامدين بوجه الاضطهاد، وأن يغرس عميقًا داخل جيناتهم رد الفعل النابع من المحبة الخلاقة والغفران. هذا أولاً!

نفعل هذا الأمر نفسه حتى مع حالة السلم النسبية التي في الغرب، فعندما تأتي الجموع ليسوع، نميل لأن نطلب منهم قطع كل علاقاتهم القديمة خوفًا من أن يقوم أصدقاؤهم القدامى بسحبهم للخلف مرة أخرى. لا توجد لدينا أي جراءة لنواجه حتى التجربة العادية. فنحن نتناسى تلك الكلمات: **لَتَمَّ مِنْ اللَّهِ أَيُّهَا الْوَالِدُ، وَقَدْ غَدَبْتُمُوهُمْ لِأَنَّ الْإِذِي فِيكُمْ أَكْظَمَ مِنَ الْإِذِي فِي الْعَالَمِ.** (يوحنا ٤: ٤). لذا فنحن نجعل المتغيرين الجدد يجتمعون معنا فقط خوفًا من اختلاطهم بالعالم، وبعد ذلك يصبحون متشابهين معنا كأننا أعضاء في حزب واحد، نتحدث بنفس الطريقة ونظهر ونتحرك كأننا صور منسوخة من بعضنا البعض. لقد أصبحوا جزءًا من الثقافة المسيحية الفرعية أو حيّ الأقليات²⁶ المسيحي المنعزل، ومن ثمّ، فعندما نطلب منهم أن يذهبوا ليربحوا أصدقاءهم القدامى للمسيح يدركون أنه لم يعد لديهم أي أصدقاء قدامى. فكل تلك العلاقات قد انتهى أمرها.

نحن نتجاوب مع العالم الذي حولنا بأسلوب نابع من خوفنا، ثم بعد ذلك نتعجب لماذا يكون تأثيرنا على هذا العالم ضعيفًا. إننا نجعل من سلامتنا وأمننا وراحتنا غاية شخصية وبعد ذلك نتساءل لماذا نقضي حياتنا في خوف. إننا نضيق كنوز الإيمان والمحبة والعلاقات عندما نحصر بركاتنا في البركة المادية الأولية. لدينا تعاليم لاهوتية مكتملة الأركان (ربما هي هرطقات؟) عن البركة، في حين أن تعاليمنا اللاهوتية عن الاضطهاد والمعاناة فقيرة وضعيفة. يستشهد الرسول بولس بقائمة مما عانى منه (٢كورنثوس ١١: ٢٣ - ٣٣) كيرهان على كونه "خادمًا للمسيح" وهو ينهي كلامه في (٢كورنثوس ١٢: ١٠): **"إِذْكَ أَسْرُ بِالضَّعْفَاتِ وَالسَّلَامِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاضْطِهَادَاتِ وَالضِّيَقَاتِ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ. لِأَنِّي جِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَجِينِيذِي أَنَا قَوِيٌّ".** إننا في احتياج لمزيد من الأشخاص الذين يستطيعون أن يستشهدوا بالمعاناة والألم كدليل على خدمتهم ليسوع! إن أحد السمات المُحزنة لأغلب المجتمعات الكنسية التقليدية على جميع المستويات العقائدية هو أن غالبية الشباب صغير السن يتوقفون عن ممارسة إيمانهم عندما يصبحون بالغين. هل يرجع هذا لحقيقة أننا لم نوجد في تلك الحياة لكي نكون مستهلكين للاختبارات الدينية مأمونة العواقب ومراقبين سلبيين للممارسات الدينية، مهما كانت فترات العبادة مواكبة للعصر أو كانت الرسائل الروحية مثيرة للانتباه؟

لقد خُلقنا لنخوض مغامرة الإيمان والمحبة. لقد وُجدنا لنعيش على الحافة بين الممالك ونقيم جسورًا فوق الفجوات حتى يتمكن العديد من البشر من الانضمام لتلك المغامرة من السير مع الله. الله ليس خاليًا من المخاطر. الله ليس لطيفًا. الله محبة لكن محبته جامحة، ولا يمكن التنبؤ بها ويتم وصفها بالنار الآكلة، والمياة الكثيرة، والريح العاصفة.

لقد خُلقنا لأجل مجده. إننا لم نوجد من أجل ممارسة التعاليم اللاهوتية السديدة والطقوس الدينية المعزية. لقد صُنعنا من أجل المجازفة ومساندة بعضنا البعض في العلاقات.

²⁶ غيتو Ghetto: كلمة تعني المعزل، وهي تشير إلى منطقة يعيش فيها سويًا، طوعًا أو كرهًا، مجموعة من البشر المشتركين في خلفية ثقافية أو دينية معينة مختلفة عن تلك التي لأغلبية سكان المدينة. (ف. ت.)

لقد عاين شبابنا قليلاً من الحق في الكنيسة بصورتها المعهودة المتعارف عليها. لكن ما يعاينوه هو العديد من تقنيات الإصلاح السلوكي، وخطب المساعدة الذاتية، والعديد من القواعد واللوائح، والامتنال الظاهري للمجتمع الكنسي. إنهم يعلمون جيداً ما عليهم القيام به لكي يكونوا مقبولين، مُعززين وأمنين وسط هذا المجتمع الكنسي، لكنهم بالكاد يعرفون أي شيء عن مغامرة المولودين ثانية الذين يكونون مثل الريح التي: " تَهْبُ حَيْثُ شَاءَ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لِكَيْ لَا تَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلَا إِلَى أَيْنَ تَهْبُ". (يوحنا ٣: ٨)

السير مع يسوع لا يعني مطلقاً أن تكون آمناً. بل من المُقَدَّر له أن يكون محفوفاً بالمخاطر. من المقدر له أن يكون خطيراً. هذا ما وعد به يسوع،

قَدْ كَلَّمَ مَتَكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِي سَلَامٍ فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضَيْقٌ، وَلِكَيْتُمْ تَعْلَمُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يوحنا ١٦: ٣)

أما السعي وراء المعاناة فهو سقمٌ روحي. لكن أن نكون مستعدين لكل ما تجلبه لنا تبعية يسوع، بما في ذلك المعاناة، فهذا دلالة على الصحة الروحية. إن بعض أقسام الكنيسة تعاني أشد المعاناة من الحكومات المعادية. وبعضها الآخر يعاني من الكراهية التي تبثها الحركات الدينية العنيفة. البعض الآخر يعاني من طوائف الكنيسة الأخرى التي تهاجم كل من لا يخضع لعقائدها وممارساتها الطقسية أو نمطها الحياتي. ولقد تحدث بولس الرسول عن مختلف أنواع المعاناة التي قد واجهته في (٢كورنثوس ١١: ٢٦): "يَا خَطَارٌ مِنْ جِسْمِي... يَا خَطَارٌ مِنَ الْأُمَمِ... يَا خَطَارٌ مِنْ إِخْوَةٍ كَذِبَةٍ".

إن السير مع يسوع سوف يُحضرنا إلى المكان الذي يتم فيه فحصنا من خلال الاختبار العملي لنصل إلى معرفة أن يسوع وحده هو الرفيق، الترس، الولي، الرب والحياة.

الأسئلة الأكثر تكراراً

- ١- لماذا يجب أن نتحدث كثيراً بشأن مخاطر تبعية يسوع؟ أَلن يدفع هذا الناس بعيداً عنه؟
- لقد أعلن يسوع في (لوقا ١٤: ٢٦-٣٣) أننا لن نتمكن من أن نصبح تلاميذاً له من دون أن نحسب نفقة التسليم الكامل له والتخلي عن كل شيء من أجله. لقد عيّن يسوع النفقة بكل صراحة ووضوح. لكن ما نفعله هو أننا نحاول أن نخفي أمر النفقة ونؤكد على المنافع التي سنجنيها بتبعية يسوع! إنه لمن البديهي أن ما تريح الناس به هو عينه ما تريح الناس لأجله. إن يسوع يرغب في أن يربحنا من أجل الخدمة المضحية للأصغر، ومن أجل مغامرة الإيمان والمحبة، ومن أجل أن يكون موقفنا في تلك الحياة هو ترك عن كل شيء في سبيل تبعيته. ومن ثم فإن يسوع يسعى لربحنا بدعوة من التسليم المطلق له من أجل شخصه فقط، لا من أجل أي من عطايه. إن يسوع يسعى لربحنا بمفرده، بدعوته لنا أن نعيش كما عاش هو.
- إذا ربحنا الأشخاص لئتمثلوا بيسوع عن طريق دغدغة مشاعر طبيعتهم الأنانية الساعية وراء المتعة، فعلياً حينئذٍ أن نستمر في تلبية وإمتاع هذه الاحتياجات الأنانية التي تشعر بها تلك الطبيعة. وعندما نفشل في تحقيق بعض هذه التوقعات الجسدية، فإنهم يغادرون وهم يقولوا أن المسيحية لا تصلح لهم.

لا يمكنك أن تصنع من المُستهلك تلميذًا عن طريق تسليته وإمتاعه. إن الدعوة لأن نضع حياتنا ونتخلى عنها يجب أن تأتي أولاً. ونجد هذا الاقتباس الشهير يصيغ تلك الفكرة عينها بهذه الطريقة: "لم يجرب أحد المسيحية ووجدتها ناقصة. لقد وُجِدَت المسيحية دائماً عسيرة وغير مُجربة"²⁷ ولكن الأمر الذي يفقده هذا الاقتباس بطبيعة الحال هو الإقرار بأن الأمور لا تحدث بقوتنا الذاتية لكن فقط بواسطة النعمة من خلال الخضوع الكامل لله.

٢- إذًا فأنت لا تؤمن بأن العهد الجديد هو عهد البركة المادية؟

- لا. إن العهد الجديد ليس عهدًا للبركة المادية. إنه عهد المجد الذي ينص على أنه عندما نقدم حياتنا ليسوع، فسوف يقدم يسوع المجد والعزة لله من خلال حياتنا بغض النظر عما نجتاز به. حتى أن معجزة الصليب ستعمل على تحويل معاناتنا لمجده.

وقد كان العهد القديم عهدًا للبركة الزمنية المؤقتة كما أنه مازال ينطبق بوجه عام على الأسر والمجتمعات والأمم. الخطية والأنانية يجلبان المرض، الخوف، الاغتراب، الوحدة، الفقر والدمار، في حين أن "البر يرفع شأن الأمة". لا تُبارك الأمم بسبب النظم الرأسمالية أو الديمقراطية بل تتبارك وفقًا لدرجة امتثال المجتمع العام للوصايا العشر .

²⁷ مقولة شهيرة لجي. كاي. تشيسترتون G. K. Chesterton (١٨٧٤ - ١٩٣٦): شاعر وكاتب وفيلسوف وصحفي أدبي، إنجليزي الجنسية. ويناقش هذا الاقتباس الأفكار الشائعة المنادية بأن الأشخاص الذين اجتازوا في الحياة المسيحية قد وجدوها ناقصة ولم تفب باحتياجاتهم، حتى أنهم قالوا عنها، "تُعد الحياة المسيحية بمثابة زوج بال من الأحذية، لا يفيدك حين يكون هناك احتياج لاستخدامه". ويوضح الاقتباس في الجزء الثاني أن الأشخاص بشكل عام قد وجدوا الحياة المسيحية عسيرة وصعبة حتى أنهم لم يقرروا. وبسبب ذلك فهم لم يختبروا في الحقيقة ملء الحياة المسيحية. (ف. ت.)

الفصل الرابع

كيسٌ، ومزود، وأحذية، وسلام

"لاَحْمَلُوا كَيْسًا وَلَا مَزُودًا وَلَا أَحْذِيَّةً، وَلَا تُسَلِّمُوا عَلَيَّ أَحَدٍ فِي الطَّرِيقِ." (لوقا 10: 4)

١- كيس النقود والإرسالية

كلما تابعنا قراءة تلك الفقرة، نجد أن يسوع يُعلِّم تلاميذه أن يبحثوا عن ابن السلام، ويدخلوا بيته ويأكلوا ويشربوا معه. كان تعليمه لتلاميذه أن يبقوا مع هذا الشخص بالمنزل ويخدموه هو وأهل بيته. إذا فعلنا ذلك، وتحديدًا إذا بدأنا الرحلة بلا نقود، نكون قد وضعنا اعتمادنا بالكامل على هذا الشخص لقضاء حاجتنا اليومية. لذلك فالحديث عن كيس النقود، وإن كان تفسيره حرفيًا صحيح، فهو أيضًا رمز للقدرة التي تمتلكها وعلاقة ذلك بالآخرين وبكيفية تعاملنا مع القدرات المختلفة.²⁸

إذا حملنا كيس نقودنا معنا فستصبح لدينا القدرة على خلق جزيرة صغيرة منعزلة مكونة من أسياننا المفضلة في وسط أي ثقافة نذهب إليها، وهذا بالضبط ما يفعله المرسلون الغربيون في جميع أنحاء العالم. بإمكانك أن تذهب لأي دولة وتجد رقعة من الرفاهية الغربية خلف الأسوار الصلبة الشاهقة. وفي رقعة الأرض تلك ستجد بيوتًا، مدرسة صباحية، كنيسة وربما عيادة طبية، ملجأ أيتام، ومدرسة للكتاب المقدس. أنفق الناس الأموال والوقت والطاقة من أجل خلق مثل تلك المراكز التي يتمكن فيها الغربي من الشعور بالراحة، القدرة، والسيطرة.

يكون تعريف الإرسالية وقتئذ بأنها مهمة إحضار أكبر عدد ممكن من الأفراد من الثقافات المحيطة بك، وجلبهم لمساحتك الخاصة بغرض تعليمهم وتدريبهم - ظاهريًا - كي يكونوا قادة في تلك الثقافات التي أتوا منها. ومع ذلك، فإن الثقافة المحيطة بك لو كانت هندوسية أو بوذية أو إسلامية، فإن اعتناق أحد أفرادها للمسيحية يُعتبر أكثر الأفعال تمردًا. لذلك فإن أسلوب الاجتذاب والانتزاع هذا يميل إلى جذب أولئك الشباب صغير السن الذين يرفضون الثقافة التي يعيشون بها. وفي مقر الإرسالية سيغيرون أسماءهم إلى أسماء "مسيحية"، ويغيرون نوعية الملابس التي يرتدونها، ثم يخضعون للتدريب كي يقوموا بدورهم داخل تلك الجزيرة الثقافية المنعزلة. وكما اشتهر مارشال ماك لوهان بقوله "الوسيلة هي الرسالة"²⁹، فإن هؤلاء الشباب والشابات، بينما هم يخوضون تدريبهم، يصبحون مقتنعين تمامًا أن الطريقة الوحيدة كي تصير قائدًا هي أن تدير الأمور من قلب منشأة كنتك التي يتلقون تدريبهم فيها، وأنت ترتدي معطف بذلتك، وتتحدث من فوق منصة أو من خلف مكتبك الذي ابتعته بأموال أجنبية بينما يتم تمويلك بالمزيد من تلك الأموال. وتتفاهم المشكلة، حيث أن تشييد مركز كهذا لإدارة الإرسالية أمر مكلف جدًا، ولذلك قليلون هم من يستطيعون بناءه. ومثل تلك المراكز يكون قابلاً للتدمير بسهولة ولأن يكون محط تركيز أي جماعة مضادة للمسيحية أو مناهضة للقيم الغربية في ذلك المجتمع.

²⁸ سنتحدث عن الكيس والمزود والأحذية بصورة مجازية للإشارة إلى القدرة، الثقافة، وطرق أداء الأعمال المختلفة. ولا أعتقد أن هذا يشوّه معنى

النص أو يحرف مقاصد يسوع فيه بقدر ما أشعر أن الخبرة تبين لنا كم هذه الرموز ملائمة فعلاً!

²⁹ Marshall McLuhan فيلسوف وأديب كندي، آلاف العديد من الكتب عن الإعلام، والوسيلة المقصودة في المقولة هي وسيلة الإعلام التي تنقل عبرها رسالة معينة، ويقصد أن طريقة توصيل الرسالة جزء لا يتجزأ من محتوى الرسالة نفسها. (ف.ت.)

بالإضافة إلى أن إدارة وتنظيم مثل هذه المراكز ذات الميزانية الضخمة والوظائف الخدمية المتعددة والصيانة المستمرة – عادة ما يتطلب خبرات وموارد غربية، إذا كان مرادًا له أن يدار على هوى الممولين الغربيين. وقد يتم التصريح بأن الهدف هو أن يمسك الأعضاء من "السكان المحليين" مقاليد الإشراف على الإرسالية حين يصبحون "مستعدين"، ولكن يبدو أن هذا اليوم لا يأتي أبدًا. فالقاعدة الذهبية تنص على أنه "من يملك الذهب، يضع القواعد!"

لذلك هناك حقيقة أخرى، وهي أن المُعَوَّد يموت. مثل تلك المراكز لا يمكن الإبقاء عليها دون مساعدات خارجية. أما البساطة فنتمو. المبدأ الذي يعلنه يسوع هنا هو أن ما يمكنه البقاء والتضاعف في المجتمع المحلي هو فقط ما يمكن أن نقبله كتعبير عن ملكوت الله.

الجزء المعقد، الأجنبي، الخانع من الكنيسة الصينية، هو ما دمره "ماو". أما ما كان بسيطًا محمولًا في القلوب، فتضاعف.

لكن ربما تكون المشكلة الأكثر إلحاحًا هي أن الأفراد الذين يتم تعليمهم جيدًا في مراكز الإرساليات، يصبحون مرفوضين من قِبَل عائلاتهم وأصدقائهم والمجتمع ككل، ومن ثمَّ يكون لهم تأثير ضئيل جدًا على البيئة التي يعيشون بها. كل تلك الأموال التي تم صرفها لم تؤت أي ثمر في المجتمع إنما أنتجت رفضًا. لقد حققنا عكس ما خرجنا لتحقيقه تمامًا.

2- المذود، والثقافة المحيطة.

إنني على يقين من أن يسوع لم يكن ضد المذود (أي الحقيبة) في حد ذاته، خاصةً أنني أحمل حقيبة ظهر معظم الوقت. حقيبة الظهر، حقيبة السفر، السيارة الجيب، سفينة البضائع، كلها وسائل من خلالها نصطحب أشياءنا معنا. المذود هنا تعبير مجازي للإشارة كل حقائبنا الثقافية- الأشياء التي تعجبنا، والأشياء التي لا تعجبنا، مفضلاتنا، ملابسنا، عاداتنا المميزة، نوقنا الموسيقي، أعرافنا الاجتماعية، تقاليد زواجنا، أنواع طعامنا، إلخ، إلخ. والمذود هنا له علاقة مباشرة بكيس النقود، لأنه إذا امتلكننا ما يكفي من النقود، يمكننا أن نعيد خلق ثقافتنا المميزة حيثما كنا. وهذا بالضبط ما فعلته الإرساليات الغربية حول العالم. ويخلق ذلك اضطرابًا قاتلًا في قلوب وعقول أولئك الذين نبغي مشاركتهم بيسوع. ما هو الملكوت وما هي ثقافتنا؟ غالبًا ما تكون الإجابة هي أن الاثنين واحد! العناصر المنتمية لإحدى الثقافات وتمقت الأشياء الغربية (بالمناسبة يسوع أيضًا يمقت الكثير من أشياء الثقافة الغربية) عادةً ما ترفض يسوع أيضًا بسبب أن الإرساليات الغربية قد دمجت يسوع في الثقافة الغربية بدرجة يصبح فيها الاثنان في أذهان البعض متطابقين.

اشتهرت الإرساليات الغربية المبكرة بتعليم الأشخاص، الذين يحظون بلغتهم الخاصة الجيدة وتراثهم الموسيقي الرائع، ترتيل الترانيم باللغة الهولندية أو الألمانية أو الإنجليزية. من الوارد أن تُبدي امتعاضنا واستنكارنا عند ذكر مثل تلك الأمثلة على العجرفة الحضارية، لكن هل تحررنا منها فعليًا؟ ما زلنا نريد من الناس أن يأتوا إلينا. عندما نجذبهم إلينا، إلى مجالنا، إلى ثقافتنا، إلى حيث نشعر بالارتياح والسيطرة على الأمور، فنحن بذلك نميل إلى فعل ذلك الشيء الذي نهى عنه يسوع صراحةً، وهو أن نكسب دخيلًا (متى 23: 15).

الدخيل هو إنسان يبدو مثلنا، يتحدث مثلنا، يصلي مثلنا ويطبق في العموم كل القواعد والقوانين المكتوبة والغير مكتوبة للجماعة الدينية التي ننتمي لها. ويكون كل التركيز على المظهر الخارجي والأداء

العلنيّ. ثقافتنا الكنسيّة مليئة بأفراد يبدون متشابهين، يصلون ويتعبدون بنفس الطريقة، ويلزمون نفس آداب السلوك الظاهريّ.

ربما توجد بعض الجماعات الدينية التي يُعتبر ارتداء أزياء أنيقة فيها أمرًا تقليديًا، وجماعات أخرى يُعتبر فيها وضع مساحيق التجميل خطية، وأخرى تحتم عليك أن تكون عفويًا كي يتم قبولك. ذلك الامتثال الظاهريّ قد تتم مقابلته بالترحاب والقبول الظاهريّ، لكن تحت السطح على الأرجح سيكمن التهافت على المنصب، الرغبة في الظهور، الغيرة، النميّة، والخطيئة المكتومة.

يتحدث يوجين بيتيرسن Eugene Peterson عن المحرك وراء ذلك في ترجمته لغلاطية 4: 17 "هؤلاء المعلمون الهراطقة يقطعون أشواطًا كثيرة في تملقكم، لكن دوافعهم فاسدة. يريدون أن يخرجوكم من حرية عالم نعمة الله حتى يكون اعتمادكم دائمًا عليهم للحصول على التوجيه والاستحسان، ومن ثم يشعرون بأهميتهم."³⁰

قد تبدو الأمور هكذا: شخصٌ ما مدمن للمخدرات و/أو السلوك المتهور. بدأ معه الأمر باستعداده لفعل أي شيء في مقابل أن يتم قبوله وسط مجموعة معينة. وكلما كان سلوكه جنونيًا ازداد إعجاب أقرانه به وقبولهم له. مع مرور الوقت يملّ من نمط الحياة هذا ويرغب في التغيير. وربما يمر بالفعل باختبار تغيير حقيقي وتبديل حياته بالكامل. لكن تلك الحاجة لأن يكون مقبولًا، إن لم يتم تلبيتها في الله الأب، فسيكون من السهل التلاعب به والزج به في معمة الاستعراض الديني والأنشطة الدينية والامتثال الظاهريّ الخارجيّ. سيغير طريقة ملبسه، ويتبرع بنقوده، ويواظب على حضور جميع الاجتماعات. سيحب ذلك الشعور بالقبول والاستحسان الذي يناله مقابل ما يبدر منه من سلوك ملتزم مُخلص. مع ذلك، سيشعر بعد مرور الوقت أنه مُستهلك. وسيكون رد فعله مملوءًا بالمرارة والألم وربما حتى يعود إلى إدمانه القديم. لقد استبدل إدمانًا بآخر! استبدل الأنشطة الدينية بالأنشطة التي كان يقوم به مع مجموعة أصدقائه، ولم يتعلم أبدًا أن يحيا بالنعمة في محبة الله المجانية.

الرغبة القوية في نيل القبول والاستحسان من جانب شخصيات محورية تبدو موثوقة وترتسم عليها أمارات الروحانية، والرغبة القوية في أن يكون مشهودًا لك بالروحانية في تلك الجماعة، بإمكانهما منحك طاقة هائلة لتغيير سلوكك وتغيير مظهرك بما يتوافق مع الجماعة. تلك هي خطوات صنع الدخيل، ذاك الذي يحمل على ظهره مذودًا من المظاهر الخارجية بينما قلبه لم يمتلكه يسوع. القضية هنا هي تغيير القلب. دعنا نقتبس مرة أخرى من ترجمة يوجين بيتيرسن للكتاب، لكن هذه المرة من مقدمته للرسالة إلى غلاطية: "تعلم بولس، عن طريق يسوع، أن الله ليس قوة وهمية تُستخدم لجعل الناس يسلكون بأسلوب معين سبق وصفه، لكنه مخلص شخصيّ يحررنا لنعيش حياة حرة. الله لا يجبرنا على طاعته من الخارج، لكنه يحررنا من الداخل."³¹

كل وصايا يسوع، المُركزة في الموعظة على الجبل، لها علاقة باتجاه القلب، مثل المغفرة لمن يسيئون إلينا، ورد اعتبار أولئك الذين أسأنا إليهم، وأن نطلب الرب في السر بدل أن نستعرض أنشطتنا الدينية في العلن.

اللاهوت ذاته هو اتحاد مبني على الثقة والشرف بين الأب والكلمة والروح. أساس الكون كله هو علاقة الحب، لا المنطق ولا القانون. لا تتعلق التلمذة بالضرورة بالعقيدة الصحيحة، إذ أن الله ليس حاسوبًا

³⁰ ترجمة "الرسالة" للكتاب المقدس، Eugene Peterson, The Message, Navpress, 1994.

³¹ نفس المرجع السابق.

إلكترونيًا لاهوتيًا. إنما هو محبة. والكون الذي صنعه أساسه العلاقات المقربة. والتلمذة في أساسها تتعلق بالعلاقات الحقيقية النابعة من قلب حر.

إننا لا ندخل بيت ابن السلام حاملين مذودًا به قيمنا الثقافية الشخصية، بل حاملين قلبًا مفعمًا بالمحبة والاحترام والحرية. ملكوت الله داخلنا، وهذا هو فقط ما يُسمح لنا بحمله! هذا هو كل ما يُسمح لنا أن نشارك الآخرين به. الهدف أن نصنع أصدقاء، لا دخلاء.

3- الأحذية، والمنهجية، و"بروكو".³²

إدًا، ماذا لدى يسوع ضد الأحذية؟ لقد كان على الأرجح يرتدى زوجًا منها عندما قال ما قاله. أعتقد أنه في سياق الأصحاب العاشر من لوقا تمثل الأحذية طريقة قيامنا بالأمر، كيف نسير نحو الهدف وفي علاقتنا مع يسوع.

قصة "بروس أولسون Bruce Olson"، المبشر الرائد الذي كرز بالمسيح لهنود "موتيلون" (الذين أطلقوا عليه اسم "بروكو")، تلك القبيلة العصر-حجرية التي تقطن أمريكا الوسطى، هي قصة ملهمة للغاية. لقد سار وسط الشجيرات إلى إحدى قرأهم وهو حرفيًا لا يملك شيئًا. لم يكن يمتلك حقيبة نقودٍ أو مذودًا على الإطلاق. وعاش بينهم كواحد منهم وتعلم لغتهم بدون وجود أي اتصال بوطنه في أمريكا أو مؤن أو أدوية من أي نوع قادمة له من هناك. كاد أن يموت عدة مرات من الحمى، وكانت معركته مع الطفيليات مستمرة. وبعد عامين قاد أخيرًا أحد الشباب إلى الإيمان بيسوع، وبدأ يصدق أن العديدين سيلحقون به قريبًا.

ومع ذلك أصابه الإحباط أكثر فأكثر من هذا الشاب، إذ بدا رافضًا فكرة مشاركة إيمانه مع باقي أفراد المجموعة، مؤكدًا باستمرار أن وقته لم يحن بعد. وعجز أولسون عن فهم السبب الذي يجعل ذلك التلميذ حديث العهد رافضًا مشاركة أي شيء مع الآخرين.

وحيث أن ثقافة تلك القبيلة كانت شفوية، كان يتم تمرير تاريخهم من جيل إلى جيل عن طريق حفظ كل فرد من أفراد القبيلة لأساطيرها ثم سردها في ليلة مخصصة لذلك حين يصيبه الدور. وكان أولسون قد استمع للعديد من تلك الروايات لكنه لم ينتبه لأهميتها إلا عندما أخبره الشاب أنه في تلك الليلة يأتي دوره ليقصّ عليهم ما حفظه. وفي تلك الليلة، تضمنت روايته حُلْمًا شاهده أحد كبار القبيلة منذ زمن بعيد، عن رجل فاتح البشارة يخرج لهم من بين أكوام ورق أشجار الموز ليخبرهم الحقيقة عن الله وابنه. وقد روى الشاب الحلم، وفسره، وتحدث عن تحقيقه في شخص أولسون ورسالة ابن الله من الكتاب المقدس. في تلك الليلة آمن معظم أفراد القبيلة بيسوع.

لقد ترك أولسون حقيبة أمواله ومذوده خلفه لكنه كان مازال يحتفظ بحذائه الأمريكي. كان يريد للشباب أن يقوم بعمل فردي بصورة شخصية مع كل فرد من أفراد القبيلة على حدة. لكن الشاب لم يفهم تلك الطريقة. لم يكن عالمه سرّيًا فرديًا خاصًا، كان بالأحرى شفهيًا اشتراكيًا عموميًا. وفي عالم شفهي كهذا، يتدفق الجديد من حقائق القديم فيشمل الكل. والشيء الآخر أن نظرة ذلك الشاب للزمن لم تكن غربية، فلم يشعر بضغط الوقت، وكان يعلم أن مواعده سيحين.

Bruce Olson, Bruchko, ISBN 9780884191339³² (بروكو هو كتاب يحتوي السيرة الذاتية للمبشر بروس أولسون - ف.ت.)

نحن نميل جميعًا إلى المركزية العرقية، والتي تعني أن طريقة تفكيرنا وطريقة قيامنا بالأشياء هي "طبيعية" و"صحيحة" بينما الطريقة التي ينتهجها الآخرون "شاذة" و"خاطئة". لا نتحدث بالطبع عن القيم المطلقة مثل الحب، الصدق، الغفران، طهارة المضجع، والتواضع. فالعهد الجديد واضح تمامًا فيما يتعلق بأن المفاهيم المطلقة في علاقتنا بالله هي المقياس للقلب المتحرر النقي، أما عن طريقة تعبيرنا لتلك الحقائق القلبية وكيف نعيشها فذلك يحتمل عددًا كبيرًا من الأشكال المختلفة طبقًا لتنوع الثقافات التي خلقها الله، المبدع الأعظم، لأنه أحب وتمتع بخلقها.

4- قصة اقتفاء أثر الإبل. 33 34

شهدت إحدى دول جنوب شرق آسيا العديد من الحركات الإرسالية العادية على مدار ما يزيد عن المائة عام، حيث توافدت العديد من الطوائف إلى تلك الدولة، وقامت ببناء مقرات لها، وعيادات طبية، ومدارس عادية ومدارس للكتاب المقدس. وقد ركزوا في تعاليمهم على أن من يتم تعميدهم يجب أن يغيروا أسماءهم العربية إلى أسماء مسيحية. وعلموا أنهم أيضًا ينبغي أن يغيروا طريقة ملبسهم لكي لا يتم اعتبارهم جزءًا من المجتمع المحلي المسلم.

كانت نتيجة ذلك أن المنتصرين الجدد أصبحوا بلا تأثير يذكر على مجتمعهم حيث كانوا يعملون ويعيشون ويتزوجون ويربون أطفالهم بداخل المجتمع المسيحي ذي الصبغة الغربية. تركزت حياتهم الروحية حول المباني والقساوسة الأجانب المحترفين. وانقسمت الكنائس في تلك الدولة حسب الطوائف الموجودة... الوضع الذي قد يصفه البعض بأنه عادي!

بعد مائة عام من العمل المرسل من مختلف الجماعات التبشيرية في تلك الدولة التي يقطنها ما يزيد عن 150 مليون نسمة، كان عدد المؤمنين الذين تم تعميدهم حوالي 100 ألف شخص.

منذ حوالي 15 عامًا، قَبِلَ شابان من ذلك المجتمع المسيح، وقاما بعمل بعض التعهدات البسيطة. لم يغيرا اسميهما أو طريقة ملبسهما. لم يتشبهوا بالمجموعات المسيحية الغربية الموجودة حينئذ. لكنهما حرصا على احترام الثقافة التي يعيشان داخلها وأن يستخدموا القدر الموجود بها من الحق في بناء الجسور بين تلك الثقافة ويسوع.

لقد وجدنا أن بعض آيات القرآن تتحدث عن يسوع. سورة آل عمران الآيات من 42 إلى 54 تتحدث عن يسوع وميلاده العذراوي، ومعجزاته، وبرّه، وكونه جاء من عند الله ورجع إليه. وهناك آيات أخرى تأمر المؤمنين بقراءة التوراة والإنجيل قبل قراءة أي كتاب آخر. والتقاليد الإسلامية تأتي على ذكر أربعة كتب ضرورية للإيمان؛ القرآن والأحاديث والتوراة والإنجيل. وقد رأى الشابان أنهما بقراءة القرآن مع الآخرين وطرح الأسئلة حول الفقرات سألقة الذكر، فإن أبناء السلام يتقدمون لطرح المزيد من الأسئلة، ويطلبون النسخ من العهد الجديد، ويدعونهم لمنازلهم، ويطلبون منهم أن يصيروا أتباعًا ليسوع عبر المعمودية.

33 Kevin Greeson, The Camel Training Manual, www.churchplantingmovements.com
34 أسلوب "الجمل" أو "الإبل" في الكرازة هو أحد الأساليب التي ابتدعها "كيفين جريسون"، وهو مبني على الأسطورة التي تقول أن أسماء الله الحُسنى مائة اسم لا يعرف منها الإنسان إلا 99 بينما يعرف الجمل الاسم المائة، وانطلاقًا من هذه النقطة تكون الإشارة بأن "يسوع" هو اسم الله المائة الذي يعرفه الإبل. وهذه الطريقة تنتهج توصيل رسالة المسيح عن طريق التركيز على العناصر المشتركة بين المسيحية والإسلام واستخدامها في بناء الجسور. (ف. ت.)

عندما كان يوجّه لهما السؤال عن رأيهما في "محمد"، كانا يقتبسنا ما جاء بالقرآن من مواضع قال محمد فيها ما معناه أنه ليس إلا ساعٍ خلف الحق ومشيرًا تجاهه. وإذا سُئلا عن يسوع أشارا للآية التي تتحدث عن رجوعه لله. القرآن يعلن أن يسوع لم يمّت على الإطلاق، في مقابل محمد الذي وافته المنية بالفعل. لا تعليق بعد ذلك! لقد تجنب الشباب إثارة الجدل حول ما يعتنقانه، واستغلا تقديس المجتمع للقرآن وتركوا القرآن يتكلم.

تكونت جماعات التلاميذ في المنازل والمقاهي وأماكن العمل. وحين كان يتم إخبار أحد المؤمنين التقليديين عن هذه الحركة كان يصرف النظر عنها باعتبارها مستحيلة الحدوث. قالوا أن هؤلاء التلاميذ الجدد لن يبقوا على إيمانهم، وأنه من الصعب عليهم أن يعيشوا خارج حماية المجتمع المسيحي. وبالقطع كانت هناك تحديات عديدة، لكن بفضل هذه الحركة تم تعميم أكثر من مليون شخص ومازالت الأعداد في ازدياد. وبالمقارنة بحركات التبشير التقليدية، نجد أن هذه الحركة قد أثمرت عشرة أضعاف التلاميذ المؤمنين في عشر الوقت!

هذا الأسلوب يختلف تمامًا عن ذلك الذي يتبعه المرسلون الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل أن يكونوا رواد ملكوت الله في تلك الأمة. نعم، الإرساليات الطائفية كانت ملتزمة ومضحية وتعمل بجدٍ، لكنهم كانوا يحملون أكياسهم ومذاودهم وأحذيتهم. وحتى الآن يكاد يكون مستحيلًا على بعض هؤلاء تصديق أن يسوع يقدر أن يعمل في تلك الأمة بدون قيادتهم وخارج قلوبهم.

5- تحيات وأهداف.

لماذا لا ينبغي علينا أن "نسلم على أحد في الطريق"؟ الأمر يبدو غير وديّ وغير حميميّ. بل يبدو كما لو أنه سي جلب نتائج عكسية أيضًا، نظرًا لكوننا في خضم الالتقاء بأناس جدد والبحث عن أبناء السلام. "وَبَعْدَ ذَلِكَ عَيْنَ لِلَّو سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضًا، وَأَرْسَلَهُمْ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمَعًا أَنْ يَأْتِيَهُ" (لوقا 10: 1)

هؤلاء السبعون لم يكن منوطًا بهم أن يتجولوا في الطريق ويدخلوا أي قرية تقع في طريقهم، إنما أن يدخلوا فقط حيث كان يسوع مزمعاً أن يأتي! كانت لدى يسوع خطة استراتيجية وكان عليهم تطبيقها. كان يسوع واضحًا تمامًا بشأن أنه يعمل فقط ما ينظر الأب يعمل (يوحنا 5: 19) وأنه يتكلم فقط بما سمع الأب يقوله (يوحنا 12: 49-50). خرج يسوع في إرساليته انطلاقًا من عمق علاقته مع أبيه. لم يكن يستجيب فقط للاحتياج الإنساني. نعم، كل ما فعله للأصغر فبيسوع فعل. نعم، متى 25 وأشعياء 58 يحتويان المعايير التي نركز عليها في كل ما نعمل، لكن في إسرائيل كان هناك الكثيرون الذين لم يشفهم يسوع. العديد من الموتى الذين لم يقيمهم. والعديد من الجياع الذين لم يطعمهم. اجتاز يسوع عبر واقع الاحتياج الإنساني على نفس نهج أبيه. كان هناك العديد من القرى على شاكلة السامرة لكن يسوع لم يدخلها إنما دخل فقط تلك القرية لأن طعامه هو مشيئة أبيه (يوحنا 4: 34).

الاحتياج البشريّ يمكن أن يكون غامرًا ومنهكًا. لو كان تجاوبنا مبنياً فقط على تلبية احتياجات البشر، سيتم استنزافنا وبصبينا الغضب تجاه كل من لا يرى الأمور كما نراها ثم تجاه الرب نفسه لأنه لم يمنحنا المزيد من الموارد. نحن لا نجوب الطرقات في محاولة لتلبية كل الاحتياجات. إنما علينا أن نعرف ما يقوله الرب، وأن نرى عمله، وأن نسير معه فيه. هذا العالم ليس لك، هذه الكنيسة ليست لك. هذا عالم الأب وهذه كنيسة يسوع المسيح!

"فَإِنَّا نَحْنُ عَامِلَان مَعَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ قَلَاحَةُ اللَّهِ، بِنَاءُ اللَّهِ. حَسَبَ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَاةَ لِي كِبْنَاءِ حَكِيمٍ قَدْ وَضَعْتُ
أَسَاسًا، وَأَخَّرُ يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلَكِنْ قَلْبُنْظُرُ كُلِّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ."
(كورنثوس الأولى 3: 9-10)

عرف بولس أنه عامل مع الله وعلم، كبناء حكيم، محدودية ما عليه فعله. لقد أرسى الأساسات وترك
الآخرين يبنون فوقها! إنه حقل الرب وبناية الرب. ليس بمقدورك أن تفعل كل شيء. ركز على ما
وُهِبَتْ نِعْمَةً لِفَعْلِهِ، وافعله جيدًا.

مركز الاهتمام ليس هو الاحتياج البشري ورفاهية الإنسان. ذلك هو "المذهب الإنساني"
Humanism³⁵. المركز هو الله ومجده. وهذه هي تبعية يسوع.

الأسئلة الأكثر تكرارًا

1- عندما يسير المؤمنون في ثقافة مختلفة كما وصفت، ألا يعرضنا ذلك لخطر التوفيقية Syncretism
(أي التوفيق والمزج بين الأديان)، بخلط الأشياء الموجودة في تلك الثقافة وذلك المعتقد بالأشياء
الموجودة في العهد الجديد؟

نعم، سيظل هذا الخطر موجودًا. ومع ذلك، نحن بارعون جدًا في ملاحظة الأشياء الوافدة من الثقافة
المختلفة، التي ربما لا تكون صالحة، حين تختلط بإنجيل الملكوت، لكننا عاجزون عن رؤية الخلط الذي
نقوم به نحن.

بعض الغربيين قد يصيبهم الانزعاج إذا نما إلى علمهم أن أحد المؤمنين من خلفية إسلامية يصلي خمس
مرات يوميًا أو يصوم الأصوام الإسلامية حتى مع كونه بكل بديهية يصلي ليسوع ويتطلع إليه في كل ما
يفعله بل يخاطر بحياته من أجل ذلك.

مع ذلك فإن ما يقلقني بالأحرى هو كيف تغلغت المادية الغربية والأنانية والطمع في حياة الكثيرين
وجعلت جزءًا كبيرًا من الكنيسة مجرد جماعة دينية تلهث خلف الرخاء والرفاهية.
يقلقني كثيرًا كم الذين يعتنقون تهافت ثقافتنا على الاهتمام بأشياء مثل تبادل الهدايا، ملامح الشخصية،
المشاهير والامتيازات الخاصة، وكيف حولوا قطاعات عريضة من الكنيسة إلى جماعات دينية تتمركز
حول الشخصية والأسلوب. لقد عمدنا الطمع بالماء وأسميناه مشيئة إلهية، ونصرنا تعظم المعيشة
وجعلناها بركات سماوية!

2- إن كنت لن تأخذ معك أي نقود، فكيف ستقوم بأعمال الرحمة ومساعدة الفقراء؟ أليس هذا جزءًا من
مهمتنا؟

نعم، نحن نجتمع الأموال لغرضين أساسيين، وهما إرسال الفرق الرسولية إلى أماكن جديدة ومساعدة
المحتاجين. هو بالفعل جزء من مهمتنا

لكن السؤال هو: كيف ننتم هذه المهمة؟ في رأيك، ما هي أفضل طريقة لمساعدة الأيتام في مجتمع من
القرويين؟ هل نبني مؤسسات اجتماعية على النمط والمقاييس الغربية تتطلب لإدارتها تمويلًا غربيًا

³⁵ الإنسانية أو المذهب الإنساني هو مجموعة من وجهات النظر الفلسفية والأخلاقية التي تركز على قيمة وكفاءة الإنسان، فرديًا وجماعيًا (ف.ت.).

وخبرات أجنبية؟ أم نساعد عائلات القرية وندريبهم على تربية وكفالة هؤلاء الأيتام في بيوتهم؟ في الملجأ الغربي سيحصلون على حمامات مياه دافئة وصرف صحي، بينما في البيوت المحلية بالقرية ربما لا توجد أنابيب مياه داخل البيوت. أيهما أفضل؟

المؤسسة المبنية على الطريقة الغربية ستستهلك أموالاً طائلة ويمكنها فقط تقديم المساعدة لعدد محدود من الأيتام، وتتطلب الكثير من الخبرة ولهذا يصعب عليها أن تتضاعف في العدد، والسكان المحليون لن يقدروا على إدارتها، كونها شديدة التعقيد وتتطلب موارد لا تتوفر لديهم. مثل تلك المؤسسات تعمق الفقر والعجز والاعتمادية لدى سكان القرية. وتخلق في قلوبهم البغضة والكراهية، وأيضاً تصنع أطفالاً غير قادرين على العيش في مجتمعهم المحلي، أطفالاً يرغبون في نمط الحياة الغربي وأجوائه.

ماذا لو ساعدنا الأسر المقيمة في القرية على رعاية أطفالهم والأطفال اليتامي معهم في منازلهم؟ كيف سيبدو ذلك؟ ربما يشبه ما يفعله بعض الأصدقاء في كينيا، حين قدموا المساعدة لعائلة من السكان المحليين بأن أهدوهم بعض الدراجات حتى يمكنهم كسب المال من خلال استخدامها في خدمات التوصيل بالأجرة فيتمكنوا من أن يضموا لمنزلهم عشرين طفلاً. الأطفال يعيشون كأى طفل في تلك البيئة، والنموذج بسيط وقابل للتكرار. هذا النموذج يعطي بعض الأمل في توفير مساكن لجميع الأيتام، حيث أنه قابل للتكرار باستخدام الموارد المحلية المتاحة. هذا النموذج يعزز الشعور بالقدرة، ويطلق العنان للابتكار وروح المبادرة، وينتج الاستقلالية.

لا يمكننا على الإطلاق أن نبنى أو ندير ملاجئ غربية النمط بالعدد الكافي لسد الاحتياج، إذًا لماذا نُصر على القيام بتلك المشروعات الباهظة والمكلفة للنقود والأشخاص؟ لأنها تحسن من هيتنا، وتجلنا نشعر بالقوة. نعم هذه الدوافع بدأت تتغير لكن ما زال أمامنا طريقاً طويلاً. نحتاج أن نفكر كما يفكر السكان المحليون، في أشياء بسيطة، قابلة للتضاعف، خلاقية، قابلة للتحقيق، وتساعد على منح المحليين القوة والثقة.

3- ماذا عن الاحتياجات التي لا يمكنك تلبيتها؟

هل تثق أن الله يرى الاحتياج أعمق حتى مما يمكن أن نراه نحن؟ هل تصلي لأجل الفعلة في الحقل؟ هل تصلي أن يبارك الله الموارد المحدودة؟ هل تصلي من أجل أفكار خلاقية تحل مشكلات قديمة؟ هل تبحث عن شراكة استراتيجية مع هؤلاء الذين لديهم دعوة أو موهبة أو إمكانيات مختلفة عن التي لديك؟ هل تفتح أبوابك لهم؟ أم أنك تحد الله بما يمكنك أنت أن تفعله؟

البرازيل لديها مشكلة كبيرة فيما يخص أطفال الشوارع. هؤلاء الأطفال يتعاطون المخدرات ويستنشقون المواد المتطايرة في الغراء ويسرقون من أجل أن يعيشوا. وأحياناً كانت الشرطة تطلق عليهم الرصاص كالكلاب الضالة. بعض أصدقائنا يحاولون خلق بيوت لهؤلاء الأيتام عن طريق بناء منازل يعيش فيها 10 أو 12 طفلاً مع أب وأم بالتبني. وهذه البيوت رائعة بالفعل، لكن ما زال هناك الآلاف من الأطفال في الشوارع. طلبت مجموعة كنائس في البرازيل من الحكومة أن تفعل شيئاً بخصوص أطفال الشوارع. هل يعد الأمر حقاً مسؤولية الحكومة؟ أخبرنا صديقنا أنه لو قام كل قائد بالكنائس الإنجيلية في البرازيل بتبني طفل واحد، لانتهت مشكلة أطفال الشوارع.

هل تواجهك احتياجات تعجز عن تلبيتها؟ خذ نصيحة الأم تيريزا، "ابدأ بما عند قدميك." افعل ما بوسعك ولا تركز على ما ليس بوسعك.

4- كيف تعرف إلى أين سيرسلك الله؟ لقد حدد يسوع مدناً بعينها ليذهب إليها. كيف بإمكاننا نحن أن نعرف إلى أين نذهب؟

علينا أن نصغي ونعمل. لهذا أساس الكنيسة هو الأنبياء والرسل. ربما يكون لدينا العديد من الأفكار الجيدة، ولكن هل ننصت؟ هل نميز لغة الأحلام والرؤى مثل بطرس في الإصحاح العاشر من أعمال الرسل أو بولس في الأصحاح السادس عشر من نفس السفر؟ هل نميز الأبواب المفتوحة للعلاقات والمواعيد السماوية كبولس الرسول في أعمال الرسل 18: 1-3؟ هل نصغي لرغبات قلوبنا طويلة الأمد؟ ماذا وضع الله بداخلنا؟ بماذا نحلم، فيم نفكر، وما الذي نصلي لأجله؟ ما الأمر الذي مُنِحنا نعمة وإيماناً من أجله؟ هل أنت مستعد أن تبدأ تماماً حيث أنت الآن؟

الفصل الخامس ابن السلام وسلامكم

"وَأَبْتَيْتِ دَحْلُثُمُوهُ فَفَوَلُّوا أَوْلَا: سَلَامٌ لِهَذَا الْبَيْتِ. فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ ابْنُ السَّلَامِ يُحِلُّ سَلَامَكُمْ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَيَرْجِعْ إِلَيْكُمْ." (لوقا ١٠: ٥-٦)

١- السلام عليكم!

إن التحية النموذجية في أغلب الثقافات الإسلامية هي "السلام عليكم!" والتي تقابلها "السلام لكم." ويكون جواب متلقي تلك التحية هو "وعليكم السلام"، والتي يقابلها "السلام والنعمة." ينطبق هذا تمامًا مع ما يقوله يسوع. فهو رجل شرقي ترعرع في ثقافة شرقية.

هل تعرف أنك سفير للملكوت تحمل حضور الملك أينما توجهت؟ هل تعرف كل شيء عن سلطتك كسفير لنُشيع سلام الملكوت؟ هل ستكون المبعوث بالسلام الذي سيحل على البيت الذي تدخله؟ هل تنطلق خلال المواقف والظروف الجديدة مستعيًا بالخوف أم بالسلام؟

هل يشعر هؤلاء الذين لم يتعرفوا على يسوع بعد أنك تتقبلهم وينبعث منك السلام بدلًا من الإدانة والتشامخ؟ لقد دُعي سيدنا بـ "صديق الخطة". هل اكتسبنا نحن هذا اللقب أيضًا؟ لقد سعت الساقطات وراءه لأنهن كن يدركن نواياه الصالحة تجاههن وأنه قد قبلهن بكل ما فعلن في حياتهن. وقد شعر العشارون أيضًا بالارتياح في التعامل معه بسبب درايتهم أنه لم يكن يرغب في إدانتهم.

إن أولى الأولويات هي أن نكون صانعي سلام. في بعض الأحيان نكاد نُسرر بالتحدي والعزلة وتوليد الرفض تجاهنا في الآخرين، نظرًا لأن هذا يتيح لنا أن نقول أننا قد حاولنا المشاركة لكنهم رفضونا. روح التدين تفخر بالاضطهاد والكلمات بدلًا من الأفعال. لكن أليس ممكنًا أنهم ربما يرفضون أساليبنا في التعبير، لا يسوع؟ إن المهمة الأولى هي أن نشيع السلام. إن الحق هو الذي يجب أن يدعمك. ليس عليك أن تقود الحق! استرح واستلق بين ذراعيه. يسوع، الطريق، الحق والحياة، قد أتى إلينا كصديق راغب في الخدمة. ليس عليك أن تدافع عن الحق - الحق هو الذي يحامي عنك. السلام لكم!

٢- العثور على ابن السلام.

يُدعى مثل هؤلاء الأشخاص "أبناء السلام" لأنهم يفتشون عنه. الله يعمل في قلوب مثل هؤلاء وعلينا أن نقتفي أثر الله حيث يعمل. علينا أن نكتشف من أين يوشك يسوع على زيارة هذا الشخص. كيف يمكننا أن نعثر على هذا الشخص؟

إن الأخوة الذين كانوا روادًا في أسلوب "اقتفاء أثر الإبل" في الكرازة كانوا يتوجهون أحيانًا إلى أحد المساجد ويلتمسون تلاوة القرآن مع الرجال المتواجدين فيه. قد يقرأون من سورة "النساء" ويبدءون في التساؤل عن معناها. لقد أفردوا أسئلتهم حتى نتج عنها المزيد من الأسئلة. وهي تندرج تحت تلك النوعية من الأسئلة التي كثيرًا ما تؤدي إلى تساؤلات بشأن يسوع وبشأن "الإنجيل"، العهد الجديد. في بعض الأحيان يُطلب من مثل هؤلاء أن يعودوا مرة أخرى من أجل محادثة أخرى. أحيانًا قد يتبعهم أحد الأشخاص خارجًا ويطلب منهم أن يعودوا مرة أخرى لبيته ويحضروا معهم نسخة من العهد الجديد. قد يكون لهم عدة محادثات

مع هذا الرجل وبعد ذلك يدعوهم مرة أخرى ليحضروا إلى بيته فيجدوه مليئًا بأفراد العائلة والأصدقاء المقربين ويطلب منهم، "فتخبروهم الآن عن كل شيء أخبرتموني عنه."³⁶ إن الرؤى والأحلام هي أمور شائعة جدًا بين المسلمين الباحثين³⁶ حتى أن إحدى الطرق لبدء محادثة معهم هي سؤالهم ببساطة عما إذا كان لديهم أي رؤى أو أحلام. وإذا كان لدى هؤلاء بالفعل رؤى عن يسوع، فقد يبدو عليهم الاندهاش الشديد من سؤالك. وقد يشعر هؤلاء الأشخاص باندهاش أكثر إذا سألتهم عما إذا كانت تلك الرؤية لرجل في ثياب براقعة شعروا بالإنجذاب تجاهه بصورة غير مبررة. حينما تجد ابن السلام، فسوف يحل سلامك على البيت. وإذا لم يكن هناك ابنٌ للسلام، فسوف يعود سلامك إليك وأنت تمضي في طريقك تاركًا هذا البيت. إن لتلك المَسْحَة، لذلك الحضور الخاص بالروح القدس، ولذا السلام الدور الأقوى والأكبر في إيصال الشهادة التي تزفها إليهم. وعندما تجد ابن السلام، فهو سوف يتعرف على السلام الذي ينبعث منك وسوف يكون لهذا الدور الأكبر في أن يفتح لك قلبه وبيته. نعم، مهارتك في التعامل مع الناس تلعب دورًا، وبالفعل نحن بحاجة لأن نتصرف بحكمة، لكن لا تسير الأمور بصورة جيدة بسبب مهارات التعامل مع الناس أو التدريب. إنما تنجح لأن الله يعمل في قلوبهم من خلالك ويدعو يسوع هذه التحركات الداخلية بـ"ديناميكية السلام". فياله من عمل جبار لله: أن يجلب السلام لتلك القلوب التي ترعى النزاع والحقد والكراهية بطبيعتها. وقد يكون ابن السلام هو أول مهتدٍ في قرية أو في فئة اجتماعية معينة. وربما تكون شهادته مؤثرة جدًا بحيث أنها تهيب تلك القرية أو تلك الفئة لقبول يسوع. هذا هو ما حدث مع تلك المرأة السامرية التي قابلها يسوع عند بئر يعقوب في يوحنا ٤ ومع الإنسان الذي كان به روح نجس في (مرقس ٥: ١٩).

ربما يكون لابن السلام التأثير الأكبر في وسطه الاجتماعي. وهناك العديد من الشهادات التي تأتي من شمال أفريقيا عن قادة مسلمين أصبحوا تابعين ليسوع وبعد ذلك كان لهم الدور الرئيسي في التأثير على مرتادي المساجد التي يقودونها ليصبحوا هم أيضًا أتباعًا ليسوع. لقد لعب ابن السلام المؤثر هذا دورًا في قصة بطرس مع كرنيليوس وأهل بيته في الأصحاح العاشر من أعمال الرسل كما لعب دورًا في قصة بولس وسيلا وإيمان حارس السجن في فيلبي. وفي كلتا الحالتين "اعتمد في الحال هو وأهل بيته". فحتى وإن كان ابن السلام هذا هو الشخص الذي آمن أولاً بيسوع، إلا أن هدفك يجب أن يكون هو رؤية جميع أفراد أسرته يتعمدون في وقت واحد بعد أن يقرروا اتباع يسوع. نحن غالبًا ما نتعجل القيام بالمعمودية، ومن ثم نقوم بفصل أحد أفراد العائلة عن البقية. ربما يكون من الأفضل أن تسعى لتقديم دراسة استكشافية في الكتاب المقدس مع جميع أفراد العائلة وأن تقودهم ليصبحوا أتباعًا ليسوع ثم تقوم بتعميدهم كمجموعة. وهكذا يصبح الاحتفال بالمعمودية هو أيضًا احتفالًا بغرس كنيسة جديدة في هذا البيت.

³⁶ Jim Rutz, Mega Shift, Colorado Springs, Colorado, Empowerment Press, 2005, page 79.

الأسئلة الأكثر تكرارًا

١- ماذا عن ابن السلام في الثقافة الغربية المتحضرة؟

- لقد خضنا العديد من المناقشات بشأن العثور على ابن السلام في الثقافات الغربية أو المتحضرة. إن السياق الخاص بـ (لوقا ١٠) هو سياق شرقي محض بل ريفي، حيث يقطن ثلاثة أجيال وعائلات تتكون من عدة أشقاء بالإضافة إلى الخدم في مكان واحد مشكلين أسرة كبيرة تتكون من ٢٠ إلى ٤٠ فردًا. وأن تعيش بينهم وتعلم ابن السلام ليصبح هو قائدًا / راعيًا لعائلته وأصدقائه وأن ترى هذا الأمر يتكرر وينتشر بين العائلات، هو بعينه ما يحدث الآن عبر العديد من ثقافات العالم الثالث. تلك النماذج هي وقود لحركات زرع الكنائس التي تتسارع في نموها.

كيف يمكننا أن نقوم بتطبيق تلك المبادئ التي نجدها في لوقا ١٠ على الثقافة الغربية أو العالم المتحضر حيث النزعة الفردية والتفكك الأسري هما النموذج السائد لا العلاقات الأسرية طويلة المدى؟ هل جاوزت تعاليم يسوع في لوقا ١٠ كل الحدود الثقافية؟ بالطبع - فنحن نتحدث عن يسوع! ونجد "العائلات" في الغرب - الأشخاص الذين نقضي معهم أغلب أوقاتنا - تميل لأن تنقسم إلى مجموعات لها انتماءات واهتمامات مختلفة. المشكلة ليست في الحصاد. هل مازلت تنتظر أن يأتي الحصاد إليك؟ تذكر أن يسوع لم يقل مطلقًا أن ذلك قد يحدث في يوم من الأيام! لكنه أمرنا أن نصلي من أجل الفعلة الذين قد يرسلهم. وأنه سوف يرسلك كاستجابة لصلواتك الشخصية. وها نحن نستعرض بعض الأمثلة الغربية المعاصرة....

انضم قائد فريق إحدى الخدمات متعددة الأوجه في إنجلترا إلى نادي الكريكت³⁷ المحلي وانخرط في جميع مجالات النشاط في النادي. والنتيجة؟ لقد تعمّد العديد من أعضاء هذا النادي كأتباع ليسوع. صديقة من ألمانيا تلقت تعليمات واضحة من الله أن تذهب للحانة العامة المجاورة لها. "يارب، لم أذهب قط إلى حانة في حياتي فلماذا الآن؟" وذهبت تلك الصديقة وانضمت لطاولة يجلس عليها العديد من السيدات المهتمات بالأمر الروحانية السرية³⁸، مجتمعات من أجل لقاءهم الأسبوعي. لقد قبلوا اشتراكها معهم في المناقشة. وبعد أسابيع قليلة من الاستماع والإجابة اللطيفة على القليل من استفساراتهم، وجهوا لها الدعوة لأن تتحدث طوال تلك الأمسية وتشارك بأمر علاقتها مع يسوع. لقد فعلت ذلك في بيت السلام المثير للانتباه هذا. وما ترتب على ذلك لاحقًا هو أن تحضر حفلة شواء معهم جميعًا ومع أزواجهن وقد اكتشفوا حينها أن أحد الأزواج كان يقرأ الكتاب المقدس منذ وقت ويطمنى "لو كان هناك أي شخص يمكن أن يساعده على فهم ما يقرأه؟"

بدأ صديق ألماني آخر في التسكع مع المشردين، الفاسقين وغيرهم ممن كانوا على حافة الضياع، في منتزه عام. ما الذي نتج عن ذلك؟ العديد من الأتباع المعمدين ليسوع، الذين كونوا فيما بعد مجتمعًا ليسوع في ذلك المنتزه العام. وقد كان لأحد الرجال قصة خاصة عن إيذاء مروع حدث له في طفولته ومعيشته لمدة ١٥ عامًا في الشوارع بلا مأوى.

³⁷ كريكت Cricket: رياضة جماعية يلعبها فريقان، تلعب بمضارب وكرات خاصة. (ف. ت.)

³⁸ الروحانية الباطنية/السرية Esoteric Spirituality: هي تعاليم صوفية غامضة ومتنوعة موجودة في المجتمع الغربي، وتتضمن الفلسفة والتأمل والتداوي بالأعشاب الطبية وعلم التنجيم والتنبؤ والخيمياء، والأشكال العديدة من السحر. (ف. ت.)

هل ترغب في أن تكون راعياً؟ لماذا لا تصبح الراعي (المُرب/المروض الجيد) للفريق الرياضي المشترك به ابنك؟ صديق مقرب لي فعل هذا الأمر والتقى مع أحد الآباء بعد أن شعر بالانجذاب للحديث معه. وعند مرحلة معينة توقف هذا الوالد عن حضور تدريبات ابنه ومبارياته. وقد ظل صديقي هذا يوجه دعواته للتقابل مع هذا الوالد لكنه لم يلبها حتى قبيل عيد الميلاد. وعندما لبي هذا الوالد دعوة صديقي بدأ يتحدث عن أنه كان يعيش في يأس مدقع وأنه كان في طريقه للانتحار. تلك كانت البداية للعديد من المحادثات بينهما والآن هذا الوالد وزوجته أصبحوا أتباع يسوع.

لقد قابلنا بيتر في دوشانبي³⁹، طاجيكستان⁴⁰، وهو قائد خدمة هناك. أعلن بيتر عن دروس مجانية للقفز بالمظلات مع معدات مجانية. يهوى الشباب اليافع المغامرات ويرغبون في أن يقوموا بتلك الأمور هناك كما في أي مكان، لكن لا تتوافر لديهم الإمكانيات أو الفرص. لقد ابتكر بيتر بيت السلام خاصته في صورة مكان لتعليم القفز بين الشبان.

في مدينة نيويورك، هناك حركة خاصة بناطقي الإسبانية الذين ينتشرون من خلال ما يدعونه بـ "مجموعات التواصل". حيث يدعو الأفراد المتحمسون ليسوع الأصدقاء والعائلة وزملاء العمل لمنزلهم أو لأحد المطاعم حيث يوجد غداء، فيلم، مناقشة، وصلاة من أجل المرضى. ومن الممكن أن تصبح مجموعات التواصل بمثابة كنائس منزلية صغيرة بقدر ما يأتي الناس ليسوع، وحينها ستتكوّن المزيد من مجموعات التواصل الجديدة.

إحدى أفضل المقدمات عن تبسيط حركة غرس الكنائس في المجتمعات المتحضرة نجدها في كتاب "نيل كول Neil Cole"

Organic Church: Growing Church Where Life Happens, Wiley Press, 2005.

تميل بيوت السلام في المجتمعات الغربية والمتحضرة لأن تكون في هيئة مجموعات فئوية يتشارك أفرادها في الاهتمامات. وقد تتفاوت تلك المجموعات من كون أفرادها رجال أعمال أثرياء إلى كونهم من المهاجرين حديثاً. إن الروح القدس هو الشخص الأكثر إبداعاً في هذا الكون - فلماذا يبدو أن أغلب الكنائس غير بدّاءة؟ اطلب منه لأجل ذلك الأمر. احلم معه. أبحر معه في مغامرة الإيمان والمحبة. ابحث عن ابن السلام الذي عليك أن تتقابل معه. إن مصيرك متعلق بمكان الحصاد الذي عليك أن تتواجد فيه. وسيكون حصادك حينما يكون مصيرك!

³⁹ دوشانبي Dushanbe: عاصمة طاجيكستان. (ف. ت.)

⁴⁰ طاجيكستان Tajikistan: دولة تقع في آسيا الوسطى. (ف. ت.)

الفصل السادس

الوصية الإلزامية بمشاركة الطعام والشراب

وَأَقِيمُوا فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ أَكْلِينَ وَشَارِبِينَ مِمَّا عِنْدَهُمْ، لِأَنَّ الْقَاعِلَ مُسْتَحَقَّ أُجْرَتَهُ." (لوقا ١٠: ٧)

١- النزاهة في العلاقات والتضاعف العددي.

بمجرد أن تجد بيت السلام الذي عليك أن تتواجد فيه، ابق فيه. أو كما يقول بيتيرسن في ترجمته للكتاب المقدس: "لا تنتقلوا من بيت لبيت باحثين عن أفضل طباخ في المدينة." ما أن تجد بيت السلام، فعامل أهل البيت باحترام. كُن مثالا حيا معبرا عن النزاهة في العلاقات والإخلاص والمودة. وإن قادك الله لهنالك، فتغاضى عن أي سوء تفاهم وذلك كل العقبات لتبقى هناك. ابذل كل جهدك لإنجاح الأمر. إن وصية يسوع بأن تبقى في البيت ترتبط بوصيته بأن تُتلمذ وأن ندرّب الجميع على أن يطيعوا الأمور التي أوصى بها يسوع. إن مهمتنا ليست في إحصاء البطاقات الخاصة بإقرارات الإيمان. كما أن العلاقات التي تتكون في بيت السلام الذي تدخله ليست حدثا يحدث مرة واحدة. أنها أمور تترسخ على المدى الطويل! عليك أن تمكث معهم في علاقة متصلة ولا ترحل عنهم حتى تتم مهمتك في تلمذتهم على أكمل وجه، وبعد ذلك تستمر علاقتكم كأصدقاء. عليك أن تدرّبهم بعد ذلك ليكونوا رعاة لعائلاتهم ولأصدقائهم في منزلهم الخاص. فربما يكون صديقك الجديد على راحته إن زارك في منزلك، أما عائلته أو أصدقائه فقد لا يكون الأمر هكذا بالنسبة لهم. كما أنك لا ترغب في حشد الناس لنفسك. هدفك يجب أن يكون دائما هو الذهاب لبيوت جديدة وتعليم ابن السلام المتواجد في كل بيت أن يفعل نفس الأمر. يجب أن يكون ما ترغب فيه هو التضاعف العددي للتلاميذ. وعندما تقوم بهذا الأمر بمفردك فلن تتمكن سوى من أن ترى النمو يحدث عن طريق الإضافة العددية لكن عندما يقوم تلاميذك بنفس الأمر معك، فستبدأ في رؤية التضاعف العددي. سيخرج الأمر عن السيطرة عندما تصل إلى الجيل الرابع من التلاميذ، لكن الأمر المحوري هو أن يحدث ازدياد في قوة العلاقات أيضا. كان يسوع اثنا عشر تلميذاً ملازمون له لمدة تجاوزت الثلاثة سنوات. وقد استمر يسوع في صرف الجموع المحتشدة حوله بعيداً خاصة عندما أرادوا تنصيبه ملكاً. لقد بذل حياته مع الاثني عشر تلميذاً. لم يصف يسوع أحداً لهم نظراً لأنه لم يرغب في إضعاف طبيعة العلاقة الخاصة التي بدأها معهم.

لقد سمعت عن العديد من الشهادات التي تصف الصداقات الحميمة والمبهجة التي تمتع بها الناس عندما بدأوا في الاجتماع سوياً ككنيسة في بيت أحدهم. ثم كثر عددهم وسرعان ما شعروا بأنهم في حاجة لمبنى يجتمعون به، وكلما كثر عددهم فقدوا الطبيعة الخاصة للعلاقات الحميمة التي تكونت بينهم في بادئ الأمر. وبذل الصداقة حلت البرامج التنظيمية، حتى فقدوا محبتهم الأولى بعضهم لبعض لأنهم ازدادوا في العدد. وهذه هي النتيجة المترتبة على النمو عن طريق الإضافة العددية.

لم يُضعف يسوع من طبيعة العلاقات التي تكونت بينه وبين تلاميذه عن طريق السماح للأخريين بالانضمام لمجموعة الاثني عشر. ولك أن تتخيل رغبة الكثيرين في الانضمام لتلك المجموعة لكنه لم يسمح لهم. وإذا تسنى لكل فرد من الاثني عشر أن يكون له لاحقاً مجموعته الخاصة من التلاميذ فهو سينعم بنفس طبيعة العلاقات. ويحدث النمو في مثل تلك المجموعات عن طريق التضاعف العددي من خلال إطلاق جيل جديد

من التلاميذ. هذه الطريقة لا تمت بصلة لبرامج التسويق متعددة المستويات ولكنها تُعد بمثابة التعبير الفطري البسيط عن العلاقات الحياتية الصحية.

يتسم هذا العمل باحتياجه لفترة زمنية طويلة من أجل إتمامه، وأنه عمل مستتر يحدث في نطاق العلاقات. لا يُعد هذا العمل حدثًا منظمًا يجب علينا الترويج له وإنجازه. الفعاليات والبرامج الكنسية لا ينتج عنها التلاميذ. التلاميذ فقط هم الذين يستطيعون ربح المزيد من التلاميذ.

٢- العلاقة بين مشاركة الطعام والشراب والقبول، الانتماء، السلوك اللائق، والإيمان.

لقد وجدت أن جميع الثقافات تشترك في أمر واحد، وهو أنه عندما يتشارك أصحاب الدار في الطعام مع أصدقاء جُدد فإنهم يكونون متلهفين لمعرفة ما إذا كان هؤلاء الوافدون الجدد يستمتعون بالطعام أم لا. لماذا؟ لأنه إن كنت مستمتعًا بالطعام، فسوف تبدي استحسانك واستمتاعك بثقافتهم، بما يحبونه وبما لا يحبونه، بهداياهم لك، والأهم، بالبشر أصحاب تلك الثقافة أنفسهم.

تلك الوصية بأن تأكل وتشرب "مِمَّا عِنْدَهُمْ... مِمَّا يُؤَدِّمُ لَكُمْ" هي وصية صادمة في الثقافة اليهودية المحافظة التي حرمت تناول الكثير من الأطعمة لأنها "غير طاهرة". كلوا مما يقدم لكم؟ كان تلك الوصية بمثابة انقسام ثقافي، حتى أن هذا الأمر قد تطلب حلمًا قويًا جدًا تكرر لثلاث مرات كي يفهم الرسول بطرس ما تعنيه تلك الوصية وينقلب على تلك العادات الثقافية التي تقيده. وأصبح بطرس مستعدًا -نتيجة لهذا اللحم - لأن يتناول طعامًا غير طاهر مع الأمميين غير الطاهرين (حسب الشريعة اليهودية) في بيت كرنيلوس في الأصحاح العاشر من أعمال الرسل، ثم بعد ذلك دافع عن قراره هذا أمام الرسل الآخرين في أعمال الرسل ١١.

لاحظ الترتيب في (لوقا ١٠: ٧-٩)... علينا أن نتشارك الطعام مع أهل البيت، نخدّمهم، ثم نعلن لهم عن الملكوت. إن تناول الطعام سويًا يعبر عن قبول أحدنا للآخر ولكن في الثقافة الخاصة بزم يسوع كانت الدلالة الخاصة بذلك أقوى مما لها في وقتنا الحالي. إن كسر رغيف من الخبز مع أشخاص آخرين كان يعني أنك بذلك تلتزم بأن تكون صديقهم مدى الحياة. لقد كرر يسوع وصية التشارك في تناول الطعام مرتين. إذًا فعلينا أن نخدم أهل البيت ثم بعد ذلك نعلن "قد اقترب منكم ملكوت الله."

صونا نوضح هذا الأمر بطريقة أخرى، أولاً الانتماء: الصداقة والألفة. وثانيًا، السلوك اللائق: الخدمة وتلبية الاحتياجات. وأخيرًا الإيمان: الحق والارتباط بالملكوت - الانتماء، السلوك اللائق والإيمان. إن أغلب التجمعات الإنجيلية التقليدية قد عكست ترتيب تلك الأمور الثلاثة. نكاد نطالب مثل هؤلاء الناس الذين ندخل بيوتهم بأن يقرؤا بموافقتهم أولاً على نسختنا الخاصة المعدلة عن الحق، وأن يكون إيمانهم على نفس وتيرة إيماننا، وبعد ذلك أن يسلكوا بنفس الطريقة التي نسلك بها، وإذا ساروا على هذا المنوال، عندئذ نقبلهم بيننا ويمكنهم أن ينتموا لنا. وهكذا يُعد القبول بمثابة المكافأة التي نمنحها للآخرين من أجل إيمانهم بما نؤمن به ومحاكاتهم لسلوكياتنا.

لم يتصرف يسوع هكذا. لقد ذهب إلى بيت زكا العشار (لوقا ١٩) وكننتيجة للمودة والقبول الذين كانا غريبين على تلك الثقافة، انفتح زكا على الإيمان الراسخ والنعمة اللذين مكناه من أن يغير سلوكه.

أول المتطلبات لكي تكون رسولاً جيداً ليس حصولك على تدريب أكاديمي متواصل، ولكن أن تكون قادرًا على الاستمتاع بوقتك مع مختلف أطياف البشر وقادرًا على تناول الطعام والشراب معهم! فكيف يسير برنامجك التدريبي؟

٣- استحقاق الأجرة والأمور الأخرى المتعلقة بالمسؤولية.

إن التحدث بشأن المال بين مجموعة من الناس تشترك في نفس الثقافة أو اللغة أو الوضع الاقتصادي، هو أمر صعب بما يكفي، ناهيك عن الأمر عندما نضيف إلى الصورة الاختلافات الثقافية واللغوية، سنجد حينها أننا نواجه مشكلة حقيقية. وعندما نسعى لإقامة علاقات عبر الثقافات المختلفة، فلن نجد أمرًا يمكنه أن يخلق العديد من المشكلات مثل التعامل مع الموارد المالية.

لقد منحنا يسوع نظرة ثاقبة عن كيفية تجنب هذه المشكلات. فهو يقول أنك، كمرسل، يجب أن تعتمد على ضيافة بيت السلام الذي تتواجد فيه. أنت، كفاعل، تستحق أجرتك. وهذا هو كل شيء عن المسؤولية، وإذا كان أحد لا يتقبل المسؤولية من البداية فلن يتقبلها أبدًا.

عندما يذهب شخص مقدر ماديًا لشخص آخر أقل في موارده المالية، فإن ما يحدث غالبًا هو أن يصبح هؤلاء الأقل ماديًا اعتماديين على هؤلاء الأشخاص المقترين. إن الاعتمادية تقضي على النزاهة والشرف الشخصي واحترام الذات. لا يجب علينا أن نخلق علاقات اعتمادية. في يوحنا ١، نظر يسوع إلى تلاميذه الاثني عشر ودعاهم أحبائه. إننا لا نرغب في العمل مع عبيد ولا حتى أن نكون نحن أنفسنا عبيدًا. إننا لا نرغب في أن يُنظر إلينا على أننا مجرد مشروعات. يجب أن يكون هدفنا هو أن نكون أصدقاء وأن يتم معاملتنا كأصدقاء.

على الجانب الآخر، لا يحب الأصدقاء أن يكونوا عبيدًا أو أن يتناولوا طعامًا يخص أبناء الآخرين. بل يضحي الأصدقاء من أجل بعضهم، ومثل تلك التضحية هي أمر مكرم في جميع الثقافات. وأحد العلامات الدالة على أن هذا البيت بيتٌ للسلام هي حسن ضيافتهم وكرم معاملتهم لك - هل سيكونون أبناء سلام؟ هل سيأخذون على عاتقهم مسؤولية رعاية المرسل وأيضا مسؤولية عائلاتهم وأصدقائهم. هل هم كرماء؟ لقد كان يسوع واضحا بشأن توفير الاحتياجات الأساسية اليومية من الطعام والشراب للمرسل وأن ذلك هو المسؤولية الوحيدة التي تقع على عاتق أهل بيت السلام تجاه المرسل. هذا الأمر على النقيض من الدين، الذي يقهر الجموع ويأخذ مما يخصها. تُشيد الديانة كنائسها وتمنح لقساوستها مكاتب، سيارات، بيوت وأراضٍ. وسواء أكان الناس أغنياء أم فقراء فإن عليهم عبء تقديم العطايا المالية حيث يتم إخبارهم بأنهم سيُلعنون إذا لم يقدموا من أموالهم وسيُباركون إذا فعلوا. إن الكنيسة الرومانية القديمة قد باعت للشعب بركات الحياة الآتية في هيئة صكوك للغفران، في حين أننا في عصرنا هذا نبيع للآخرين بركات الحياة الحاضرة. دائما ما يعرض الدين بركات للبيع! دائما ما يدخر الدين الذنب واللعة لهؤلاء الذين لا يشترون البركات المتاحة بالعرض. الدين يُبقي الناس فقراء. ووفقا لتلك المعايير فإن الجزء الأكبر مما يُدعى بكنيسة المسيح قد تحول لطائفة دينية تعبد المال لا تختلف عن أي ديانة أخرى.

لقد أخبر يسوع تلاميذه بأن عليهم أن يعطوا مجانا مثلما أخذوا مجانا. إن ملكوت الله يُمنح مجانا ويُستقبل مجانا. فما نربح الناس به هو ما نربحهم لأجله. ماذا لو ربحتهم بالملكوت؟ سوف يعيشوا لأجل الملكوت. ماذا لو ربحتهم بالطعام؟ سوف يرغبون في المزيد والمزيد من الطعام. وإذا نظرت للناس كمصدر للموارد المالية وتلاعبت بهم بغرض الحصول على المال، جردت نفسك من امتياز كونك خادم للملكوت. لكن التعامل مع الأموال أمر ضخم. وبالفعل، نحن نشعر أحيانا كثيرة بالمحدودية من جراء نقص الموارد المالية. ومع ذلك، نمو أي حركة إرسالية لا يتوقف على المال. كل الإرساليات تبدأ مسيرتها بالإيمان،

الشغف، الرؤية، التضحية، وقدرة قليل من المال. ليس المال هو ما يحفز، بل الشغف، والإيمان، والرؤية. إن قلب الله المضطرب في أحشائك هو الذي يجب أن يحفزك ويدفعك!

إن فشل الإرساليات لا يرجع إلى نقص الموارد المالية. فالعديد من الحركات الإرسالية متكاملة الأركان كانت لديها الأراضي، الثروة، والأبنية، لكنها فشلت بسبب عدم وضوح الرؤية و ضعف الإيمان وعدم الاستقامة وقلة الشغف. لقد توقف مثل هؤلاء عن كونهم حركات إرسالية وأصبحوا مجرد آثار للمجد السابق. لا ينظر الله لما تمتلك بقدر ما ينظر لما ترعاه في قلبك. الموارد تتدفق إلى حيث يوجد الرؤية والإيمان . قد يقول أحدهم أنه لا يتمكن من الذهاب للكراسة بسبب عدم امتلاكه لسيارة. بينما يستقل آخر المواصلات العامة وينتفع من هذا الوقت في الحديث مع الركاب الآخرين فيعثر على أبناء للسلام في الحافلة العامة. وفي ذات الحين شخص آخر لا يمتلك المال الكافي لشراء سيارة أو حتى ليستقل المواصلات العامة لكنه يتجول سيرًا على الأقدام فيُتاح له الوقت للصلاة والالتقاء بالمتجولين الآخرين التواقين لمعرفة يسوع. إن محدودياتنا تخلق الفرصة لتدخلات الله.

إذا كنت تنتظر المزيد من المال قبل تقديم طاعتك، فلن تقدمها على الإطلاق. الله لا يبهره ما تتعهد أن تقوم به إذا ما امتلكت الموارد المالية الوافرة. بل يتطلع إليك ليلاحظ ما الذي ستفعله بما لديك في الوقت الحاضر. **لَأَنَّ لَيْسَ مَلَكُوثُ اللَّهِ أَكْلًا وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ يُرْوٌ وَسَلَامٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ. الْقُدُسِ. لِأَنَّ مَنْ خَدَّمَ الْمَسِيحَ فِي هَذِهِ فَهُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ اللَّهِ، وَمُرَكَّبٌ عِنْدَ النَّاسِ.** (رومية ١٤: ١٧-١٨)

عندما أمرنا يسوع أن نُتَلَمِّذَ، أو صاننا أن نفعل شيئًا بذلك الذي تمتلك منه كل الثقافات نفس القدر؛ الوقت. إن عملية التلمذة تشتمل على استثمار الوقت في هؤلاء الأفراد لنقودهم لأن يكونوا ذوي قلوب نقية، وأن تعلمهم الاتكال على يسوع الحي فيهم وبذلك تعلمهم ان يضاعفوا الوقت الذي يستثمرونه مع الآخرين. المورد الضروري الوحيد هو الوقت. ولدينا جميعًا قدر متساو من الوقت، والطريقة التي نستغل بها هذا المورد الثمين توضح ما الذي تقدره قلوبنا حقًا.

لكن كيف يمكنك أن ترتحل بدون تمويل مادي؟ السفر بدون توافر المال أمر صعب، لكن الوصول إلى قرية أخرى أو دولة أخرى لا يعتمد بشكل كامل على الموارد المالية. فإذا قمت بتلمذة الشخص الذي يقطن في الشارع المجاور لك، وإذا فعل هو أيضًا نفس الشيء مع أحد أفراد عائلته الذي يقطن في المدينة المجاورة، وإذا فعل هذا الفرد بدوره نفس الشيء، ففي وقت قريب جدًا سيكون لك تلاميذ في الدولة المجاورة لبلدك! إن المورد الأساسي هو الوقت! والعلاقات حين تتضاعف بهذا النمط سوف تتخطى كل الحدود والقيود.

إذا كنت تتحدث من فوق منصة عريضة لحشد كبير من الناس، فمن هو أهم شخص في المكان؟ إنه أنت. المتحدث. مثل هؤلاء الأشخاص، في مختلف الثقافات، يشعرون بالزهو والأهمية وربما يكتسبون شهرة واسعة نتيجة لخدمتهم الشهيرة. لقد كان يسوع الأفضل في جذب الجموع له إذا قورن بأي شخص آخر عاش على الأرض، ومع ذلك فنحن نقرأ أنه صرف الجموع بعيدًا (متى ١٤: ٢٢، متى ١٥: ٣٩، مرقس ٦: ٤٥، مرقس ٨: ٩). ولقد تكلم يسوع بكل صراحة في (يوحنا ٦: ٦٦) عن ثمن تبعيته حتى أنه قد "رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلَامِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلَمْ يَعُودُوا". لقد أدرك يسوع أن النجاح لا يكمن في الأعداد الغفيرة. ففي أحد الأيام رغبوا في تنصيبه ملكًا، وفي آخر أرادوا قتله. ما يمنحك إياه البشر، في استطاعتهم أن ينزعوه عنك. على النقيض من ذلك، إذا كنت تتحدث لفرد واحد في منزله، فمن هو أهم شخص في المكان؟ إنه الشخص الجالس قبالتك. أنت الضيف، والخادم. إن علاقات التلمذة تقوم على أن يعي كل شخص أن الله يحبه إلى

التمام حتى أنه أرسل ابنه أو ابنته له. إن الله يحب كل شخص حبًا جمًّا حتى أنه لم يرسل له مجرد رسالة أو كتاب أو حتى برنامج في التلفاز، لكنه أرسل ابنه أو ابنته.

لقد كانت حياة يسوع متمركزة حول تلمذة الاثني عشر. والرسالة من وراء هذا التركيز هي أن كل شخص منهم بمفرده هو شخص مهم بالنسبة لله. وبذلك، فالرسالة تنفذ إلى القلب عندما نمضي ونستثمر في الفرد الواحد وفي العدد القليل. تلك الرسالة هي أحد الرسائل الأساسية عن التلمذة على طريقة يسوع: أنت مهم بالنسبة لله! يتوق الله لصحبتك ورفقتك. والطريقة المثلى التي يجب أن تتفاعل بها مع تلك الرسالة هي أن تستثمر الوقت في العلاقات مع البشر. فأنت تُشابه يسوع فقط عندما تفعل ذلك.

العامل الرئيسي الآخر هو أنه عندما يأتي الناس لمنزلك وتقوم أنت برعايتهم والاهتمام بهم، فإنهم سيصبحون اعتماديين عليك. أضف إلى ذلك أنهم حين يأتون إليك قد لا تحضر عائلاتهم وأصدقائهم معهم. وبذلك تتوقف عملية النمو عند هذا الجيل الأول. أما حين تذهب أنت لمنازلهم، فهناك يشعر أصدقاؤهم وأفراد عائلاتهم بالارتياح للقدوم. وكما يقوم ابن السلام بواجبات الضيافة تجاه عائلته وأصدقائه سيقومون هم أيضًا بمسؤوليتهم تجاه عائلاتهم وأصدقائهم، وبذلك يتضاعف الجيل التالي ليسوع المسيح. وذهابنا لبيت السلام هي فكرة يسوع العبقريّة التي تمكنا من تجنب الوقوع في الاعتمادية في العلاقات وتساعدنا على تسليم المسؤولية لجيل بعد جيل من التلاميذ.

الأسئلة الأكثر تكرارًا

١ هل أفهم مما تقول أن لك موقفًا يعارض الخدمات التي تُبَث عبر وسائل الإعلام؟

نعم، بالفعل، ما فهمته صحيح! لقد تحدث يسوع وجهاً لوجه مع اثني عشر تلميذًا وقد طلب منا أن نتبع نهجه وأن نفعل كما فعل. لقد صرف يسوع الجموع الغفيرة بعيدًا. فلماذا نظن أن لدينا نهجًا أفضل مما سلكه يسوع؟ أحد أكبر الحملات التبشيرية المسيحية على مدار التاريخ كانت في أفريقيا، وقد جمعت ما يزيد عن المليون من إقرارات الإيمان في حملة واحدة. وقد جرت في نيجيريا⁴¹ العديد من تلك الحملات الكبيرة وهي تحوي الآن مجموعة من أضخم الكنائس في العالم. وفي جنوب الدولة نجد أن ٨٠% من السكان قد يُدعون بأنهم مسيحيين ولكن نيجيريا تظل حتى الآن واحدة من أكثر المجتمعات فسادًا على ظهر البسيطة. لقد كان ٩٠% من سكان رواندا⁴² قبيل الإبادة الجماعية يعتبرون أنفسهم مسيحيين ومع ذلك فإن المؤمنين الذين كانوا يحضرون نفس الكنيسة مزقوا بعضهم بعضًا إربًا حتى الموت بالمناجل. لقد كان هناك العديد ممن وقعوا بطاقات إقرارات الإيمان، لكن من تم تدريبهم على طاعة كل ما أوصى به يسوع كانوا قليلين. الأعداد الغفيرة الحاضرة في تلك الحملات التبشيرية تجعل المبشر يبدو بمظهر أفضل، وتمكنه من أن يجمع مبالغ مالية هائلة، لكن نتيجة هذا الأمر كارثية. لماذا؟ لأننا لا نفعل ما طلب منا يسوع أن نفعله. في الواقع سنجد أن الأعداد الكبيرة والمنابر الفخمة والمبالغ المالية الطائلة قد تساهم في أن تكون فقط الرسائل التي يستقبلها الحضور هي أن الخدمة عبارة عن مكانة اجتماعية بارزة، سلطة ونفوذ ونفوذ وأعداد غفيرة من الحضور. فتلك السمات (المكانة الاجتماعية والسلطة، إلخ) تميز أغلب الكنائس الأفريقية، أما النزاهة والاستقامة فليسا كذلك. إن الاعتقاد بأن كل شيء يدور حول المال والسلطة والنفوذ قد يبدو أيضًا أنه يعني

⁴¹ نيجيريا Nigeria: بلد في غرب أفريقيا وهي تعد أكبر دولة في أفريقيا من حيث تعداد السكان. (ف. ت.)

⁴² رواندا Rwanda: دولة تقع في شرق أفريقيا، وهي تعرضت لإبادة جماعية حيث تم قتل ما يقارب ٨٠٠,٠٠٠ شخص. (ف. ت.)

أن أي وسيلة تؤول لتحقيق تلك الغاية هي وسيلة مُبررة. وقد نشرت البي بي سي BBC⁴³ موضوعًا يتحدث عن كيف يتبرع السياسيون وقادة الأعمال التجارية في نيجيريا بالملايين لبناء بعض الكنائس التي تعتبر من أضخم الأبنية الكنسية في العالم. إنهم يعطون عُشر ما يستولون عليه بواسطة الفساد كي تتبارك التسعة أعشار الباقية!

قد يبدو التحدث عبر التلفاز والتواجد في آلاف البيوت أمرًا جيدًا، ولكن إذا كان هذا أمرًا جيدًا للغاية فلماذا طلب منا يسوع أن نقوم بالتلمذة ثم أوضح لنا كيف نقوم بذلك من خلال علاقته بتلاميذه الاثني عشر؟ المسيحية ليست مجرد معلومات عن يسوع. المسيحية هي يسوع الحي فيكم وأنتم تسيرون مع عدد قليل. وينبغي أن يستمر تجسد المسيح من خلالنا لهذا العالم. وسائل الإعلام تخلق حُدًا ما على شاكلة نجوم السينما وأسلوب حياة يشبه حياة نجوم السينما. تحول وسائل الإعلام الخدمة لاستعراض. لكن يسوع قد جسد الخدمة في صورة علاقات تتضاعف عبر الثقافات. الخدمات الإعلامية لها بُعدين - الاستعراض والمال، الكلام والأخذ. لكن خدمة يسوع ثلاثية الأبعاد - الحضور الشخصي، النزاهة الشخصية، والعلاقات المُحبة الصادقة (بلا أي طلب للمال!).

٢- هل ترغب في أن تُبقي الناس فقراء؟

لا! على الرغم من حقيقة أنه كلما ازداد المال الذي يتم إمداد الإرسالية به، صارت الثمار المرجوة من وراء هذه الإرسالية أقل فأقل. لماذا يحدث هذا؟ ليس السبب أن شعوب العالم الثاني والعالم الثالث يتعاملون مع المال على نحو أسوأ من الغربيين.

ربما يكون سبب ذلك أنه كلما نمت إرسالية ما فسوف يتم إنفاق المزيد من المبالغ المالية على المؤسسات المُكلفة مثل المدارس والمستشفيات التابعة لتلك الإرسالية. ومع ذلك، فأنا أعتقد أن السبب الأساسي يكمن في أنه كلما زاد حجم المال الذي يأتي من خارج الإرسالية زاد اعتقاد هؤلاء الدخلاء بأنه يمكنهم التحكم فيما يقوم به الأشخاص الذين يتلقون المال. وعندما يسيطر شخص من خارج الإرسالية على عملية صنع القرار بها، فإنه بذلك يقضي على الإيمان والمسؤولية وروح المبادرة، وتلك مجرد طريقة لبقة لكي نقول أن التحكم من الخارج يمنع يسوع من بناء كنيسته بواسطة المؤمنين المحليين في الداخل.

حل هذه المشكلة لا يكمن في "إبقاء الناس فقراء". إنما يتمثل الجواب على هذا السؤال في الإيمان الحي بيسوع كمصدر لكل الأشياء، وفي الإيمان الحي بالروح القدس كروح للتضحية والإبداع والنمو. ويكمن الحل في تمكين الفقراء من إنتاج وإدارة مواردهم الخاصة. هذا قد يشتمل على التمويلات المالية الصغيرة والتدريب على الأعمال التجارية. إن الفقراء في العالم الثالث لا يعانون من الفقر بسبب أنهم كسالى. إنهم يعملون بجد شديد. لكن السبب الرئيس وراء فقرهم يكمن في الفساد الممنهج الذي يحرمهم من الحصول على المقابل المناسب لمجهوداتهم.

لقد حاولنا في الماضي أن ندخل في شراكة مع بعض أصدقائنا الغربيين ممن كنا نظن أنهم يشاركوننا الرؤى والقيم الحياتية. ومع ذلك، عندما أتينا لنقطة خلاف، بدأوا في الضغط عليّ قائلين "لماذا لا يمكنك أن تقول لهم ببساطة (إلى الفريق في آسيا الوسطى) ما الذي عليهم القيام به؟" لقد كانوا يعتقدون أنه، نظرًا لأنني كنت

⁴³ 8 <http://news.bbc.co.uk/2/hi/africa/8219131.stm>.

الداعم المالي للفريق (فيما يتعلق بالسفر وأعمال الرحمة في المقام الأول)، يجب عليّ أن أتمكن من أن أخبرهم بما يجب القيام به وأنهم ينبغي أن يقوموا به خوفاً من فقدان دعمي المالي لهم. لقد كان جوابي عليهم هو أن عدم مقدرتي على فعل ذلك ترجع لأنني لا أعمل مع عبيد أو حتى مرؤوسين بل مع شركاء ورفقاء. فأصدقائي في آسيا الوسطى عليهم أن يتخذوا القرارات التي سيتعين عليهم العيش بمقتضاها. لقد اتفقنا على الرؤية - وهي التلمذة. واتفقنا على الإستراتيجية - وهي أن أي شيء لا يتوافق مع رؤيتنا فلن ننفذه. إننا ملتزمون تجاه بعضنا البعض كرفقاء وشركاء. وتقع مسؤوليتي في حيز تقديم المشورة، سواء رأوا أنها حكيمة أو تافهة لكن في نهاية المطاف، عليهم أن يسيروا وفقاً لما يؤمنون أن يسوع يطلب منهم الخوض فيه. وهذا يعني أنني قمت بدعم حتى القرارات التي أراها من وجهة نظري غير حكيمة. رغم أنه قد ثبت بالتجربة في أغلب الحالات أن رفقائي تصرفوا التصرف الحكيم. لكن أيضاً كان عليّ أن أدمم القرارات التي ثبت فيما بعد أنها كانت غير حكيمة بالمرّة، وكان علينا حينئذ أن نعمل على معالجة تبعيات تلك القرارات سوياً.

الصدّاقة والشراكة أهم بكثير من حماية نفسك من بعض المعاناة، إذا كان ثمن تلك الحماية هو إصدار الأوامر والتحكّم في البشر .

الفصل السابع إظهار وإعلان الملكوت

"وَاشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا، وَقُولُوا لَهُمْ: قَدْ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ." (لوقا ١٠ : ٩)
"هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتُدْوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلَا يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ." (لوقا ١٠ : ١٩)

١ - اشفوا المرضى وأعلنوا اقتراب ملكوت الله!

الشق الأكبر من العالم المسيحي مؤلف من كلمات... كتب، برامج تلفزيونية، برامج إذاعية، أقراص مدمجة CD، أقراص فيديو رقمية DVD وبطريقة أو بأخرى يعتبر هذا أمراً ملائماً بما أننا نتداول الأخبار السارة. عليكم جميعاً أن تَقْدِسُوا "الرَّبَّ الإلهَ فِي قُلُوبِكُمْ، مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمَجَاوِبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ، بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ،" (١ بطرس ٣ : ١٥). علينا أن نبحث، نفهم، نكون مستعدين لأن نشهد عن الله الذي نقدسه في قلوبنا! ومع ذلك، فقد أعلن بولس الرسول بشكل عام لأهل كورنثوس في (١ كورنثوس ٤ : ٢٠) أن "مَلَكُوتُ اللَّهِ لَيْسَ بِكَلَامٍ، بَلْ بِقُوَّةٍ." يُعد هذا الاقتباس في سياق سلطة بولس الأدبية لحث أهل كورنثوس، غير أنه يشير إلى مشكلة كبيرة. لا يمكننا إقناع الناس بحقيقة الملكوت من خلال الكلمات وحدها، كما أن يسوع لا يتوقع منا أن نقوم بهذا.

لقد أوصانا يسوع أن نشفي المرضى ونعلن الملكوت فقط عندما نُظْهِر بوضوح أولاً سلطان الملكوت وحضوره. وعلى هذا الإظهار أن يقع في بيت ابن السلام. لم يكن الشرط أن تحدث تلك الأمور في قافلة تبشيرية خاصة لها المبشر الخاص بها أثناء غناء جوقة المغنين لخلق الجو المناسب لحدوث تلك الإظهارات.

لا تعتمد المسحة على المشاعر التي تتولد نتيجة لغناء الموسيقيين المحترفين لمدة ساعة. إن المسحة لا تحل تلقائياً على الأشخاص بحكم العادة. هل يمكنك أن تتخيل أن يسوع قد رفض الصلاة من أجل الناس، حتى قادهم بطرس لمدة ساعة في العبادة وأعلن لجموع اليهود أن الروح القدس قد حلَّ على الأشخاص المجتمعين؟

إن المسحة هي التعبير الحي عن قوة وسلطان وحضور الروح القدس الذي يملأكم ويستقر في داخلكم. علينا أن نقرأ (لوقا ٤ : ١٨-٢١) مرة أخرى. إننا لم نعد بعد في العهد القديم حيثما كانت المسحة تأتي وتحل على أشخاص معينين.

إن جسدكم هو هيكل للروح القدس. إن المسحة لا تحل لتُغادر. إنه ، الروح القدس، يحل ليبقى. علينا أن نكون مسكن الله الدائم، لا مكان زيارته. إن المشكلة في الكلمات هي أن أي شخص يمكنه أن يتحدث ببراعة، وأن يبدو للسامعين إنساناً روحانياً، وأن يقتبس حتى من الوحي المقدس، غير أنه ربما يقول ما يقوله بلا تعقل أو تفكير. بالإضافة إلى أنه بإمكانك أن تتظاهر بالروحانية تحت ستار الكلمات، وتتلاعب بالحشود عن طريق العروض العاطفية الصاخبة. لكن التحدي الخاص بالصلاة مع شخص أو اثنين من المرضى أو ممن يسكنهم أرواح شريرة، في غرفة بعيدة عن صخب الحشود، هو أنك لا يمكنك وقتها تزييف الأمر. هؤلاء الأشخاص لا يعرفون يسوع بعد، ولا يعرفونك أيضاً. فإما أن يتم شفاؤهم وإنقاذهم أو لا. وأنت بنفس المقياس، إما أنك تعرف يسوع وسكنى الروح القدس أو لا.

هذا الأمر لا يتعلق بكم القدر الذي تقتبسه من آيات الكتاب المقدس، أو بكم تبدو روحانياً وأنت تصلي، أو حتى بصياحك بصوت عالٍ كما لو كنت على المنبر. (وعلى أي حال ستشعر أنت نفسك بالسخافة إذا كنت تصيح وتتقافز داخل مطبخ شخص ما مثلاً!) فالجموع تُشفى نتيجة لاتكالنا الوديع على الروح القدس الساكن فينا والإيمان المباشر البسيط في طاقة المحبة اللامتناهية التي لديه نحو البشر والثقة في قدرته على شفائهم. يجعلنا الاحتياج البشري نقف أمام الله مُجردين من كل شيء. فهل نحمل ملكوت الله داخلنا؟ وهل يمكننا أن نُظهر هذا الملكوت بوضوح أم لا؟ هل نحب الآخرين أم لا؟ هل يسكن الروح القدس داخلنا حقاً أم لا؟

إن شفاء المرضى يعني أيضاً بكل بساطة أن نخدم الناس بطرق عملية. وهناك مقولة ماثورة تقول "إن الناس لا تعبأ بما تؤمن به حتى يثقوا أنك تهتم لأمرهم." منذ وقت، بدأ صديق لي في الإقامة فيما يُدعى بـ "منتزه المخدرات The Drug Park" حيث يبيت أولئك الذين يعيشون في الشوارع، المدمنون والمشردون. وكان يقدّمهم بسيارته، ويقدم لهم منحة صغيرة من المال تاركاً لهم حرية التصرف فيه على وجه العموم. نعم، لقد أنفقوا معظم هذا المال للحصول على السجائر والمخدرات والخمر. نعم، فهو يعي جيداً أنه ربما قادهم للحصول بسهولة على تلك الأشياء ولكنه قام بخدمتهم على أي حال. وبعد حين، بدأ هؤلاء الناس الذين يعيشون في الشوارع في تصديق أنه يهتم بأمرهم حقاً وبدأوا في طرح الأسئلة عليه. وفي الوقت المحدد أصبح "منتزه المخدرات" يُعرف بـ "منتزه اجتماع الصلاة". لقد قادت الخدمة العملية للشفاء، الإنقاذ، الخلاص وتأسيس كنيسة في هذا المنتزه.

من جميع أنحاء العالم تأتي شهادة ثابتة بأن الحركات البسيطة لتأسيس الكنائس تتضاعف، حتى أن العديد من الكنائس المنزلية الجديدة تبدأ بالقيام ببعض من عمل الروح القدس في الشفاء

والإنقاذ. وغالبًا ما يكون ابن السلام شخصًا تم شفاؤه أو إنقاذه أو رب لأسرة تم شفاء زوجته أو أبنائه. فما أقنعت شخصًا ما ليؤمن به عن طريق الكلمات، يمكن لشخص آخر أن يقنعه بعكسه عن طريق الكلمات أيضًا، لكن عندما تتراءى لك محبة الله وهي تشفي أو تخلص شخصًا عزيزًا، فحينئذ تدرك حقيقة ما تراه.

بعض المسيحيين، خاصة في الغرب، يتحدثون كثيرًا بشأن أن الثقافة العلمانية لم تعد تؤمن في الحق المطلق أو تثق في أي رمز للسلطة. إنهم يتحدثون بشأن أن تلك الثقافة التي تعتقد المذهب الإنساني تؤمن فقط فيما تختبره، وأن أفراد تلك الثقافة يثقون فقط فيما يخبرهم به أصدقاؤهم. يُدعى ذلك بعقلية ما-بعد-الحدثة التي تتسم بتطابق الحق مع الخبرة، واعتبار المشاعر برهانًا على صدق الخبرة واعتبار الشهادة والخبرة المشتركة مع الآخرين هي الإثبات. ويصيب اليأس العديد من المسيحيين بشأن مشاركة الآخرين عن يسوع في مثل تلك الثقافات التي تتسم بالنسبية الأخلاقية.

بالفعل، إن الثقافة العلمانية لا تؤمن في الحق المطلق ولا ترغب في الإصغاء لأي حديث عن الحق من الناس الذين يقدمون أنفسهم على أنهم ذوو سلطان. لكن لم يكن هناك أي ثقافة على الإطلاق أكثر انفتاحًا لتقبل الأمور الخارقة للطبيعة وإظهارات الملكوت أكثر من تلك الثقافة. ومع ذلك فهناك مشكلة غير ظاهرة! فهم لن يأتوا لاجتماعاتنا ليشهدوا تلك الإظهارات. إنهم يظنون أن ما فعله هو مجرد دعاية وأن الأمر برمته يتمحور حول جمع المال، وعندما ننظر في أمر العطايا التي تُجمع في قوافل تبشيرية كبيرة وعبر التلفاز فسنجدهم على صواب فيما يظنون. كل شيء يحدث هو من أجل جمع المال. فلماذا يتوجب عليهم أن يثقوا بنا؟ إن علينا أن نقطع المسافة التي بيننا وبينهم ونذهب إليهم، في بيئتهم الثقافية الأصلية، بين أصدقائهم، ونقوم فقط بأمور الملكوت حتى يتسنى لهم أن يدركوا أن تلك الأمور حقيقية وصادقة. لم يوجد جيل على الإطلاق كهذا الجيل كان من السهل أن تقدم له الملكوت. لكن علينا أن نطيع يسوع ونذهب إليهم. علينا أن نقوم بالأمر في وسطهم، حيث يمكنهم أن يتعلموا الثقة في أن الأمر كله من وجهة نظر يسوع يتعلق بالبشر وبالروابط الإنسانية معهم وليس بالمال والنفوذ والسلطة.

٢- إعلان ملكوت الله والإقتداء به!

كان هنالك العديد من الحركات التبشيرية التجديدية منذ سبعينات القرن الماضي، وأحد التشديدات المشتركة التي تؤكد عليها مثل تلك الحركات كانت هي استعادة سلطان مواهب الخدمات الخمسة (معلم - مبشر - رسول - نبي - راعي)، مع التركيز الشديد على خدمة الرسول كشخص له سلطان في الكنيسة⁴⁴. إن عبارات مثل "الالتزام بمحاذاة الخط"، "التسليم بالنظام الإلهي"، "الخضوع لسلطة الملكوت"، "تحقيق النظام"، "الخدمة التصاعديّة"، "طاعة السلطة المفوّضة"، "الغطاء الروحي"، "احترام السلطة"، "تمييز رجل الله" و"الأبوة الروحية"، كلها قد أصبحت عاملاً مشتركاً بين تلك الحركات المختلفة. والتصور الفكري الذي يقود هذا الأمر يتمثل في هرم النظام السياسي، ومنظمات الأعمال التجارية، ومملكة الظلمة حيث ينتقل التمجد والثراء من أسفل إلى أعلى وتنتقل الأوامر والسيطرة من أعلى إلى أسفل. إن مدى النفوذ والحظوة والثراء الذي يكون لشخص ما في القمة، يتعلق بعدد الذين يقعون في مستويات أدنى منه في التسلسل الهرمي.

الحديث عن التلمذة أمر شائع في تلك الحركات، لكنه في السياق الخاص بهم يعني أن تخلق عبداً - شخصاً يجب أن يطلب السماح ليفعل أي شيء تقريباً. إن الغرض من وراء تلك التلمذة التي يتحدثون عنها هو تدعيم وجود التسلسل الهرمي في الخدمة. لكن هدف التلمذة في ملكوت الله هو أن نتشارك بما في قلوبنا سوياً ونضع نفوسنا لكي نصنع أحبباء لا عبيد (يوحنا ١٥). جميع تلك الحركات التبشيرية الرسولية التجديدية تبشر بالحرية في الروح، وغالباً ما تتسم بفترة عبادة معاصرة صاحبة، رقص، تلويح بالأعلام، فترة ترنيم حار بالروح، وفترة للكلام النبوي. وأحد أحب النصوص الكتابية لديهم هو: "حَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ". (٢كورنثوس ٣: ١٧). كل هذا جيد، باستثناء أن الحرية في مفهومهم تقبع بين أربع جدران، وتشمل فقط حريتك في اختيار الطريقة التي يتمايل بها جسدك أثناء الاجتماع. إن هيكل القيادة في تلك الحركات هو تسلسل هرمي متزمت وإذا جذت، بأي طريقة من الطرق، عما يُعتبر أنه السلوك الطيّع، فسوف تُعتبر غير لائق للقيادة. فمن وجهة نظر هؤلاء، الرجل الذي يعترض على أي شيء هو مثل أبشالوم⁴⁵ وأي امرأة ترغب في مناقشة أي شيء هي مثل إيزابل⁴⁶. قد يكون نظام التسلسل الهرمي هو السبيل الوحيد الذي يمكن أن تدار به منظمة ضخمة ومعقدة مثل المؤسسة الحكومية، المخابرات السوفيتية، المافيا، أو مملكة الظلمة، نظراً لأنه أي شخص لا يمكن إلا أن يكون موجوداً في مكان واحد في المرة الواحدة، وبتلك الطريقة سيتحول هذا

⁴⁴ لفهم أفضل لتلك النقطة، راجع عزيزي القارئ (١كورنثوس ١٢). (ف. ت.)

⁴⁵ أبشالوم هو ابن الملك داود، وهو الذي تأمر على الملك داود وأثار الفتن وسط شعب إسرائيل محاولاً الإطاحة بالملك داود. انظر (٢صموئيل ١٥). (ف. ت.)

⁴⁶ إيزابل هي ابنة ملك الصيديونيين الوثني، اتخذها الملك أخاب بن عمري ملك إسرائيل زوجة له، وهو من عبد البعل وسجد له وأقام له مذبحاً في السامرة. وقد فعل أخاب وإيزابل الشر في عيني الرب، حتى أنه يُضرب بهما المثل في الشر. (ف. ت.)

الشخص حتمًا ليصبح مندوبًا عن السلطة لأنه سيضطر إلى رفع التقارير لمن يعلوه رتبةً. ولقد كان لأحدهم مزحة تقول أن الدين المنظم والجريمة المنظمة يتشابهان إلى حد كبير فيما عدا أن المافيا لديها مطاعم أفضل. ومع ذلك، فهناك العديد من الأمور التي تم إنجازها في دنيا المال اعتمادًا على تكوينات مسطحة (لا هرمية) وعلى طاقات وقدرات مؤسسات بلا رموز قيادية.⁴⁷

إن جسد يسوع المسيح هو مؤسسة مسطحة. فيسوع غير محدود. كما أنه كلي القدرة وكلي الوجود. فهو يملأ كل الأمكنة طول الوقت. وهو يتأمل الكل ويعرف كل شخص. كما أنه لا يحتاج إلى أي تقارير أو أي قيود من الأوامر ولا يحتاج أيضًا لمن ينوب عنه في السلطة. ولم يمنح يسوع إنسانًا قط أي سلطة حاكمة على آخر. نعم، لقد أعطانا السلطان على: "كُلِّ فُؤُوةِ العَدُوِّ" (لوقا ١٠: ١٩)، لكن لم يُذكر بموضع كتابي واحد أنه قد أعطى لأي إنسان، رجلًا كان أم امرأة، مثل هذا السلطان على إنسان آخر. بل أنه قد عبر بوضوح، في واقع الأمر، عن حظره لأي ممارسات تعبر عن تسلط إنسان على الآخر - "فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ!" "فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَّمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا قَلِيلًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلًا قَلِيلًا لَكُمْ عِبْدًا، كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيَبْدَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ»." (متى ٢٠: ٢٥-٢٨)

وقد تتسائل: لكن ألا يقع الرسول على قمة مواهب الخدمة⁴⁸؟ هذا خطأ في الاستيعاب ولا يوجد له سند في العهد الجديد. فما كان يحدث في العالم في تلك الأيام التي كُتِبَ بها العهد الجديد، هو أن حوالي ثلث سكان العالم كانوا عبيدًا، والثلث الثاني كانوا عبيد مُحررين والثلث الأخير كانوا مُلاك العبيد. هذا الأمر لم يكن مثل تجارة الرقيق التي كانت موجودة في الولايات المتحدة أو مثل تلك الموجودة في وقتنا الحالي في شمال أفريقيا حيث العرب يمتلكون الأفارقة السود كعبيد. وبموجب قواعد الامبراطورية الرومانية، كان العبيد يتلقون رعاية جيدة، وكان يتم إطلاقهم أحرارًا بعد قضائهم فترة محددة في خدمة أسيادهم، وكانوا يتلقون تعليمًا متقدمًا، ومن الممكن أن يتم الوثوق بأفراد من بين العبيد من قِبَل أهل البيت حتى يديروا الأعمال التجارية لمالكهم ويعلموا أبناء سادتهم، بل كان ممكنًا للعبيد أن يدفعوا ثمن عتقهم مما يكسبونه. وكان العبيد المُحررون في الغالب يعودون للعيش مع سادتهم كعبيد بعد أن وجدوا أن حياتهم كعبيد هي أفضل من حياتهم كأحرار.

⁴⁷ "The Seven Day Weekend" by Ricardo Semler.

"The Starfish and the Spider" by Ori Brafman & Rod Beckstrom.

⁴⁸ إن هذا الجزء هو ملخص لـ (Apostles Slaves of Christ, Dr. Brian Dodd)، الموجود في الملحق الأول من هذا الكتيب.

وكلمة "رسول" تعني ببساطة "الشخص المُرسَل" لكننا أضعنا دلالة هذا المعنى. إن عبيد الطبقة الدنيا كانوا هم "المرسلون/الرسل". لماذا؟ لقد كانت رحلات السفر في ذلك الزمان، في أغلب الأحوال، محفوفة بالخطر وصعبة. فإذا تم إرسالك في بعثة دبلوماسية أو كنت تحمل قدرًا كبيرًا من الثروة، فسوف تكون رحلتك وسط حراسة مسلحة لتحميك من لصوص الطُرق. وإذا كنت تحمل شيئًا ليس له قيمة كبيرة، فستنتقل بمفردك. إن رب البيت قد يرسل أقل عبد من عبيده ليقوم بتسليم أمر ما. ومن دون حماية، فهذا "الرسول" قد يُسرق، أو يُخطف ويباع كعبد. فإذا كنتم من العبيد ذوي المكانة الأقل لدى سيدهم، فستكونون من الذين يتم إرسالهم. إن (رومية ١: ١) لديها معنى مختلف لهذا الأمر!

"بُولُسُ، عَبْدٌ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْمَدْعُوُّ رَسُولًا، الْمَقْرَرُ لِإِنْجِيلِ اللَّهِ"

إن ثقافة تلك الأيام (التي كُتِبَ فيها العهد الجديد) قد تتفهم جيدًا معنى أن يضع بولس نفسه في مكانة أحم العبيد. لكن ما الذي من شأن هذا أن يقدم لملكوت الله؟ كل شيء! من المفترض أن يكون إنجيل الملكوت بمثابة الخبر السار لكل من يصغي له. وهو بالفعل كذلك! إن بشارة الملكوت تتمثل في أن يسوع هو ملككم، ربكم، سيدكم، رأسكم، مجدكم وهو يحيا فيكم وهو رجاء مجدكم.

ليس من ضمن البشارة السارة أن يتم إخبارك أنه لكي تنضم لملكوت الله عليك أن تُخضع نفسك لي⁴⁹! أن يُقال لك عن أي إنسان أنه قائدك الروحي أو غطاؤك الروحي، أن يُقال لك هذا هو أمر فيه إنكار لـ (١ تيموثاوس ٢: ٥)

"لَا إِلَهَ يُوجَدُ إِلَّا وَاحِدٌ وَوَسِيْطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ."

ومن المثير للانتباه أننا كنا في منتهى الوضوح بشأن خلاصنا الشخصي وأنه فقط من خلال يسوع وأن يسوع هو قائدنا الخاص⁵⁰. لقد رفضنا العقيدة الأرثوذكسية والكاثوليكية عن غفران الكاهن للخطايا واقتبسنا (١ تيموثاوس ٢: ٥) لنعبر عن هذا، لكن عندما وصل الأمر إلى حياة الشركة العملية التي يجب أن تسود في ملكوت الله، أخذنا نعظ بالعقيدة الأرثوذكسية والكاثوليكية عن الخضوع والتسليم للقيادة البشرية. لقد تم إخبارنا أنه يمكننا فقط أن نكون فعالين في الملكوت إذا خضعنا لقائد بشري. لقد تم إخبارنا أن انتماءنا ليسوع واتحادنا به ككيان مشترك لا بد أن يحدث عبر توسط شخص آخر بخلاف يسوع. عندما يحدث هذا، يصبح يسوع مجرد رأس رمزي. غير أن يسوع، هو الرأس الحقيقي والفعال لجسده، وسوف يبقى دومًا هكذا.

49 إشارة للخضوع للواعظ أو للخادم، وليس لله. (ف. ت.)

50 يتحدث الكاتب عن معتقي الفكر البروتستانتي. (ف. ت.)

إن تعليمنا عن تسليم الحياة للمسيح ليكون ملكًا شخصيًا عليها، وبعده عن الخضوع الروحي للقيادات البشرية، هو أمر ينم عن فصام روحي. فهل هناك عجب في أن نجد المؤمنين شديدي الاضطراب وبلا ثمر؟

وليس من الغريب أيضًا أن نجد مشكلة شائعة لدى قيادات الطوائف مع المؤمنين الجدد، حيث يتم وصفهم من قبل القيادات بأنهم "متمردون"، "مستقلون بذواتهم عن الجماعة"، وأنهم في حاجة لأن يتعلموا "الخضوع للسلطة".

تكمن المعضلة في أن المؤمنين الجدد يتقابلون مع ملكهم، صوت الملك يدوي في قلوبهم، وروح الملك تتحرك في أعماقهم وهم متلهفون شوقًا ليسيروا مع ملكهم الجديد، هو الذي ملأهم بقصده وبالحب للناس. بينما الطوائف التي تحيط بهم قد تحولت بفعل التلقين إلى ثقافة دينية ضخمة من العصيان، لا تهتم سوى لنفسها، ضعيفة العلاقة وضيئة الاهتمام بالعالم المحيط، ولا تتحرك قيد أنملة.

هل هذا صادم جدًا؟ لا أعتقد ذلك. إن معظم الكنائس الطائفية مازالت على حالها الذي كانت عليه منذ عشرين عامًا. لكنهم طيلة كل هذا الوقت كانوا يعلنون ويصلون لأجل نهضة روحية ويتنبأون أنها ستحدث قريبًا. إنهم يقضون على حياة يسوع الوليدة في المؤمنين الجدد وبعد ذلك يعقدون اجتماعات انتعاشية محاولين فيها أن يعيدوا تلك الروح التي أقصوها بعيدًا مرة أخرى. يتطلب الأمر ضغطًا نفسيًا، مع بعض التلاعب بالمشاعر والتعديل السلوكي، كي تجعل المؤمنين الجدد يمثلون لهذا النظام الديني ويتقبلون انعدام الطاعة الموجود ببقية الطائفة على أنه أمر طبيعي. حيث يستشهدون بآيات الكتاب المقدس بصورة ملتوية وشريرة لكي يقنعوا المؤمنين الجدد أن هؤلاء الأشخاص الباردين روحياً العاصين وصايا الرب، اللطفاء على حد سواء، هم شيوخهم في الإيمان! هذه هي عملية صنع الدخلاء وليست صنع الأتباع. وهي أيضًا عملية قولبة الشخص في قالب المؤسسي للدرجة التي يصبح معها ولاء هذا الشخص للمؤسسة أكثر من ولاءه ليسوع.

إن ذلك الولاء للقيادة وللمؤسسة يصبح مماثلًا للولاء الذي تتطلبه المافيا. يجب عليك أن تكون موالياً للمؤسسة حتى وأنت تدرك جيدًا أن ما يفعله الذين يرأسونك هو أمر خاطئ. عليك أن تبقى مخلصًا للمؤسسة حتى عندما تُنتهك قضايا الحق. وعندما يصبح صوت مطالب الولاء أعلى من صوت مطالب الحق، فاعلم أنك لم تعد في ملكوت الله. إن ما تتواجد فيه حينئذ هو مجرد نظام ديني منغلق. أنت في منظمة إجرامية وغالبًا ما يتصرف القادة الدينيون مثل عتاة الإجرام عندما تواجههم بالأمور المتعلقة بالحق!

ما علاقة هذا الأمر بالأصحاء العاشر من لوقا؟ علينا أن نُعلن عن اقتراب ملكوت الله بعد أن نبرهن على وجود الملكوت بشفاء المرضى. ما آليات حدوث ذلك؟ ما الذي سيحدث بصورة

تلقائية إذا تم شفاء ابن مريض، زوج مريض، ابنة مريضة، زوجة مريضة أو أب مريض لشخص ما بسبب صلاتك؟ سوف يضعونك حينئذ في مكانة عالية جداً. ويمكنك أن تنتفع من وراء هذا الأمر لكي تصير ملكاً. لكن، كيف يجب أن يكون رد فعلك على هذا الأمر؟ رد فعلك يجب أن يكون إعلان أن ملكوت الله قد اقترب. هذا هو عينه ما فعله بولس وبرنابا في (أعمال الرسل ١٤: ٨-١٨) "لَحْنُ أَيْضًا بَشَرٌ تَحْتَ الْإِمِّ مِثْلُكُمْ." ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أن الشخص الذي يستضيفك يمكن أن يدخل الملكوت إذا اختار أن يفعل ذلك وأن لديه نفس القدرة والسلطان على المرض والأرواح الشريرة كما تفعل تماماً. أنت مجرد "رسول" يصف الملكوت ويعلن عنه حتى يتمكن مضيفك من إدراكه والانضمام لذلك الملكوت والتعرف على الملك يسوع بنفسه.

إننا نعلن عن الملكوت بإظهار سلطان الملك على مملكة الظلمة كما أننا نجسد الملكوت بالبقاء خداماً للكل. ليس علينا أن نصبح وسطاء بين الله والإنسان على الإطلاق. لا يجب أن نتولى الرياسة الروحية على شخص آخر.

إن لهذا الأمر حساسية خاصة عند أولئك الذين يأتون من خلفيات ثقافية إسلامية. البعض منهم باحثون متحمسون عن الحق وهم على أتم استعداد لأن يضحوا بحياتهم من أجل ما يعتقدون أنه الحق. وكلمة "مسلم" تعني بالفعل أن تكون مسلماً ومستسلماً لله. ومع ذلك، أن يتم إخبار المسلم بأن عليه - لكي يدخل ملكوت الله - أن يخضع لثقافة دينية أو سلطة هرمية دخيلة على ثقافته، أو أن يدخل مبنى أجنبي، هو أمر مهين إلى أقصى حد لأنه يشعر في قرارة نفسه أن هذا الخضوع هو أمر خاطيء تماماً، وهو بالفعل كذلك.

علينا أن نعلن ملكوت الله في بيت هذا الشخص وسط نفس الثقافة التي ينتمي إليها. لم يكن دورنا أبداً أن نكون ملوكاً بل دائماً علينا أن نكون خداماً وخدمتنا هي أن نقدم ملكوت الله بطريقة يتمتع معها الشخص بحرية خاصة لأن ينضم له من خلال يسوع ويحيا في هذا الملكوت بالخضوع ليسوع وحده. وبطبيعة الحال، هذا أمر سوف يتم تقبله من قِبَل أي ثقافة أو شعب.

٣- من هو المسؤول؟

إن التساؤل الأول في أي تنظيم بشري وفي كل طائفة كنسية هو: "من هو المسؤول؟" حتى أن التصور الذي في أذهاننا عن فكرة التنظيم، هو شكل الهرم والتسلسل الهرمي، ولكي تنجح في منظمة ما فعليك أن تعرف جيداً كيف تتكيف داخل هيكل السلطة. حاولت الحركات التبشيرية التجديدية أن تضع حداً للصراعات المحتومة بشأن الإرشادات والرؤية وتوزيع الموارد في الكنيسة المحلية من خلال تأكيدها على سلطة وقيادة مركزية قوية. لقد قالوا عن هذا الأمر أنه

"استعادة" للوضع الذي كان قائماً في الكنيسة الأولى، إلا أن هذا فعلياً ليس سوى استعادة النظام البابوي العتيق.

حُذ البابا، الكاردينال⁵¹، الأسقف، الكاهن وضع بدلاً منهم الشيوخ، القساوسة، الأنبياء، الرسل. هذا النظام سوف يخلق العديد من الباباوات الصغار والكثير من العبيد وكثيراً من المشكلات، بالإضافة إلى أنه لم يكن له أي دور في الكنيسة الأولى. لقد تم بناء الأهرامات لغرض دفن الموتى داخلها. كما أن بناء الأهرامات قد تم بواسطة عبيد! فلماذا نجد أن هناك كثيرين مازالوا يصنعون الطوب لفرعون؟

لكن لوقا ١٠ ترسم صورة مختلفة. كيف كانت الأمور تسير في الكنيسة الأولى؟ عندما تذهب لمنزل شخص آخر فأنت دائماً الضيف، ودائماً الخادم. لست أنت المسؤول بأي حال من الأحوال. فلن تبدأ في إخبارهم كيف ينظمون أثاثهم، أو كيف يسيرون أمورهم المنزلية، ولن تطلب أطعمتك المفضلة. ودورك في إعلان الملكوت يتمثل في تلمذة الشخص الذي يستضيفك في منزله ليصبح القس/الراعي/الأسقف/الشيخ (تستخدم كل تلك المصطلحات بالتبادل في العهد الجديد - راجع أعمال ٢٠: ١٧، ٢٨) لعائلته وأصدقائه. إن السلطة الطبيعية، السطوة، والتعبير عن ملكوت الله على الأرض، يحدثون جميعهم من خلال كيانات العلاقات البسيطة مثل شبكة العلاقات الموجودة في العائلة والصدقة.

إن الواقع المؤسف للعديد من الأنظمة الكنسية التقليدية هو أن تلك الأنظمة أصبحت مُدمرة لقوة العائلة كما أن البرامج المؤسسية صارت تلتهم الوقت الخاص بالبيت وطاقته. وأحد النتائج المترتبة على هذا هو أن الغالبية العظمى من الأطفال الذين ينشأون في بيوت بها عائلات مؤمنة يتركون الإيمان بمجرد أن يصبحوا على أعتاب سنوات النضوج.

وبينما تقوم بالإعلان عن الملكوت فأنت توضح أيضاً أن تلميذك الجديد هو أيضاً عضو في ملكوت الكهنة، الذين هم كهنوت ملوكي، أمة مقدسة (١ بطرس ٢: ١-١٠)، ابن أو ابنة للآب السماوي (١ يوحنا ٣: ١-٣)، لهم ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع (عبرانيين ١٠: ١٩-٢٥، ١٢: ٢٢-٢٤)، ويسكن فيهم الروح القدس؛ روح الحق الذي يرشدهم إلى جميع الحق (يوحنا ١٦: ١٣ و ١ يوحنا ٢: ٢٤-٢٧)، ولديهم قلوب مُجددة حيث حَطَّ الله عليها وصاياها (٢ كورنثوس ٣: ٣)، ويسوع هو مجددهم وقائدهم (كولوسي ١: ١٨) كما أنه لهم كل شيء في المسيح (أفسس ١-٣ و ١ كورنثوس ٣: ٢١-٢٣).

فكيف إذن تتلاءم القيادة البشرية مع هذا؟ إن المهمة الأساسية للقيادة الخادمة هو أن تعلن عن الملكوت بأن تعبر بوضوح عن رجائك وثقتك في هوية الأشخاص الذين تخدمهم في المسيح

⁵¹ رتبة كاثوليكية رسمية، والكاردينال هو عضو المجلس الاستشاري لكنيسة روما، وهو يلي بابا روما مباشرة في السلطة، ويتم اختيار البابا من بين الكرادلة. (ف.ت.)

وثقتك التامة في أن الله يقودهم. إن القيادة البشرية تتمثل في محبة البشر وإطلاقهم أحرارًا إلى ربوبية المسيح.

"لَيْسَ أَذْنَا نَسُودُ عَلَى إِيمَانِكُمْ، بَلْ نَحْنُ مُوَارِثُونَ لِسُرُورِكُمْ. لِأَنَّكُمْ بِالإِيمَانِ تَتَّبِعُونَنِي."

(٢كورنثوس ١: ٢٤)

لقد سعى بولس عبر رسالتيه الأولى والثانية لأهل كورنثوس أن يرشد ويحث كنيسة كورنثوس لأن تتعامل مع قضاياها وتنفيذ التأديب في أخ يعيش في الخطية. لم يكتب بولس حينها للشيوخ ولم يأمرهم بأن يفعلوا هذا! لم يتبع بولس أي نظام للسلطة المفوضة ولم يصدر أي سلسلة من الأوامر. لقد كتب للكنيسة بأكملها والتمس منها أن تتصرف وفقًا لما تراه صالحًا، وذلك لأنه يحب شعب الكنيسة وقد قام دائمًا بخدمتهم على نفقته الخاصة.

إن القيادة في ملكوت الله تتحقق بتقديم القدوة وإعطاء المشورة الصالحة للآخرين. وخلال المشورة قد تتعامل مع الحكيم أو الأحمق وتترك حرية اتخاذ القرار الأخير لهؤلاء الذين سيعيشون بمقتضى هذا القرار. هذا الأمر يدور حول ترك المساحة لأولاد الله كي يواجهوا مسؤولياتهم في محضر الله، والسماح ليسوع بأن يبني كنيسته. بينما تدور القيادة في غالبية الكنائس المعاصرة حول منح الإذن. وتتجاوب مع الأمور بنعم أو لا. إن قادة الكنائس يخبرونك بما يمكنك القيام به وما لا يمكنك القيام به. وهذا الأمر يتعلق بالأوامر والسيطرة التي تنتج أبناء مشوهين روحياً لا يعلمون كيف يدخلون في علاقة حقيقية مع الله.

ويُفترض عادة أن المؤسسات الضخمة يجب أن تُدار بالأوامر والسيطرة. من المحتمل، لكن هل فُصد لكنيسة يسوع في أي زمان أن تكون مؤسسة ضخمة؟ إذا أطعنا يسوع وقمنا بتلمذة التلاميذ في بيوتهم وضاعفنا هذه البيوت، فكل كنيسة ستكون صغيرة العدد وكل عضو من الأعضاء سيكون بإمكانه أن يتدرب بسهولة على ميراثه الروحي، الذي هو أن يصغي لصوت السيد ويطيعه، أثناء خدمة أحدهم للآخر. لقد قدم لنا يسوع نموذجًا لكنيسة مكونة من اثني عشر عضوًا. ولقد فُصد لكنيسة يسوع أن تكون جسده وهو الرأس والقائد لها.

لقد تضاعفت المجموعات الصغيرة من المسيحيين عبر جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية حتى أصبح ١٠% من الإمبراطورية أتباعًا ليسوع. لقد فعلوا هذا بدون إدارة مركزية أو تسلسل سلطوي هرمي، وبدون أي وسائل تدعم سيطرة السلطة الهرمية أو أي نظام مركزي لجمع الأموال وتوزيعها. لقد حمل كل مؤمن المعلومات الوراثية للنظام في قلبه. حمل في قلبه الصفات الوراثية التي للقائد. وكل مؤمن قد أتى ثمره بإخلاص حسب الصفات الوراثية التي تنتمي للسيد. إن الأمور تسير على نحو غير مناسب عندما تحتل القيادة البشرية مكانًا بين الرأس (يسوع) وأعضاء جسده! بل أن الأمور تسير على نحو خاطئ عندما تتحول الجماعة صغيرة العدد لمؤسسة ضخمة.

وبالطول الوقت الذي شهدنا فيه الكنيسة هكذا، مؤسسة ضخمة، حتى أننا لم نعد نتخيل كيف تكون الكنيسة التي يرغب بها يسوع بالحقيقة! إن يسوع يرغب في استرداد كنيسته! لكننا قد تكيفنا للغاية مع هذا الوضع لدرجة أننا أصبحنا نقبل ونحتاج بل ونثق في القيادة البشرية ولم يعد في إمكاننا تصور أن يسوع يستطيع بالفعل أن يوجه جسده ويرشده. لقد اعتدنا على الاحتياج للقيادة البشرية لدرجة أن أي تعبير عن الثقة في يسوع كرأس فعال لجسده أصبح يُعتَبَر استقلالاً متمرداً!

ما هو أفضل وصف للكنيسة وفقاً لتصور يسوع لها في لوقا ١٠؟ شجرة بلوط أم غرسة فراولة؟ فيل أم أرنب؟ نعم، لقد خلق الله كلا منهما لكن ما هو الأمر الذي يميز الكنائس الناجمة عن الامتثال للإصحاح العاشر من إنجيل لوقا؟ إن الجواب في منتهى الوضوح! غرسات الفراولة والأرانب. فلنمجد الله من أجل الأفيال وشجر البلوط، ولكن، لماذا يستمر البشر في محاولة إنشاء شجر بلوط وفيلة؟ من الممكن أن تبني عرشاً فوق شجرة بلوط أو فوق فيل وبإمكان العالم أن يراك فوق عرشك ويرى الخدمة العظيمة التي لديك. ولكنك ستبدو سخيفاً إذا حاولت الجلوس على غرسة الفراولة أو إذا حاولت أن تمتطي أرنباً. أيضاً إذا قمت بغرس شتلات الفراولة في حقل ما فسوف ترسل تلك الشتلات سيقانها الجدارية المتسلقة لترمي غرسات فراولة جديدة. سترسل كل غرسة جذورها عميقاً إلى الأسفل لتبحث عن المياه اللازمة لتحيا ثم تنشر أوراقها لتمتص محبة الابن وسريعاً سيمتلئ الحقل بشجيرات الفراولة. وستترابط تلك الشجيرات فيما بينها لكنهم لن يصبحوا اعتماديين على بعضهم البعض! ولن تتمكن من تحديد غرسة الفراولة الأولى من بينهم! إذا تركت اثنين من الأرانب بمفردهما لمدة عامين، فسيكون لديك على الأقل مليون أرنب. لكن بعد عامين سينجب اثنين من الفيلة فيل واحد فقط وسيستهلكا الكثير من الموارد حتى يتمكنوا من القيام بهذا.

إن "المشكلة" مع المؤسسات التي بلا قيادة هي صعوبة استغلالها لتكوين ثروة شخصية. إن التسلسلات السلطوية الهرمية تؤول إلى تدفق الثروة. وقد قال أحدهم أن الإنسان لن يتحمل عناء أن يفهم أمراً ما إذا كان راتبه يعتمد على عدم فهم هذا الأمر. وكما قالوا، إذا أردت أن تفهم كيف تسير الأمور، تعقب المال. إن مسألة الراتب والأمان المادي تعتبر حجر عثرة ضخم بالنسبة لكثيرين من الذين يشغلون مناصب مهنية في الخدمات.

قد يسعى صديق جديد لنوال درجة الدكتوراة في خدمة معينة ملحق بها معهد لاهوت محلي. العديد من رسائل الماجستير والدكتوراة المرشحة هناك تدور حول الكنيسة الأصلية البسيطة، حتى أنهم يبدؤون خدمتهم وهم مصدقون أن هذا هو النموذج الكتابي عن الكنيسة. غير أنهم سيواجهون مشكلة ضخمة. لقد درس مثل هؤلاء المتعلمين لسنوات حتى يتمكنوا من التقدم

للووظائف لدى الخدمات المحترفة في التجمعات الكنسية الكبيرة. لكنهم، إذا أقروا بالعواقب المترتبة على تفكيرهم في الكنيسة الأصلية وأن وصية يسوع لهم هي أن يصنعوا تلاميذ، لا أن يشيدوا المؤسسات، فسوف يكون عليهم إيجاد وسائل أخرى لإعالة أنفسهم وأسرهم. لن يكونوا هم المسؤولون.
من هو المسؤول إذًا؟
يسوع !

4 - خادمٌ دائمًا ولست ملكًا على الإطلاق - أو: ماذا عن الشيوخ؟

بالنظر خلال الإصحاح العاشر من لوقا، وعبر بقية العهد الجديد، يمكنك أن تجد على الأقل 15 إشارة مباشرة عن الكنائس المنزلية وأخرى مثلها غير مباشرة (انظر ملحق #2). تلك هي المنازل التي تم إرشاد رجل السلام فيها ليصبح الراعي/القس/الأسقف/الشيخ الخاص بعائلته وأصدقائه.

حسنًا، لكن ماذا عن رسامة الشيوخ؟ ألا يتضمن هذا وجود نظام حكم هرمي؟ كيف يتفق ذلك مع هذه الرؤية؟ أعتقد مبدئيًا أننا نحتاج للبقاء بعيدًا عن مصطلح "رسامة". فالرسامة كما يتم استخدامها في المؤسسات الدينية، توحى بشدة أن هناك منصبًا وسلطانًا يُعطى لأحد الأشخاص من يد شخص آخر يعلوه في الدرجة الهرمية. في المقابل، العملية التي يتحدث عنها بولس في تيموثاوس الأولى 3 و تيطس 1 يمكن وصفها بأنها تمييز النعمة الإلهية الممنوحة لأحد الأفراد والتعرّف عليها من ثمارها الأكثر نضجًا. علينا أيضًا أن نؤكد على ذلك الواقع الشرقي الخاص بتكريم وتقدير الأكبر سنًا وخبرةً روحية. ليس هذا كما يحدث بالغرب من تصعيد للشباب سواء لمواهبهم أم لشخصياتهم وحضورهم. إنما هو تكريم شرقي لهؤلاء المستحقين أن يكونوا شيوخًا نتيجةً لخبراتهم الحياتية الناجحة.

ومن ثمّ ذهب بولس إلى كريت وأسس العديد من الكنائس المنزلية. ثم وجّه تيطس في الأصحاح الأول من رسالته إليه بالعودة وتمييز الشيوخ وأعطى تعليماته له بأن يبحث أثناء ذلك عن الصفات الشخصية والنزاهة في العلاقات بالأحرى بدلًا من الموهبة أو جاذبية الشخصية. وبالنظر لذلك عبر عدسة لوقا 10 يمكن أن يكون الأمر عبارة عن شيخ راعٍ بكل منزل يتم تمييزه فيما بعد للخدمة خارج نطاق هذا المنزل وتقديم الإرشاد لاجتماعات كنسيّة أخرى بالمدينة.

قد لا يمتلك بعض شيوخ البيوت في حياتهم الثمر الكافي لتمييزهم كشيوخ بالكنيسة. أما هؤلاء الذين كان لديهم الثمر الكافي فقد أصبحوا شيوخ كنيسة "كريت". ماذا تغير في منازل هؤلاء

الشيوخ الجدد؟ لا شيء. ومع ذلك، فالشيخ يتم تمييزه بكونه قادرًا على مساعدة الكنائس المنزلية الأخرى بالمنطقة.

في ضوء ذلك دعنا ننظر إلى خطاب بولس لشيوخ أفسس. نفس إجراءات الزرع والاختبار والتمييز قد حدثت في أفسس، وعندما جمع بولس الشيوخ عند رحلته الأخيرة لأورشليم، حذرهم في (أعمال 20: 29-30):

"لَأَتَّبِعِي أَعْلَامَ هَذَا: أَدَّتُهُ بَعْدَهَا بِي سَيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذَنَابٌ خَاطِفَةٌ لَا تُشْفِقُ عَلَى الرَّعِيَّةِ. وَمِنْكُمْ أَنْتُمْ سَيَفْؤُومُ رَجَالٌ يَتَكَلَّمُونَ بِأُمُورٍ مُلْتَوِيَّةٍ لِيَجْتَذِبُوا التَّلَامِيذَ وَرَاءَهُمْ."

رأى بولس خطرين، أولهما هو "الذئاب الخاطفة" من الخارج. وقد تحدث عن هذا أيضًا في كورنثوس الثانية 11 حين أتى على ذكر الرسل الكذبة الذي كان كل همهم السلطة والمال. وتحدث عن هذا الخطر القادم من الخارج مرة ثانية في الرسالة إلى تيطس، "الَّذِينَ يَجِبُ سَدُّ أَفْوَاهِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَقْبَلُونَ بُيُوتَهُمْ لِيُؤْتَمَلِكُوا، مُعَلِّمِينَ مَا لَا يَجِبُ، مِنْ أَجْلِ الرِّيحِ الْفَاسِدِ." (تيطس 1:

(11

الخطر الثاني هو من الداخل. وهو أن يجتذب الشيوخ بعض التلاميذ وراءهم. فما الباعث لذلك؟

الشيخ هو شخص يتم تمييزه داخل كنيسته المنزلية وخارج منزله أيضًا كأحد شيوخ كنيسة المدينة. وأتخيل أن مسؤوليات مثل هذا الخادم تكون، أولاً، الاطمئنان على الصحة الروحية لكل كنيسة منزلية من خلال تقديم صورة ملكوت الله والاحتذاء بها، وثانيًا أن يكون متاحًا لتقديم خدمة الشفاء بوضع الأيدي، وثالثًا التواصل مع الكنائس المحلية المجاورة، ورابعًا مساعدتها على نمو عدد الكنائس المنزلية بتلك المنطقة، وخامسًا تسهيل فرص الخدمة خارج المنطقة، مثلما فعل بولس بقبوله للعطايا التي قدمها أهل مقدونيا وكورنثوس لكنيسة اليهودية التي كانت تعاني من ضائقة وقتها.

بدلاً من تأدية تلك المهام، بعض الشيوخ يستغلون مواهبهم في تشويه ملكوت الله وجذب تلاميذ لأنفسهم من الكنائس المنزلية المحيطة. لو قبعوا للعناية ببيوتهم واستمروا في الالتزام بوصايا الذهاب للكراسة الواردة في لوقا 10، لَبَقُوا خُدَامًا لِلرب على الدوام، وظلوا مُرْسَلِينَ دَائِمِينَ يعينون أهالي البيوت الجديدة على أن يكونوا أتباعًا ليسوع.

لكن إذا جذب الشيوخ التلاميذ وراءهم، لأصبحوا ملوكًا. وصار بإمكانهم استخدام مواهبهم ومسحتهم وقوة شخصيتهم في اغتصاب مكانة يسوع من رأس كنيسته. وأصبح بمقدورهم بناء قاعدة للمنصب والسلطة والثراء، وإفساد عملية تضاعف الكنائس المنزلية. يقول بولس أن هؤلاء الذين عطلوا الخدمة وبدأوا يجتذبون الآخرين لأنفسهم لم يكن بإمكانهم فعل ذلك لولا أنهم "يتكلمون بأُمُورٍ ملْتَوِيَّةٍ".

على الرغم من هذا، ففي المسيحية المعاصرة أولئك الذين ينجحون في جذب أكبر عدد من الناس حولهم يتم اعتبارهم الأنجح بين الجميع، ويقدمون المؤتمرات لتعليم القادة الآخرين كيفية مضاعفة هذا النجاح. أما وفقًا لبولس فهم يعلمون الآخرين كيف يتكلمون بأمر ملتوية. إذًا، فالشيوخ كان يتم تمييزهم، نعم. مع ذلك فإنهم لم يقوموا بمهامهم عن طريق إخبار الآخرين ما الذي يمكنهم أو لا يمكنهم فعله. لم يعطوا الإذن أو يمتنعوا عن منحه. كانوا فقط يخدمون الناس ويقدمون لهم نموذجًا في اتباع وصايا "بعضكم بعضًا". أما اتخاذ القرارات بشأن خدمات الآخرين فلم يكن من مهام عملهم. منح الإذن ليس من اختصاصات شيوخ العهد الجديد. شيوخ العهد الجديد هم قادة كنائس منزلية ناضجون ومثمرون تم تمييز قدرتهم على خدمة البيوت الأخرى. متى بدأوا يجتذبون التلاميذ وراءهم، حرّفوا بذلك خدمتهم. وإذا صاروا مانحين للأذونات، فإنهم بذلك يأخذون مكانة يسوع، رأس الجسد. هل أنت شيخ؟ هل تحب الناس؟ لو كان الأمر كذلك فستترك لهم نفس مساحة الحرية التي تتوق إليها في يسوع، وتتمثل بالاتضاع والتكلم بالحق والنمو في الحكمة.

5- يسوع، الرأس الحقيقي، ليس رأسًا مجازيًا وحسب.

دعني أقولها مجددًا، نحن نُظهر الملكوت بإكرامنا للملك. كيف تسير الأمور في الكنيسة المنزلية؟ كيف تعمل جماعة الكهنة الملكيين؟ كيف يعبر أعضاء جسد المسيح عن رأسهم المشترك؟ كيف تعبر الحجارة الحية التي في هيكل الروح القدس عن إجلالها وعبادتها للرب الساكن في بيت كل منها؟ تتفاوت التشبيهات الخاصة بجسد المسيح في العهد الجديد، ما بين الجسد، والهيكل، ثم الأقرباء، والجنود. أما تشبيه "المشاهدين" فلم يُستخدم أبدًا! لا يتكون الجسد من متفرجين سلبيين يدفعون المال لمشاهدة القادة الخارقين وهم يقومون بالخدمة! نحن غير منقسمين إلى إكليروس⁵² وعلمايين، محاربين ومتفرجين. إذا كنا نؤمن أن الروح القدس يسكن في كل مؤمن فعليًا أن نرى التطبيق العملي لهذا حيث يُظهر كل عضو الروح الساكن فيه. هناك حوالي أربعون آية كتابية تتحدث عن وصايا "بعضكم بعضًا"، مثل "أحبوا بعضكم بعضًا"، "انتظروا بعضكم بعضًا"، "احملوا بعضكم أثقال بعض"، "تكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه لأننا بعضنا أعضاء البعض"، "خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله." (لدراسة مستفيضة حول هذا الموضوع انظر ملحق 3). وإذا أضفنا الآيات التي تتحدث عن الأخوة أو الأقرباء سيتجاوز عدد الوصايا المتعلقة بالعلاقات السبعين، وبالطبع، من بينها وصية "تحب قريبك كنفسك".

⁵² الإكليروس هي طبقة كهنوتية بالكنائس التقليدية، تنقسم إلى رتب مثل الشماسية والقساوسة والأساقفة، وتنقسم كل رتبة منهم إلى عدة درجات. (ف.ت.)

مع هذا، توجد 6 آيات فقط توصينا بإكرام الأعلى مدًا في الرب. فأى مجموعة آيات من هاتين المجموعتين هي التي تحظى بالاهتمام والتركيز الأكبر من قبل الكنائس الطائفية؟ بالضبط! هي تلك المجموعة من الآيات القليلة التي تتحدث عن الخضوع للقادة. هكذا يتم ارتكاب خطأ التركيز الانتقائي. يتم استخدام هذه الآيات لتبرير إقامة نظام هرمي، بينما يتم إهمال الأغلبية العظمى من آيات الكتاب التي تتحدث عن الجسد المقدس من كهنة مقدسين تحت رئيس كهنة واحد. تمامًا مثل ما حدث في الجنوب الأميركي من إساءة استخدام للنصوص الكتابية حين تم لي عنق بضعة آيات قليلة محددة لتبرير العبودية، أو ما حدث في جنوب أفريقيا عندما تمت إساءة استخدام النصوص الكتابية لتبرير التفرقة العنصرية ولم يؤت على ذكر أي من النصوص الكثيرة الخاصة بالمساواة والأخوة.

كما أن معظم الآيات التي تتحدث عن إكرام الشيوخ تأتي أيضًا في سياق مناخ "بعضكم بعضًا". ولهذا فكل العلاقات البنائية المذكورة في أفسس 5 مسبوقة بـ "خاضعين لبعضكم لبعض في خوف الله" (أفسس 5: 21). والتعليمات المذكورة في رسالة بطرس الأولى 5: 5، "كذلك أيتها الأحداث، اخضعوا للشيوخ" يليها في نفس الآية "وكونوا جميعًا خاضعين لبعضكم لبعض، وتسربلوا بالتواضع".

نعم، هناك قادة. وهناك مسؤولية على عاتقهم. لكن كما قال بطرس في رسالته الأولى 5: 3 أننا لا ينبغي أن نقود "كمن يسود على الأنصبة، بل صائرين أمثلة للرعية". أن نقود بأن نكون أول من يتحمل المعاناة، أول من يضع حياته على المحك، أول من يسامح وأول من يعتذر عند الخطأ.

القيادة الحقّة تكون بلساء المُثُل والقُدوة. القائد الذي يطالب بالخضوع قد فقد كل سلطته الأدبية. فهل تريدون رؤساء وعبيد أم أخوة وأصدقاء؟ ليس هذا نوعًا من عقلية العبيد، أو التفكير الديني أو الانبطاحي. ليس هذا نوع من التواضع المزيف. نعم، نحن أبناء الملك. نعم، نحن الرأس ولسنا الذيل. نعم، نحن من نجلس مع المسيح في السماويات. لكننا يجب أن نتبع الوصايا في فيلبي 2: 5 "فليكن فيكم الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا: الذي إدّكان في صورة الله، لم يحسب حُسنه أن يكون معادلاً لله ليكذبه ألقى نفسه، أخذًا صورة عبْد، صائرًا في شبه الدّاس. وإدّوَجَدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب."

ليكن فيكم هذا الفكر أيضًا! لهذا، إن كان يسوع رأسًا حقيقيًا لجسده ككل، وليس فقط ربًا شخصيًا لكل عضو على حده، فأحد أهم تدريبات الجسد أن ننحي جانبًا ما قد يكون من حقتنا، وأن ننتظر بعضنا بعضًا. تلك إحدى أهم الرسائل التي تحملها لنا كورنثوس الأولى 11: 27-30 تلك الآية "من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرفدون" ليست بشأن

إحدى الخطايا الفردية السرية الغير معترف بها، بل كانت لأجل سلوكهم تجاه جسد المسيح المتمثل في أسلوب تناولهم الطعام معًا.

نحن نأكل الخبز لنعلن أننا جسد واحد، ونشرب الكأس لنعلن أننا نشترك في حياة واحدة. نُذَكِّرُ بموته إلى أن يجيء. نعلن أننا بموته صرنا واحدًا. فحين نجتمع للأكل ينبغي أن ننتظر بعضنا بعضًا. ماذا كانت مشكلة كورنثوس؟ عشاء الرب هو وجبة حقيقية وليس وجبة رمزية. وكان الأغنياء يجلبون الكثير من الطعام والشراب، فيأكلون حتى الامتلاء ويشربون حتى الثمالة، بينما يذهب الفقراء وهم جوعى. كان الأغنياء يعيرون الفقراء. غير مُميّزين جسد الرب. فالفقراء جزء من جسد الرب كالأغنياء تمامًا. وبتعبيرهم للفقراء كانوا يهينون يسوع وكل ما مات لأجله.

والحل؟ "حِينَ تَجْتَمِعُونَ لِلأَكْلِ، ائْتَنظِرُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (كورنثوس الأولى 11: 33) وإذا كنتم تجوعون ولا تقدرّون على الانتظار لتأكلوا؟ يمكنك أن تتناول بعض الطعام قبل القدوم حتى لا تأكل وتشرب دينونة لنفسك (كورنثوس الأولى 11: 34). وإن كان بينكم رجل فقير يعجز عن إطعام نفسه أو عائلته؟ تأكدوا من أنه يستطيع تناول الطعام بالمنزل لكي لا يفضح احتياجه أمام الكل، هكذا تحفظ صدقتكم كرامته كعضو في جسد المسيح.

أن ننتظر بعضنا بعضًا، هذا يعني العديد من الأمور. فإذا كنت أرى يسوع رأسًا للجسد، فسأكرم وأنتظر أولئك الذين هم أكبر عمراً وأكثر نضجاً في يسوع مني. سأميّز يسوع فيهم. هذا هو لبّ الحديث في الرسالة إلى العبرانيين 13: 8 ، "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ." هذا النص الكتابي لا يتحدث فقط عن يسوع. نعم هو ينطبق بالطبع على يسوع، ولكن هذا بديهي. الأمر المذهل هنا هو أنه بإمكان الشخص أن يسير في نعمة الله حتى يصير كل يوم في حياته هو تعبير متواصل عن يسوع. يتحدث هذا النص الكتابي عما نراه كنتاج ظاهر لحياة الإنسان. هل نرى يسوع في حياتهم؟ ذلك هو الإيمان الذي علينا أن نتبعه. الأشخاص الذين يرى الآخرون يسوع فيهم، لا يحتاجون أبدًا أن يطلبوا من أي شخص أن يخضع لهم! لو كنت حقًا أسير مع يسوع كرأس لي، أسير كعضو ناضج في جسد المسيح، فسأميز وأستقبل من الأعضاء الأحدث عهدًا. سأرى يسوع فيهم. وإذا كان وجودي في المسيح يمنحني الثقة، فلن أحتاج أبدًا أن أطالب أي شخص بالخضوع لي. وإذا كانوا لا يرون يسوع فيّ، وإذا كان الروح القدس لا يكلمهم، فلم أفعل أنا ذلك؟ بل كيف يمكنني أن أفعل ذلك من الأساس؟

الأسئلة الأكثر تكرارًا

1- ماذا عن الآباء الروحيين؟ ألا نحتاجهم ليرشدونا ويُطِّقونا نحو ما هو مقدر لنا؟

- بلى، وبولس قد دعا تيموثاوس "الابن الصريح في الإيمان" (تيموثاوس الأولى 1: 2) ومن الواضح أنه قد سار تجاه تيموثاوس في علاقة تربية حركية مُشجِّعة ومُحررة. وقد أفصح بولس عن رغبته في وجود المزيد من الآباء بالمقارنة مع المرشدين المتاحين بوفرة (كورنثوس الأولى 4: 15-17). مشكلة مفهوم الآباء الروحيين في ضوء البناء الهرمي أنه يصبح نظامًا للسيطرة والتحكم والتمويل. هذا ما يحدث عندما يكون مطلوبًا أن يحصل الجميع على آباء روحيين وأن كل ابن يجب أن يكرم أباه الروحي بإعطائه العشور. الأمثلة التي نضربها هنا هي يشوع مع موسى، أليشع مع إيليا، وتيموثاوس مع بولس. الدرس المستفاد من هذه الأمثلة أنه يجب أن تكون لديك علاقة أبوية مثل تلك لكي تنطلق نحو الهدف. ولكن في حقيقة الأمر فإن موسى وإيليا وبولس في هذه الأمثلة لم يكن لديهم آباء روحيين. فهذه الأمثلة تصلح لكلا الاتجاهين. أن يكون لديك أخ أكبر، مرشد، أب روحي، ذلك أمر جيد لكنه ليس إجباريًا أو ضروريًا. فعدم وجود أب روحي لموسى وإيليا وبولس لم يمنعهم من تحقيق مصائرهم.

في الواقع، فإن بولس يستخدم حقيقة أنه لم يكن له معلمون في الإيمان كنوع من التأكيد على صحة تلقيه الوحي الخاص بيسوع مباشرةً من يسوع.

"وَأَمَّا الْمُعْتَبِرُونَ أَنَّهُمْ شَيْءٌ مَّهَمًا كَانُوا، لَا فَرْقَ عِنْدِي، اللَّهُ لَا يَخْذُ بِوَجْهِ إِنْسَانٍ - فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَبِرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ." (غلاطية 2: 6)

وقال هذا عن الرسل الذين كانوا في أورشليم - "المعتبرون أنهم شيء!" الآباء الروحيون الحقيقيون يدفعون أبناءهم نحو الأب السماوي الواحد، ويحملون في قلوبهم كلمات يسوع لكي لا يأخذوا المكانة الخطأ في تلك العلاقة. أما هؤلاء الذين عاينوا يسوع فلا يأخذون أنفسهم أو أي قادة آخرين على محمل الجد أكثر من اللازم.

"أَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَدْعُوا سَيِّدِي، لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدُ الْمَسِيحِ، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا حَوَّةٌ. وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الْأَرْضِ، لِأَنَّ أَبَكُمْ وَاحِدُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلَا تَدْعُوا مُعَلِّمِينَ، لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدُ الْمَسِيحِ. وَأَكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِمًا لَكُمْ. فَمَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَدْنِضْ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ." (متى

23: 8-12)

والآن ماذا عن الآباء الروحيين الذين يطالبون أبناءهم بتقديم العشور لهم؟ كان بولس ليقول أن طلبهم للمال يجردهم من أهليتهم ليكونوا آباء بأي شكل من الأشكال، ويخاطب أهل كورنثوس بشأن هذا السلوك الأبوي قائلًا:

"أَنَا مُسْتَعِدُّ أَنْ لِيَكْفِي وَلَا أُثْقَلْ عَلَيْكُمْ. لِأَتِّي لَسْتُ أَطْلُبُ مَا هُوَ لَكُمْ بَلْ إِيَّاكُمْ. لِأَنَّهُ لَا يِيغِي أَنَّ الْأَوْلَادَ يَتَّخِرُونَ لِلْوَالِدِينَ، بَلْ الْوَالِدُونَ لِلْأَوْلَادِ." (كورنثوس الثانية 12: 14)

2- ماذا عن قولنا مثلًا "الرسول إيفان" أو "النبّي جيمي"؟ هل هذا صواب أم خطأ؟ وكيف لنا أن نعرف؟

بناءً على ما قاله يسوع في (متى 7: 21-23) فإن الكذب يمكن أن يصنعوا المعجزات والعجائب ومع ذلك يبقون غير شرعيين، غير عارفين الأب ولا صانعين إرادته. المعجزات الأصلية التي تُصنع في اسم يسوع، لا تُستخدَم للتصديق على خدمة ما. المواهب لا تُستخدَم أبدًا لإثبات شرعية أي شيء. لكن بالأحرى فإن الأسلوب والصفات الحسنة والنزاهة في العلاقات هم ما يمنحون الشرعية لأي خدمة أو موهبة أو شخص. وطبقًا لما قاله يسوع في متى 23 فإن العلامات التي تميز الكذب هي أنهم يحزمون أحمالًا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس (مثل العشور الإلزامية)، وأنهم يحبون المناصب والألقاب والشهرة.

وحسب ما جاء في (متى 20: 25-28)، فإن ما يفضح الكذب هو وجود ثقافة قيادية تسودها السلطة والامتيازات بدلاً من تبعية المسيح والافتداء به في خدمته المضحية. وطبقًا لما قاله بولس في (أعمال الرسل 20: 30) فإن ما يكشف الكذب هو محاولتهم لاجتذاب التلاميذ وراءهم عن طريق التكلم "بأمور ملتوية" (مثل جعل الأبوة الروحية أمرًا إجباريًا).

وحسب ما كتبه بولس في كورنثوس الثانية 11 فإن علامات الرسل الكذب هي أنهم يرفعون أنفسهم في تسلط فوق الجميع ويأكلون أموال الناس. الكذب يكشفهم إدمانهم للسلطة والمال. المعلمون الكذب يستغلون المواهب والمعجزات الحقيقية الخارقة للطبيعة في أن يجتذبوا الناس لأنفسهم ويستغلوا شعب الله ماديًا. السواد الأعظم من الكنيسة المعاصرة الآن قد أصبح عبارة عن مزيج بين ديانة تُعبد فيها الأموال وأخرى تُعبد فيها الشهرة. عروس المسيح يتم إفسادها!

عبارة قاسية؟ تشهد إحدى الصديقات من نيجيريا أن النص الكتابي الوحيد الذي يُستخدم في الوعظ في منطقتها هو الأصحاح الثالث من سفر ملاخي. حيث يضغط القادة على الشعب لتقديم العشور والعطايا، ويقومون بترغيهم بوعود البركة إن فعلوا ذلك، وترهيهم بزرع الخوف من اللعنة داخلهم إن لم يفعلوا. هؤلاء القادة يمتلكون السيارات الفارهة بينما يعجز شعبهم عن توفير الطعام لأطفالهم. ربما تقول "هذه هي طبيعة الحال في أفريقيا". حسنًا،

لكن إذا كنت تريد أن ترى شيئًا على حقيقته فسيكون مفيدًا في الغالب أن تراه في سياق امتداده لنتيجته المنطقية.

خذ إنجيل الرخاء في أمريكا ومُده على استقامته نحو نتيجته المنطقية. في أمريكا لا يبدو الأمر سيئًا جدًّا، فعلى الأقل الجميع هناك يستطيعون إطعام أطفالهم. لكن في أفريقيا، كيف تبدو فكرة تقديم الأموال مقابل أخذ البركة؟ إنها تبدو كسرقة تحدّث للفقراء، وهي كذلك بالفعل - سرقة -.

لو كان الواعظ المؤمن لديه ما يكفي من الإيمان بمبدأ الزرع والحصاد، فلماذا لا يمنح هو ببساطة كل شخص من الحاضرين 100 دولار ثم ينتظر حصاد ثمر إيمانه وعطيته؟ السبب أنه يعلم جيدًا أن الأمور لا تعمل بهذه الطريقة. هو يعلم جيدًا أن الأمر برمته كذب! لماذا يستمر الكثيرون بنشر هذه الأكاذيب والضلالات؟ لأنهم يريدون تصديق الأكاذيب. هذا هو "اليانصيب" المسيحي - ربما أمتلك الإيمان الكافي هذه المرة، ربما يكون لدى الواعظ مسحة كافية هذه المرة، ربما سينجح الأمر معي هذه المرة، ربما تكون هذه هي المرة الذي يتحسن فيها وضعي المادي بصورة كبيرة!

في إحدى المرات جرت محادثة بيني وأحد المتكلمين في المؤتمرات، وقال هذا الشخص أن "معظم الخدام المتنقلين الذين يرتحلون للتكلم في المؤتمرات، هم عبارة عن بائعي هوى. يدفع لهم القس ليعطوا الناس اختبارات روحية تجعلهم مستمرين في الحضور وتقديم العطايا."

عندما يصبح الجسد تجارة، هذا هو بيع الهوى. فماذا عما يُصنَع بجسد المسيح؟ صديق آخر يقول دائمًا حين يؤتى على ذكر هذا الهراء المادي المنتشر في المسيحية "هناك العديد من الطفيليات المتشبثة بجسد المسيح."

ذات مرة أخذ الراحل "جون ويمبر" سيارة أجرة من المطار إلى إحدى قاعات المؤتمرات، وفي الطريق حاول أن يجري محادثة مع السائق، لكن عندما عرف السائق أنه مسيحي طفق يتهكم في خطبة لاذعة عن كل الفضائح المالية والجنسية المسيحية الشهيرة. وكان يعرفها كلها! وريثما بدأ يهدأ، سأله "ويمبر" قائلًا: "لكن إذا كان يسوع موجودًا وافترضنا أن له كنيسة، ماذا في رأيك ينبغي أن تفعل تلك الكنيسة؟" فأجاب السائق: "ينبغي أن يحب أعضاؤها بعضهم بعضًا وأن يساعدوا كل ذي عوز."

العالم يعرف ماذا ينبغي أن نفعل وكيف يتوجب علينا أن نحيا. إنها لمأساة أن العديد ممن يدعون أنفسهم مسيحيين لا يعرفون.

3- ماذا عن هؤلاء الذين يقولون أن جسد المسيح ليس نظاماً ديموقراطياً لكنه ثيوقراطي⁵³، ومن ثمّ ينبغي أن يخضع للسلطة التي فوضها يسوع لرتب الخدمة الخمسة⁵⁴؟

نعم، جسد المسيح ثيوقراطي، لكن إذا خضعت لسلطة إنسان آخر فهذا لا يمت للثيوقراطية بصلة، بل أنت وقتها في نظام حكم فردي ملكي. لهذا لم يرد الله ولا صموئيل أن يعطيا الشعب ملكاً في صموئيل الأول 8: 7، "لَأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُواكَ أُنْتَبَلْ إِيَّاي رَفُضُوا حَتَّى لَا أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ." لا يوجد تفويض بالسلطة في جسد المسيح. توجد فقط سلطة ممتدة من الملك إلى كل عضو من الأعضاء، والمנוط بنا أن نستخدمها لخدمة بعضنا البعض. عندما يبدأ القادة في الحديث عن شاول وداود وسليمان، خذ حذرك. النماذج التي نحتذي بها ليست داود وسليمان. الأمثلة الخاصة بنا هي يسوع وبولس. نحن في نظام ثيوقراطي ويسوع هو الملك. كلنا خدام وأخوة وأصدقاء، له ولبعضنا البعض.

فهل تريدون رؤوساء أم أخوة؟

وماذا يحدث حين يختلف الأخوة فيما بينهم؟ إذا كنتم متمسكين بالسير والعمل معاً، فستتظنون بعضكم بعضاً حتى يسمع كل منكم نفس الأمر من السيد. وإذا لم تتمكنوا من الاتفاق؟ كما فعل بولس وبرنابا في أعمال الرسل 15: 36-40، أن تتفقوا على ألا تتفقوا ويستمر كل منكم في القيام بعمله.

4- ماذا عن الخطأ والهزيمة في الكنائس الصغيرة؟

دعني أقتبس ما قاله "رولاند ألان": "العقائد الصحيحة تنبع بالحري من اختبار قوة المسيح، لا من الدروس العقلية البحتة. لم تنتج الهزات من الجهل، لكن من تخمينات رجال متعلمين."⁵⁵ هل نثق بالروح القدس كما وثق يسوع بالروح القدس؟ كانت ثقته أن الروح القدس سيرشدنا لجميع الحق. كانت هذه ثقته وهو يرحل عن تلاميذه بعد ثلاث سنوات من البقاء معهم. فهل نجعل الآخرين يعتمدون علينا أم على الروح القدس؟ هل كان بإمكاننا أن نكتب مثلما كتب في يوحنا 16 لتلاميذنا؟

⁵³ Theocracy، الثيوقراطية تعني حكم الإله. (ف.ت.)

⁵⁴ طبقات الخدمة الخمس المقصود بها أنواع الخدام المذكورة في أفسس 4: 11 وهي: الرسل، الأنبياء، المبشرون، الرعاة، والمعلمون. (ف.ت.)

⁵⁵ Roland Allen, "The Spontaneous Expansion of the Church", page 126, (London World Dominion Press), 1927

5- يبدو أنك تقول أن كل من يرأس خدمة أو إرسالية ضخمة إنما يفعل ذلك مدفوعاً بدوافع خاطئة، وأن كل من يمتطي فيلاً يفعل ذلك فقط لكي يراه الناس؟

نعم، قد يبدو الأمر هكذا. ومع ذلك، فهناك العديد من القادة الخدام في مختلف السياقات. الله هو من خلق الأفيال وشجر البلوط. هناك العديد من القادة الصالحين على ظهور الأفيال، والعديد من الأتباع الذين يحبون إطعام الأفيال. لكن لُب الموضوع ليس أن نجد القليلين من راكبي الأفيال طيبي القلب سليمي الدوافع، ومن ثم نختلق التبريرات لكل ذوي النوايا المشكوك بأمرها هؤلاء الذين يحاولون امتطاء الأفيال من أجل طموحات شخصية. إنما المهم هو أن نصير أتباعاً ليسوع وأن نعمل ما أوصانا به كما أوصانا أن نفعله.

هل نحن أتباع يسوع أم أتباع الأشخاص الناجحين؟ الحقيقة أنه حتى مع وجود أفضل النوايا، فإننا عندما نعمل أشياء لم يفعلها يسوع أو يأمرنا بفعلها، فدائماً ما ينتهي بنا الأمر في المكان الخطأ. نحن نقتدي بخطى ووصايا يسوع.

ومع كل هذا، أرى أنه من المستحيل أن نفهم كيف يمكن لشخص عاين يسوع وملكوته بوضوح أن يبقى راضياً وهو يُطعم الأفيال.

الفصل الثامن الرفض، القبول، وتطابق الهوية

"وَأَيَّةَ مَدِينَةٍ نَحَلُّمُوهَا وَلَمْ يَهْبِأُوكُمْ، فَأَخْرَجُوا إِلَيَّ شَوَارِعَهَا وَقَوْلُوا لِحَبَّابِ الْعُبَارِ الَّذِي لَصِقَ بِنَا مِنْ مَدِينَتِكُمْ نَهْفُضُهُ لَكُمْ. وَلَكِنْ اَعْلَمُوا هَذَا إِنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ..... الَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي، وَالَّذِي يُرْزَلُكُمْ يُرْزَلُنِي، وَالَّذِي يُرْزَلُنِي يُرْزَلُنِي الَّذِي أَرْسَلَنِي." (لوقا ١٠: ١١-١٠،

(١٦)

إن الحقول مبيضة ومعدة للحصاد لكن إن لم يتم تقبل وجودك، فعليك أن تنفض غبار هذا المكان عنك وتذهب لحال سبيلك! لقد قام يسوع ببعض التدابير لمواجهة الأمور التي يُحتمل حدوثها في هذا الصدد! "لم يقبلني الجميع، ولن يقبلكم الجميع أيضاً. حصنوا أنفسكم بمعرفة هذا ولا تدعوا مرارة الرفض تسجنكم." "عليكم أن تدركوا أن هذا الأمر ليس موجهاً ضدكم شخصياً. الأمر ليس بشأنكم. إنه بشأن ملكوت الله الذي اقترب ولكن البشر يرفضونه دوماً." يقول أحدهم أن الجحيم هو أن تنال بالضبط ما تطلبه؛ أن تحصل على ما كنت تريده تماماً. هل رفضت ملكوت الله؟ سوف يحترم الله اختيارك للأبد وسوف تكتشف ماهية اختيارك عندما لا يكون هناك متسع من نعمة الله. هل ترغب في أن يدعك الناس وشأنك؟ سوف تكتشف كم هي مخيفة الوحدة عندما يغادر حضور الله. هل ترغب في أن تقوم بالأمور على طريقك الخاصة؟ سوف يكون عندك الأبدية بطولها لكي تدرك إدراكاً كاملاً النتيجة الوحيدة المترتبة على اختيارك لطرقك الخاصة.

لا يوجد شيء اسمه البرودة الموجبة. فلا يمكنك أن تجعل شيئاً ما أكثر برودة بإضافة المزيد من البرودة له. يمكنك أن تجعل الشيء أكثر برودة عن طريق نزع المزيد والمزيد من الطاقة الحرارية عنه. إن درجة الصفر المطلق تتحقق عند انعدام كل الطاقة الحرارية - حيث لا يتبقى أي طاقة لتزال فيما بعد.

لا يوجد شيء اسمه الظلام الموجب. فلا يمكنك أن تجعل شيئاً أكثر قتامة بإضافة المزيد من الظلام له. الظلمة تشتد عندما يرحل المزيد والمزيد من الضوء. إن الظلام الدامس هو غياب الضوء.

ولا يوجد شيء اسمه الشر الموجب. فلن يصبح المرء أكثر شراً بعدما يستقبل جرعات متزايدة من الشر، بل عندما يرفض البر والعدل والاستقامة مرة تلو الأخرى. الشر المطلق هو غياب البر.

لا يوجد شيء اسمه الكراهية الموجبة. لا يمكنك أن تجعل شخصًا يزيد من كراهيته بإضافة المزيد من الكراهية له. من يزيد من كراهيته هو شخص رفض أن يزيد من محبته أكثر فأكثر. إن الكراهية التامة هي غياب المحبة تمامًا.

هل ترفض الملكوت؟ هل ترذل الله؟ هل ترفض بره وصلاحه ومحبته؟ سوف يقدر الله اختيارك ولن يسمح لملكوته، محبته، نوره، بره وصلاحه ونعمته أن يفيضوا منه تجاهك، وعندما ينفذ هذا، سوف تدرك أنه الأصل والمنبع لكل الصلاح. لم يخلق الله الشر. لا يسمح الله بحدوث الشر. إنه يسمح لنا بكل بساطة أن تكون لنا مطلق الحرية في اختيار طرُقنا الخاصة. هل ترفض الله؟ سوف يقدر اختيارك وسوف تُترك وسط العزلة التامة والظلام الدامس. 56

وآيات ذلك القبول أو الرفض مرعبة بحق. إن الحرية الممنوحة للإنسان في اتخاذ قراراته المهمة بالنسبة للأبدية هي أمر مدهش ومخيف في نفس الوقت. ومع ذلك، فمن العجيب أيضًا أن يسوع بنفسه طابق بين هويتنا وهويته أثناء ذهابنا للصيد. فأي شخص يقبلنا أو يرفضنا، يقبل أو يرفض يسوع، وقبوله أو رفضه يتطابق مع قبول أو رفض الأب السماوي. إننا جسده وهو يجعلنا واحدًا تمامًا مع نفسه. هذا هو نفس الحق الذي واجه بولس وهو في طريقه إلى دمشق (أعمال ٩: ٤-٥) عندما سأله يسوع، "سأول، سأول! لِمَاذَا تَضْطَهْدُنِي؟ فَقَالَ: «هَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدِي؟» فَقَالَ الرَّبُّ! «يَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهْدُهُ..»" وقد عين يسوع تطابقًا آخر شاملًا ومتكاملًا في متى ٢٥ عندما أثنى على ما فعله الأبرار عندما زاروا المريض والمسجون، وأطعموا الجائع، وكسوا العريان وقاموا بآبواء الغريب. فنجده يقول لهما: «لَمَّا أَتَيْتُمَا بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمَا. وَيَسْتَكْمِلُ يَسُوعُ ذَلِكَ التَّطَابُقَ عِنْدَمَا يَقُولُ لِلَّذِينَ عَنِ يَسَارِهِ: «لَمَّا أَتَيْتُمَا بِأَحَدِ هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا.»" فأن يتم رفض هؤلاء الأصاغر يعني مباشرة أنه قد تم رفض يسوع.

لقد حدد يسوع توحده الشامل المتكامل المطلق مع الفقراء، والذين يعانون، الأصاغر ومنسحقى القلوب. لقد وضع يسوع شخصه محل كل يتيم جائع وكل طفل مريض. وفي كثير من الأحيان يتساءل الناس ذوو النية الحسنة أسئلة عويصة. "أين الله في وسط كل ذلك القدر من المعاناة؟ كيف سمح الله لمثل تلك الأمور أن تحدث؟ كيف يمكن له أن يكون إله المحبة ولا يحرك ساكنًا وهو يرى كل هذا؟ هل ما لديه فعليًا من القدرة والقوة هو قدر ضئيل؟ أو كيف يمكنه أن يكون الإله كلي القدرة الذي خلق الكون وهو لا يأخذ موقفًا في وجه تلك المعاناة؟ هل هو شديد الضعف حتى أنه لا يقدر أن يعبر عن حبه للبشر؟"

56 هذه الحجة منسوبة لألبرت أينشتاين، في فيديو مرفوع على اليوتيوب بعنوان "هل خلق الله الشر؟ Did God Create Evil?"

إن الله يتأمل العالم الذي قد خلقه ويتأمل الإنسان الذي قد أعطاه مطلق الحرية والذي معه قد تشارك في مهمة رعاية وحفظ هذا العالم وهو يوجه نفس الأسئلة للإنسان. "كيف سمحت بحدوث هذا القدر من المعاناة؟ هل أنت بالفعل شديد العجز ومغلوب على أمرك؟ هل أنت حقًا لا تهتم بهذا الأمر سوى قليلاً؟"

بالفعل، لن يتمكن أحد منا من أن يفعل كل تلك الأمور بمفرده ولكن في استطاعة كل منا أن يفعل شيئًا ما. فلماذا يكون ما نقوم به هو دائمًا أقل القليل؟ إن لدينا الموارد لنوفر الطعام، الكساء، التعليم والمأوى لكل شخص على ظهر تلك البسيطة. لكننا ببساطة لا نملك الإرادة والرغبة والتصميم للقيام بهذا. قد ننفق المال في الواقع على تشييد المباني، تنظيم المؤتمرات، تجهيز أنظمة الصوت، وعلى المتعة الشخصية بدلًا من إنفاقه في إطعام الأطفال الصغار. أين الله في خضم كل تلك المعاناة؟ إنه يوجد في مكانين. إنه يسكن في من يعانون ويسكن في الأصاغر الوضعاء، وهو يسكن أيضًا في جسده وفي شعبه. إن الله يتراءى بوضوح عندما يقوم شعبه بخدمة من يعانون. إن الله يتراءى بوضوح للعيان عندما يتبنى شعبه هؤلاء الأصاغر ويكتنفهم في رعايته.

إن إعلان الله عن نفسه هنا ليس إعلانًا عن إله القوة والقدرة الذي يمكنه أن يجعل الإنسان يطيعه رغماً عن إرادته. إن العبادة الجبرية لا تعتبر عبادة. إنما الإله الذي نعبد هو إله التجسد. إنه الكلمة الذي صار جسداً، الذي رأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الأب، مملوءًا نعمة وحقًا. هذا هو الإله الذي أصبح جنينًا في رحم العذراء والذي قال عندما كبر، "دَعُوا الْأَوْلَادَ يَا تُونَ إِيَّيَ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ لِأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكَوتَ السَّمَاوَاتِ".

إن البشر الذين يختارون أن يعاينوا هذا المجد يختارون أيضًا أن يقدموا المحبة أولًا، أن يعبدوا الله ويتشبهوا بابنه وبما فعله. يسمحون لروح الله أن يملأهم، يسكن فيهم ويحيا من خلالهم. يختارون أن تستمر معجزة التجسد. ويختارون احتضان هؤلاء الأصاغر ورعايتهم. مكان هؤلاء الأصاغر يقع فوق قمة بناء ملكوت الله. فما يُفعل لهؤلاء الأصاغر يُفعل بيسوع. وهذه هي المملكة المقلوبة رأسًا على عقب.

الأسئلة الأكثر تكرارًا

١- إذًا، ألم يخلق اللهُ الشرَّ؟

- لا، الله لم يخلق الشر. الله خلق البشر والملائكة وبينهما سمة مشتركة، وهي القدرة على اختيار إما عبادته ومجده أو رفضه.
الظلام، الكراهية، الأنانية، وشهوة السلطة، كلها مظاهر ناتجة من إرادة رَفَضَت محبة الله الباذلة.

٢- إذًا الله لا يتحكم بالأمور بشكل مطلق؟⁵⁷

- لا، الله لا يتحكم بالأمور بمعنى أن قد سبق وحدد كل التفاصيل. إن خيارا لنا مهمة جدًا ولها عواقب أبدية. فلننا مخلوقات مرهونة بمصير آلي، لكننا نحيا في ملكوت به الحكمة والنعمة يصنعان الفارق.

نعم، مقاصد الله العامة ستتحقق! كل ما قصده في المسيح سيتم. لكن الأمر أشبه بخطة شاملة للسفر من "أوسلو" إلى "بروكسل". يمكنك أن تسافر عبر الطائرة في رحلة مباشرة. يمكنك أن تستقل القطار. يمكنك أن تقود سيارتك إلى هناك. وإذا ذهبت بالسيارة، يمكنك أن تتركب عبارة من أوسلو إلى ألمانيا أو إلى الدنمارك. يمكنك الاختيار بين العديد من الطرق السريعة. يمكنك أن تؤجر مركبًا شراعيًا وتقطع معظم الطريق بالإبحار، ثم تستقل سيارة من "أنتويب" إلى "بروكسل"، أو أن تبحر عبر إحدى القنوات المائية إلى "بروكسل". يمكنك أن تستقل العبارة ثم تسير معظم الطريق. كل رحلة جوية، برية أو بحرية يمكنك أن تسلك خلالها طرقًا متنوعة. وكل رحلة من الممكن أن تواجهك فيها الحوادث والعقبات. العديد من الأشياء يمكن أن تحدث. فكيف ستتفاعل معها؟ الخلاصة، هناك العديد من الطرق لتصل إلى غايتك.

تكن عظمة الله في أنه يستطيع عبر معجزة الصليب أن يحول أسوأ الإخفاقات البشرية إلى مجدٍ له. فالغفران أقوى من أي تعدٍ، والبركة أقوى من أي لعنة. المحبة لا تسقط أبدًا. يستطيع الله أن يحول أي رحلة، أي انحراف، أي فشل، إلى مظهر من مظاهر نعمته ومجده!
خلال إحدى رحلاتي الأولى إلى آسيا الوسطى، كان يقود السيارة التي كنت أستقلها وسط الجبال سائق بدا وكأنه مصمم على جعلنا نلقى حتفنا. كان يقود بطريقة جنونية. وعندما كدنا نصطدم بسيارة مسرعة في الاتجاه المعاكس بينما كنا نحاول تفادي شاحنة، أوقفت السيارة

⁵⁷لنظرة أعمق على هذه القضايا ننصح بقراءة الآتي

God of the Possible: a Biblical Introduction to the Open View of God, Greg Boyd, Baker Books, Grand Rapids MI, 2007

Who is God, Christianity Unshackled by Harold Eberle, World Cast Publishing, Yakima, WA.

وتأهبت للنزول والترجّل إذا لم يتغير أسلوب القيادة. قيل لي وقتها أنني لا أفهم ثقافة السائق، إذ أنه "لو أراد الله لنا أن نموت فسنموت، وإذا أراد لنا الحياة فسنحيا!" كان ردي وقتها هو أننا لسنا مسلمين. لسنا ضحايا سلبيين لذلك القدر الآلي المحتوم، بل نحن أتباع يسوع الذين يسيرون في النعمة والحكمة.

الله لا يتحكم بنا. لسنا تروسًا في آلة.

ولا نحن نتحكم في الرب. لا توجد وصفة إيمانية تضمن لك حياة خالية من المعاناة والصعوبات. لا توجد وصفة إيمانية تضع الله تحت طوعك.

قد لا نتمكن دائمًا من اختيار ظروفنا، لكننا قطعًا نختار دائمًا ردود أفعالنا على هذه الظروف. لسنا ضحايا، إلا باختيارنا.

لكن كل الأشياء تعمل لمجد الله، ونحن أيضًا يمكننا أن "نفتخر في الضيقات" عالمين أنها تنشئ رجاءً ولاء لا يخزي "لأنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدْ أَسْكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمَعْطَى لَنَا" (رومية 5: 1-5).

ونحن نعلم أنه لا شيء يقدر أن "يفصلنا عن محبة المسيح" وأنا "في هذه جميعها يَعْظُمُ ائْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا" (رومية 8: 18-39).

الفصل التاسع الابتهاج بالعلاقة مع الله

فَرَجَعَ السَّبْعُونَ يَفْرَحُ قَائِلِينَ: «يَارَبُّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ!». فَقَالَ لَهُمْ: «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبُرْقِ مِنَ السَّمَاءِ. هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتُدْوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَّارِبَ وَكُلَّ قُوَّةَ الْعَدُوِّ، وَلَا يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ. وَلَكِنْ لَا تَفْرَحُوا بِهَذَا: أَنَّ الْأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلْ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاعَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ». (لوقا ١٠: ١٧-٢٠)

"وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَهَلَّى يَسُوعُ بِالرُّوحِ. وَقَالَ: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الْآبُ، رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلْأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الْآبُ، لِأَنَّ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسْرَةُ أَمَامَكَ». وَاتَّقَتْ إِلَى تَلَامِيذِهِ وَقَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ لِي مِنْ أَبِي. وَلَا يَسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الْإِبْنُ إِلَّا الْآبُ، وَلَا مَنْ هُوَ الْآبُ إِلَّا الْإِبْنُ، وَمَنْ أَرَادَ الْإِبْنَ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ». (لوقا ١٠: ٢١-٢٢)

١- السلطان التام.

تلك الآيات السابقة من لوقا ١٠ تحاكي متى ٢٨: ١٨-٢٠ وهي تصف بالضبط كيف يمكننا تطبيق تلك الآيات. لقد أعلن يسوع أنه قد دُفِعَ له كل سلطان في السماء وعلى الأرض وأعلن أنه قد منح أتباعه السلطان "على كل قوة العدو"، لكن لم يُذكر في أي موضع من الأناجيل أن يسوع قد أعطى أحد أتباعه السلطان على تابع آخر ليسوع.

لا يُذكر في أي موضع من العهد الجديد أن هناك سلطانًا لأحد الكهنة المقدسين على كاهن مقدس آخر. إن الوصية السائدة هي "امتلئوا بالروح... شاكرين كُلَّ جِنِّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ... خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللَّهِ". (أفسس ٥: ١٨-٢١). إن حقيقة سكنى الروح القدس تعمل على خلق احترام متبادل بين جميع الذين يملأهم الروح القدس أيضًا. فإذا كان عرش الله في قلب أخيك، كيف تسول لك نفسك أن تتسلط على أخيك؟

مع ذلك، منحنا يسوع السلطان على "كل قوة العدو". شيء رائع أن ترى الشفاء والحرية يتحققان. وهما التعبير الواضح عن ملكوت الله. وهي الأمور التي تبرهن على وجود الملكوت في الحياة الحاضرة. لقد أتى ملكوت الله. إنه حاضر الآن. لكن، ماذا عن تلك الأوقات التي تصلي فيها ولا يحدث شيء؟ تحمل (عبرانيين ٢: ٨-٩) بين طياتها الحق الكتابي الخاص بـ "السلطان التام" وحقيقة أنه لا يتم شفاء الجميع من توتر المعيشة -

"أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ" بِالْإِذْنِ أَخْضَعَ الْكُلَّ لَهُ لَمْ يَدْرُكْ شَيْئًا غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ. عَلَى أَدْنَى الْآنَ لَسْنَا نَرَى الْكُلَّ بَعْدَ مُخْضَعًا لَهُ. وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلًا عَنِ الْمَلَائِكَةِ، يَسُوعُ، نَرَاهُ مُكَلَّمًا بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَدُوقَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمَوْتَ لِأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ."

بإمكاننا أن نرى يسوع لكننا لم نرَ بعد كل شيء خاضعًا تحت قدميه. إننا نعاني لأنه هو أيضًا قد عانى. تعبر (١كورنثوس ١٥: ٢٠-٢٨) عن نفس الحق: "لأنَّه يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ." إنه رب الكل لكن ليس الكل خاضعًا تحت قدميه بعد. فهو لديه كل سلطان، لكن، لا يقف الجميع أمامه ليعبدوه. الملكوت حالٌ في تلك الحياة الحاضرة والملكوت أيضًا سوف يأتي. الملكوت يحدث الآن، والملكوت لم يحدث بعد. الملكوت هو ما أتى وهو ما سيأتي. بل سيأتي الملكوت في المستقبل لأنه قد بدأ بالفعل فيما مضى. وسيستمر الملكوت في الحلول والمجيء كلما بدأ شخص جديد في تقديم محبته وطاقته للملك. وهذا هو إيماننا سواء شهدنا تحقيق الوعد أم تكبدنا عناء انتظار تحقيقه (عبرانيين ١١: ٤٠). وربما لا نرى كل الأشياء خاضعة تحت أقدامنا، لكننا نرى يسوع!

٢- العلاقة مع الله تأتي في المقدمة.

ومع ذلك، فالسلطان على الأرواح الشريرة ليس هو ما يأتي أولاً. لم يسلم يسوع نفسه على الصليب كي تتمكن من أن يكون لك خدمة خاصة بك. بل مات لكي تتمكن من أن يكون لك علاقة شخصية مع أبيه. وترجمة يوجين بيترسون لـ (متى ١١: ٢٥-٣٠) تشرح هذا الأمر جيدًا. فجأة انخرط يسوع في الصلاة: "أحمدك أيها الأب، رب السموات والأرض. لقد أخفيت مسالكك عن المحنكين رفيعي الثقافة والذين يفقهون في كل شيء، لكنك وضحتها جليًا للعامة. نعم، إن ذلك هو الأسلوب الذي تفضل العمل وفقًا له أيها الأب." واستأنف يسوع حديثه إلى الناس، لكن تلك المرة بلطف، قائلاً "لقد وهبني الأب كل تلك الأمور التي أتحدث عنها وأقوم بها. وهذه عملية فريدة بين الأب والابن، انبثقت من حميمية العلاقة بين الأب والابن ومن عمق معرفة كليهما بالآخر. لم يعرف أحد الابن بالطريقة التي يعرفه بها الأب، ولم يعرف أحد الأب بالطريقة التي يعرفه بها الابن. لكني لم أحتفظ بالأمر لنفسى؛ فأنا على أتم استعداد لخوض هذا الأمر خطوة بخطوة مع أي شخص يرغب في الإصغاء." "هل أنت مُتعب؟ مُنهك؟ مستنزف من الدين؟ تعال إليّ. انطلق معي وسوف تسترد حياتك. سوف أريك كيف تدخل الراحة الحقيقية. سر واعمل معي لتتري كيف أقوم بالأمر. تعلم إيقاعات النعمة الانسيابية. لن أُحملك بعبء ثقيل أو غير ملائم لك. ابق بصحبتى وسوف تتعلم أن تحيا بحرية وخفة." قبل سقوط الإنسان، قبل أن يصبح الإنسان محتاجًا لمن يفقديه، قبل أن يسود حكم الشيطان على الأرض، قبل أن تُفسد البشرية وقبل أن يظهر أي احتياج بشري، قبل كل ذلك، كان لدى الله مقصد في ابنه. وهو أن يخلق الإنسان لكي يدخل معه في علاقة شخصية. كانت رغبة الله أن يكون له أبناء من أجل أن يقنسم معهم ما في قلبه. أراد الله الأب أخوة لله الابن لكي ينشر ما في قلبه. أراد الله هيكلًا حيًا للروح القدس يصلح لأن يشارك وينشر فيه الروح القدس شهوة قلب العبادة للأب والكلمة. كانت رغبة الله هي أن يضرم سر النار والشغف المتوهج الذي في عمق الكيان الإلهي ويضاعفه في عمق الكيان الإنساني الذي سيختار بكامل إرادته أن يدخل لأعماق هذا السر المتوهج. لا يمكن لشخص بمفرده أن يُطلق عليه أنه محبة. يمكن فقط أن يتم وصف هذا الشخص المفرد على أنه مُحب. بينما الله الأب، الله الكلمة

والله الروح القدس، كيانهم هو علاقة بين ثلاثة أشخاص يتشاركون فيما بينهم التسليم، الثقة، الإجلال، الاحترام والمحبة. الله محبة!

يسوع هو - وقد كان - الحمل المذبح من قبل تأسيس العالم، ذلك لأن سر الحب كان حياة تم تقديمها بإجلال وثقة وتضحية لأجل صالح الآخرين. المحبة ليست شعورًا في المقام الأول. وهي ليست شعورًا في المقام الثاني. إنها التزام تام وشامل طوال الحياة لصالح الآخرين. وقد تكون ثمرة هذا الالتزام مشاعر قوية، لكن الالتزام قد يجلب معه المعاناة والتضحية في بادئ الأمر.

كل مقاصد الأب التي أعدها منذ الأزل وظهرت في زمن العهد القديم، قد عهد بها الأب إلى الابن. كان الله الأب واثقًا تمامًا أن الله الابن سيفعل بالضبط ما كان الأب بنفسه يفعله. كان الأب واثقًا من أن الكلمة سيقول فقط ما كان الأب بنفسه يقوله. لقد كان الأب يتكلم تمامًا على الله الابن وقد أتم الله الابن الوفاء بعمله حتى موته على الصليب. لم يسع الله الابن لتحقيق إرادته هو قط لكنه سعى فقط لتحقيق إرادة أبيه. حتى أن الله الأب يقول أن من لا يقبل الابن لا يعرف الأب. إن الله الأب يكرم الابن في كل شيء وهو يقبلنا فقط من خلاله.

كل ما تسلمه يسوع من الأب منذ الأزل وقد تجلى في ملء الزمان، قد ائتمن الروح القدس عليه بصورة تامة. فيسوع يثق في أن الروح القدس سوف يكشف بالضبط عن الكلمة ولن يتكلم عن نفسه، سيفعل الروح القدس مع الابن كما فعل الله الابن بأن كشف للإنسان عن الله الأب. كل ما مات الله الابن لأجل أن يحققه، وضعه تحت تصرف الروح القدس وهو ينتظر أن يجلب الروح القدس الكمال لتلك الأرض. ونتيجة لأن الروح القدس يكرم الله الابن تمام الإكرام، فالله الابن يكرم الروح القدس بدوره تمام الإكرام كما أنه سوف يغفر كل خطايا البشر التي ارتكبت في حقه لكنه لن يغفر خطية رفض الإنسان لعمل الروح القدس. لا يقدر أحد أن يأتي إلى الله الابن إلا من خلال عمل الروح القدس.

كل ما قصده الأب والكلمة والروح القدس منذ الأزل وقد تجلى في ملء الزمان، تم القيام به بواسطة العائلة المتمثلة في الله الأب وجسد المسيح والهيكل الحي للروح القدس. فالله، الذي هو عبارة عن اتحاد كامل من الإكرام والثقة والتسليم المشترك، قد قصر نفسه وقصر تنميه مقاصده في الأرض على علاقته مع البشر. وسوف يتم إتمام قصده من خلال العلاقات لا عن طريق القوة المجردة. الله عبارة عن علاقة محبة. والمحبة أعظمهن جميعًا. وهو يدعونا لأن نختبر مثل تلك العلاقة. ليس قصده فقط أن يُجبر كسر البشرية الساقطة ويفديها. لقد كان قصده أن يتجلى مجد الله الابن لكل وفي الكل عبر علاقتنا معه⁵⁸.

لم يمض يسوع من أجل أن تتمتع بعيش حياة طيبة وسعيدة في الزمان الحاضر. تلك الفكرة أقرب للمذهب الإنساني Humanism. إنما مات يسوع حتى تتمكن من أن نحيا لمجد الله. كان معنى ذلك بالنسبة لاستفانوس في الكنيسة الأولى أن يموت رميًا بالحجارة. فماذا يعني ذلك لك؟ إن الله هو الذي يجب أن يحدد الأمور التي ستؤول لمجده، لا أنت.

لم يمض يسوع حتى تتمكن من أن تكون سعيدًا في السماء. مازلنا نتحدث في نطاق المذهب الإنساني. إن الإنسان ليس هو المركز ولا المقياس لكل الأمور. لقد مات يسوع حتى تتمكن من أن نحيا لمجد الله هنا في تلك الحياة الأرضية وأيضًا لاحقًا هناك في الأبدية.

⁵⁸ لقد صادفت هذا الإدراك لأول مرة أثناء استماعي لـ DeVern Fromke يتحدث في أواخر السبعينيات. لن أنسى قط العاطفة الحارة والتواضع الذي كان يتحدث بهما. وكتابه The Ultimate Intention يُعد من الأعمال الكلاسيكية.

٣- لقد دعوتكم أحماء.

"لَيْسَ لَأَحَدٍ حُبٌّ أَكْبَرَ مِنْ هَذَا: أَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ. أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ. لَا أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ لِهَيْلَانَ الْعَبْدِ لَا يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، لَكِنِّي قَدْ سَمَيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لِأَنِّي عَلَّمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي." (يوحنا ١٥: ١٣-١٥)

الشخص الذي يحق له شرعياً المطالبة بالمكانة، بالألقاب، بالإجلال والمجد والسلطان، لا يطالب بها! لقد نظر مباشرة لعيون الرجال الذين كانوا مزمعيين أن يخونوه ودعاهم أحماء. وقيامه بهذا يكون قد قضى، بصورة تامة جازمة ولكل الأزمنة، على احتمالية أن يمثل التسلسل الهرمي السلطوي ملكوته. لقد بُنيت الأهرامات من أجل دفن الموتى!

أمام العرش الإلهي يوجد بحر من الزجاج! لا يوجد جبال أو وديان فوق البحر. لقد تم رفع كل وادي وتم تمهيد كل جبل. إننا جميعاً أخوة وأخوات أمام العرش! وهذا هو السبب وراء أن وصايا "بعضكم بعضاً" قد ذُكرت أربعين مرة في العهد الجديد. الصداقة تأتي في المقدمة!

في أي تسلسل هرمي، نجد أن الناس الذين يحتلون المرتبة الأدنى هم دائماً تابعون خاضعون. وقد يلجأ قادة السلطة الهرمية لاستخدام لغة توحى بالمودة ولكنها في الحقيقة لغة مشفرة لإصدار الأوامر والتسلط والسيطرة. لقد بُنيت الأهرامات بواسطة سُخرة العبيد. وفي أي نظام هرمي نجد أن الأعلى منك في المكانة هم رؤساؤك. ويمكنك أن تمارس حياة الخضوع لكن غالباً ما يكون الدافع حينها هو أن تأخذ مكانهم. فقد تجد أنك تستخدم مصطلحات توحى بالصداقة والشرف والاحترام لكن رغبتك في النجاح تظهر في مقدمة كل ذلك. وهؤلاء الذين يحتلون مكانة أعلى منك والذين هم في نفس مكانتك يصبحون منافسيك.

يأمرنا يسوع بالأناقة بالأمم الذين يتسلطون على رعاياهم. علينا أن نمارس القيادة مثلما قدمها يسوع. لقد كان هدف قيادته هو أن يشارك الآخرين بكل ما في قلبه وأن يضع حياته ويضحى بها لأجل أحمائه (يوحنا ١٥: ١). عليك فقط أن تضع حياتك بالحقيقة من أجل أحمائك. لكن إذا كان هدفك هو أن تتسلق سلم السلطة فلن يكون لك أحماء على الإطلاق - سيكون لديك فقط البشر الذين تستغلهم.

إن ترجمة يوجين بيترسون لـ (١ كورنثوس ١٠: ١٤) تواجهنا بهذا الأمر، "لذا يا أصدقائي الأعزاء، عندما تجدون الناس يختزلون الذات الإلهية في شيء يمكنهم التحكم به أو الانتفاع منه، عليكم أن تتخلوا عن صحبتهم بأسرع ما يمكن."

إن القصد من وراء التلمذة هو صنع أصدقاء أحماء - أن تشكل علاقات من شأنها أن تجسد نوعية العلاقات التي بين الأب والكلمة والروح القدس. إن الغاية هي علاقات من خلالها يتمكن عالمنا أن يرى المحبة، الإكرام المتبادل، الثقة والخدمة التي داخل الكيان الإلهي.

إن مثال يسوع كما تمت روايته في يوحنا ١٦ هو أكثر إثارة للدهشة!
,,لِكِنِّي أَقُولُ لِكُلِّ الْإِبْنِ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَطْلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَطْلِقْ لَا يَأْتِيكُمْ الْمَعْرِىَ وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ." (يوحنا ١٦: ٧)

لم يتخيل التلاميذ حدثاً أسوأ من أن يتركهم يسوع! فيسوع، أعظم قائد سار على الأرض عبر كل الأزمنة، يخبرهم أنه من الأفضل لهم أن يمضي! ونحن نظن في أنفسنا أننا مهمين، ولا مثيل لنا أبداً؟ من نظن أنفسنا؟

لقد أدرك يسوع أنه سيكون من الأفضل للتلاميذ أن يكون لهم القيادة الداخلية بالروح القدس، أفضل حتى من قيادته لهم وهو في الجسد معهم! لقد رغب يسوع في أن يعي رفاقه نفس النار الداخلية المتأججة التي كان يعيش بها.

وتتمثل مهمتنا في أن نرفع أي عثرة من شأنها أن تمنع أعباءنا من إدراك القيادة الباطنية للروح القدس والسيادة العملية الشخصية ليسوع على حياتهم الشخصية وحياتنا المشتركة سويًا. لكن غالبًا ما نكون نحن العقبة الكبرى! إن هدف التلمذة هو صنع صديق يثق إلى التمام أن الروح القدس يسكن بداخله ليهديه إلى كل الحق.

بينما تركز فكرة القيادة البشرية على تنمية الناس التابعين لنا كأشخاص، الذين يذعنون لنا، ينتظروننا، يكرمونا ويدعموننا.

أن نخلق علاقات اعتمادية يعني أن نخلق مملكتنا الخاصة. إن ذلك يُعد خيانة ضد ملك الملوك. لقد كان يسوع على استعداد لأن يثق في قدرة الروح القدس التامة على إرشاد البشر لكل الحق. هل نثق نحن أيضًا في ذلك؟ ذلك هو السبب وراء قول يسوع أنه ينبغي عليه أن يمضي! هذا هو السبب وراء أنه علّم تلاميذه أن يصنعوا له تلاميذ ثم يرتحلوا للقريّة المجاورة حتى يجدوا ابن السلام التالي. لم يكن منوطًا برسله أن يجعلوا الناس اعتماديين عليهم. لم يكن منوطًا بهم أن يبقوا ويصيروا ملوكًا. بل كانت مهمتهم أن يقدموا أعباء جدد لملك الملوك ثم يتركونهم تحت ظل جناحيه.

٤- مسؤوليات وحرية الأعباء.

بطبيعة الحال، إذا كان على الأعباء أن يقبلوا ملكوت الله في حياتهم فسيكون عليهم أن يقبلوا بعض المسؤوليات الأساسية. ومن هنا تنشأ المشكلات! ففي كثير من الأحيان لا يرغب الناس في تحمل مسؤوليات الحرية. إنهم يفضلون بدلًا من ذلك حرية العبيد حيث يتحررون من المسؤوليات. إنهم يفضلون أن يكون لهم ملكا يأمرهم بما يجب عليهم أن يقوموا بهم! في كل الأزمنة هناك من يريد أن يحكمه ملك، ودائمًا هناك من يرغب في أن يكون ملكًا، ولكن بذلك يُظهر كلاهما أنهما لم يعاينا الملك الحقيقي قط! إنني أرى أربع مسؤوليات أو حريات في ملكوت الله. وأن تحت تلاميذك على أن يتقبلوا تلك الحريات بسرور هو أمر يعد من المسؤوليات الأساسية للشخص الذي يتلمذ.

أ- أن تطلب وجه الملك بنفسك!

هذا يعني أن تصبح ذاتي التغذية الروحية! ذلك يعني أن تدع نعمته تسود على حياتك. أنت تعيش إما بالنعمة أو بالإدمان! إن الاعتمادية الخاطئة على الآخرين من أجل استجداء قبولهم والاستفادة من سيطرتهم ولفنت انتباههم تُعد علاقة إدمانية. وتعد مثل تلك العلاقات غير صحية وسامة. فإن لم نأكل جسد السيد ونشرب دمه فلن تكون لنا حياة في أنفسنا (يوحنا ٦: ٥٣) ولن يكون لدينا أي شيء لنقدمه بعضنا لبعض. وكثيرًا ما يُسمع من مرثادي التجمعات الكنسية أن قسيس كنيستهم "يغذيهم جيدًا" أو أنه "لم يعد يغذيهم كما كان". إذا قمت بإطعام طفل يبلغ من العمر ثمانية أشهر فهذا أمر طبيعي، لكن إذا كنت لا تزال تُطعم هذا الولد بعد أن بلغ من العمر 18 عامًا فكلًا منكما، أنت وهو، لديه مشكلة كبيرة! لماذا يرغب شخص بالغ في أن يطعمه شخص آخر؟

ب- أن تمارس "وصايا بعضكم بعضًا" مع آخرين.

إذا لم يكن في استطاعتك أن تكون كنيسة مع شريك حياتك أو مع شخصين أو ثلاثة، فإن أي عبادة جماعية إضافية هي استعراض مسرحي.

(أفسس ٤: ١٥-١٦)، "بَلْ صَالِقٌ فِي الْمَحَبَّةِ، نَمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَلِكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ، الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّبًا مَعًا، وَمَقَرَّنًا بِمُؤَارَزَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحْصَلُ نُمُو الْجَسَدِ لِيُنْبِئَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ." يُعد هذا المقطع من أكثر المقاطع أهمية فيما يختص بوصايا "بعضكم البعض" على الرغم من أنه لا يشمل على تلك العبارة (بعضكم بعضًا) في الفقرة. غير أن عبارات مثل "كُلُّ الْجَسَدِ"، "بِمُؤَارَزَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ"، "حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ" قد استُخدمت والمعنى المقصود منها هو في غاية الوضوح! إذا لم نكلم بعضنا البعض بالصدق في محبة، فلن يحدث نضوج لجسد المسيح. يلزم حتمًا أن أحوز المحبة والافتناع حتى أنفوه بكل الحقائق، حتى الحقائق المزعجة، إلى أحبائي. يلزم حتمًا أن أتحدى بالاتضاع والثقة لأستقبل الحق من أحبائي ومن شريك حياتي. إن عدم النضج والغطرسة يدمران تلك العملية. إذا لم أحبك بالدرجة الكافية حتى أخبرك بكل الحق فأنا في واقع الأمر حينها أرفضك وأخرب صداقتنا. وإذا لم أتحد بالاتضاع الكافي الذي يمكنني من أن أستقبل منك الحق فأنا حينئذ لا أحبك ولا أثق بك كصديق على الإطلاق.

جزء كبير من جسد المسيح يقبع في حالة من التأخر الروحي وعدم النضج الشديد نتيجة لأنهم لم يتعرضوا سوى للحقائق العامة المعلنة من فوق المنبر. هذا حق أحادي الاتجاه. إننا نحتاج لحق ثنائي الاتجاه. وهو الحق المُعطى والمقدم من عمق قلوب الأصدقاء. فإذا كنت ستربح تلاميذ فأنت في احتياج لأن تعدل من طريقة تفوُّهك واستقبالك للحق لتكون من عمق القلب وإلى عمق قلب آخر، وجهاً لوجه. كان يسوع رجلاً شرفياً لكنه خرق عادات الثقافة الشرقية التي تتعلق بمحابة الوجوه وتجنب قول الحقائق المزعجة. لقد خرق ثقافة الشرق بأن تفوُّه بالحق لجيله ولأحبائه. لدى كل ثقافة قضاياها ومشكلاتها التي تتعلق بقول الحق. وبدون الالتزام العميق والمتواضع بقول الحق فسنصبح بسهولة مجرد ناقلي أكاذيب. إن المسؤولية لا تنحدر من أعلى لأسفل. هذه عبارة أخرى تعبر عن إساءة استخدام الأمور الروحية. إنما تكمن المسؤولية في تكوين علاقات على أساس متين من الثقة والمحبة، علاقات تتمكن من خلالها من التحدث بالحق واستقباله بعضنا لبعض. وإذا لم يتمكن الإنسان من أن يتشارك بالحق مع مجموعة الأخوة، فمع من إذًا سيتشارك؟

العالم لا يزعه الاتضاع أو المجاهرة بالإيمان أو العجز والخيبة، بل يعثره من الرياء والمداهنة والغطرسة والأكاذيب. لكننا أتباع الحق، يسوع!

ج- أن تتلمذ أولادك!

إذا لم تتمكن من تلمذة أولادك، فكيف ستمكن من تلمذة الأمم؟ وإذا لم تتحلَّ بالنزاهة في علاقاتك مع أولادك، فمع من ستكون نزيهاً؟ إذا أخفقت في دورك كأب فأي نجاح آخر يهيم؟ أحد الأسباب وراء أن العديد من أولاد الأسر المسيحية لا يتبعون يسوع بعدما يصبحون بالغين هو أن آباءهم سعوا وراء الحياة المسيحية والخدمة كعمل تجاري بدل أن يتفاعلوا مع تلك الحياة المسيحية كنشاط علائقي. لقد أدرك الأولاد الدوافع الحقيقية لأبائهم. لقد لاحظوا العقلية المشبعة بالرياء والتمثيل التي لأسرهم.

إن الاختبار الأساسي للشيوخ هو شخصيتهم التي تظهر وسط العائلة والتي يشهد عليها العالم من حولهم. فأولادنا، والأشخاص الذين نعمل معهم، لن يتأثروا بصلواتنا العلنية أو بكم النصوص التي يمكننا أن نفتبسها من الكتاب المقدس. إنهم يتأملون شخصياتنا المميزة، كيف نعامل شركاء حياتنا، وهل نسدد فواتيرنا بانتظام أم لا. إنهم يلاحظون ما إذا كنت تتمتع بمهارات حياتية ونزاهة في علاقاتك أو أنك فقط تمثل دورًا في الدراما الدينية.

د- أن تُضاعف علاقتك مع الملك من خلال تلمذة آخرين.

إن الوصية الأساسية للملك هي أن نقوم بصنع التلاميذ! إن آيات (متى ٢٨: ١٨-٢٠) تعبر عن المأمورية العظمى لا الاقتراح الأعظم. لم يكن الأمر يدور حول المراسم أو البرامج! إن التلمذة تُجرى من خلال عملية علائقية مستندة على الشفافية والتواضع الكافي للمشاركة في القيام بالأمر الخاصة بوصايا "بعضكم بعضًا"!

التلاميذ الحقيقيون هم فقط القادرون على تلمذة آخرين. لكن إذا لم يتمكن تلاميذك من تلمذة آخرين، فهذا يعني أنك أنت أيضًا لم تتلمذ أحدًا! يظهر نجاح عملية التلمذة في جيل الأحفاد، في الجيل الثالث! فأبونا السماوي هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب. وإذا قمنا بما أوصانا به، وعلّمنا الأمم أن يحفظوا كل ما أوصى به يسوع ويفعلوه، فسيحقق ما وعد به وبيني كنيسته.

الأسئلة الأكثر تكرارًا

١- ماذا عن المباني؟ أليس من الحقيقي أن كنيسة العهد الجديد لم تشيد مبان نتيجة للفقر المادي والاضطهاد اللذان عانت منهما⁵⁹؟

- بالفعل، لا يوجد دليل تاريخي أو أثري يشير لأي أبنية تم تشييدها لأجل الاجتماعات خلال الثلاثة قرون الأولى للكنيسة. غير أن ذلك لم يرجع للفقر أو الاضطهاد. فقد كان هناك العديد من المؤمنين الذين يملكون المال، وعلى الرغم من وجود حُقب زمنية من الاضطهاد إلا أنه قد كانت هناك فترات زمنية سادها السلام والحرية. حيث توفرت لهم الموارد المادية والحرية لتشييد الأبنية إذا كانت لديهم الرغبة في ذلك. لقد كان هناك أيضًا ضغط ثقافي شديد على الكنيسة الأولى من أجل أن تشيد مبان خاصة من أجل الاجتماعات. من ناحية، كان هناك القسم اليهودي من المجتمع متمثلًا في نظام المجمع اليهودي بمبانيه وحاخاماته. ومن ناحية أخرى، كان هناك القسم الروماني من المجتمع متمثلًا في معابد الأوثان وكهنة تلك المعابد. وعلاوة على ذلك، واجهت الكنيسة الأولى اضطهادًا عنيقًا بسبب أنه لم يكن لها أبنية دينية خاصة بها ولا كهنة يديرون الأمر من تلك الأبنية. فبالنسبة للرومان، الفئة التي لم يكن لديها معبد به مذبح كانوا ملحدين وقد تم اضطهاد الكنيسة الأولى لأن من انضم لها كان يعتبر من الملحدين. لقد كان الضغط الثقافي قائمًا، لكن الأموال كانت متوفرة. وقد كانت هناك فترات زمنية تخلو من الاضطهاد والتي كان من الممكن أن تدوم فترة أطول إذا كان المؤمنين الأوائل قد شيّدوا أبنيتهم الخاصة. لم يشيد

⁵⁹ يُعد هذا السؤال ملخصًا للمقدمة الممتازة الذي قدمها Frank Viola عن هذا الأمر في "Pagan Christianity".

القديسون الأوائل المباني الكنسية بناءً على إلهام إلهي و قناعة راسخة. لقد آمنوا بكهوت كل المؤمنين ومن ثم لم يدعوا أو يقرروا رُتباً كهنوتية خاصة. لقد آمنوا بأن ملكوت الله قد أتى وشمل في كنفه كل أوجه الحياة. وبناءً على ذلك فهم لم يؤمنوا بأماكن مقدسة استثنائية. الأرض وملؤها للرب! فقد مات يسوع لكي يقدس ويظهر الحياة وكل النشاط البشري أمام الله. لقد تجمعوا في البيوت لكي يوضحوا ما يؤمنون به، أن أجسادهم هي هياكل للروح القدس كما أن الله لا يسكن في هياكل مصنوعة بأيادي البشر لكنه يسكن في هياكل تنبض بالحياة مصنوعة من حجارة حية. تلك الحجارة الحية تتجمع سوياً في كل أرجاء الحياة لتعلن أن يسوع دائماً في وسطها.

وتماشياً مع اعتقاد المسيحيين الأوائل بأن هيكل الله هم شعبه، فهم لم يستثمروا الأموال في الطوب والأبنية الفخمة لكن في البشر. كانت تَعْدَمات العهد الجديد تُقَدِّم لأصحابها المجاعات، الأيتام، الأرملة، والفقراء. يمكننا، إلى حد كبير، تلبية احتياجات الفقراء لإيجاد مأوى والحصول على التعليم والطعام والشراب إذا تم استثمار الأموال التي تُنفق في المباني وأنظمة الصوت ومكاتب الإدارة في مختلف المؤسسات المسيحية حول العالم، تم استثمارها في الهيكل الفعلي لله، أولاد الله. وتنص آيات متى ٢٥ على أن كل ما يُفعل بهؤلاء الأصاغر يُفعل بيسوع، وهذا هو المعيار الذي سيُحْكَم به على أولئك الذين يدعون أنفسهم أتباع يسوع. هذا هو المعيار الذي سيفصل يسوع وفقاً له بين الخراف والجداء.

الأبنية الكنسية لا تعبر عن أننا نحب الآخرين ونخدم يسوع. إنما تعبر الأبنية الكنسية عن الملكوت المُصَعَّر الذي نخصه لأنفسنا. إنها تعبر عن استعراض السلطة والنفوذ والمكانة الاجتماعية. إنها تعتبر بمثابة نصب تذكاري لكبرياننا ورغبتنا في التشبه بالديانات المحيطة بنا.

كل دولار يُنفق في تشييد بناء يقلل دولاراً من الموارد المتاحة لإطعام الجائعين وكساء العُراة وخدمة المرضى وزيارة السجناء. ويعتبر كل مبنى كنسي أثراً باقياً يشهد على أنانية البشر وغطرستهم. لذا، فكل دولار يستثمر بتلك الطريقة يحكم عليه يسوع بأنه مال الجداء.

أما أولئك الذين يلجأون لاستخدام قصص العهد القديم بشأن خيمة العهد أو بناء الهيكل، فهم مخطئون تماماً في قيامهم بهذا. نحن لا نحيا في العهد القديم، إلا أن تلك السلوكيات أصبحت مترسخة جداً فيما بيننا! فقد استشاط مجمع اليهود غضباً من استفانوس عندما لخص سجل تعاملات الله مع الأمة اليهودية معلناً أن الله "العَلِيِّ لا يَسْكُنُ فِي هَيْآكِلٍ مَصْنُوعَاتِ الْآيَادِي" (أعمال ٧: ٤٨). لقد هدد استفانوس نظامهم الديني بأكمله ومصدر رزقهم عندما أعلن بوضوح أن الهيكل المصنوع بأيدي البشر ليس هو مكان راحة الله.

ضحى الشهيد الأول في عهد الكنيسة بحياته لأجل إعلانه أن الله أصبح يسكن الآن في البشر بدلاً مما كان شائعاً آنذاك عن كونه يسكن في المباني الدينية. أي شخص يجرؤ على انتقاد ذلك الانجذاب وثني الطابع للمباني (النسخة المسيحية من عقدة الصروح⁶⁰) كان سيواجه ردود أفعال عنيفة مماثلة لما حدث يومها مع استفانوس. هل تظنون أن الحديث عن "أموال الجداء" هو أمر مزعج جداً؟ دعوني إذًا أشارككم بثلاث قصص. وقعت إحداها بالقرب مما كنا نسكن عندما كنا نعيش في كندا.

قام بعض من الشباب برحلة تبشيرية إلى إحدى دول العالم الثالث، وكان عليهم، كجزء من الرحلة، أن يزوروا ويخدموا داراً للأيتام. ووجدوا أن الأطفال في ذلك الدار يعانون من الجوع بسبب انخفاض الدعم وتضاعف أسعار الأرز في ذلك العام. وعند عودتهم لكنيستهم الكبيرة الغنية، فقط قبل أن يتحدثوا بشأن

⁶⁰ عقدة الصروح Edifice complex المقصود بها ميل الأشخاص لتشييد مبان و صروح ضخمة لتكون شاهداً على حياتهم وتخلد ذكراهم. (ف.ت.).

رحلتهم، تقابل معهم كبير القساوسة ومنعهم من الحديث عن احتياجات الأيتام في الأمور التي كانوا بصدد عرضها على شعب الكنيسة عن رحلتهم. لماذا؟ لأن شعب الكنيسة إذا علم عن تلك الحاجات، فسوف يتبرع بعضهم بالمال لصالح الأيتام وهذا قد يعني مالا أقل للكنيسة والكنيسة تحتاج كل قرش من أجل تنفيذ خطط البناء التي لديها.

القصة الثانية من مدينة أرمينية عانت بشدة من الزلزال الذي حدث في أرمينيا في ٧ ديسمبر عام ١٩٨٨، وهو الزلزال الذي أسفر عن مقتل ٢٥٠٠٠ شخص على الأقل في هذا البلد. وقد تم إخباري، أثناء زيارتي لهذا البلد، أن هناك منطقة في مركز المدينة لا تزال متروكة تحت الأنقاض التي خلفها الزلزال وأن الناس الذين يعيشون تحت الركام قد ثرکوا ليعانوا لدرجة أن الفئران تقرض أطفالهم الصغار. وقد تبين لي، أثناء قيادة سيارتي عبر أنحاء المدينة، أن هناك كنيسة رسولية أرمينية مبنية حديثاً (كنيستهم الرسمية) ذات تصميم معماري مثير للإعجاب تكلف بناؤها ٢,٨ مليون دولار حيث تقبع فيها الشموع والأيقونات جافة ومستدفئة أثناء الليل. وقد توجهنا أيضاً لكنيسة إنجيلية أرمينية جديدة ذات طراز مميز ملحق بها حجرات من أجل معامل الحاسب الآلي ودروس اللغة الإنجليزية. كان أيضاً بناءً حجرياً جميلاً. وقد تم إخباري أن هذا المبنى تكلف ٤ ملايين دولار كي يُبنى كما أن الحواسيب الآلية وكتب الترايم كانت تبيت جافة ومستدفئة أيضاً أثناء الليل.

لقد تشاركنا فيما بعد تناول وجبة طعام مع زوجين لديهما خمسة أطفال بالإضافة إلى الجدة التي كانت تعيش معهم في شقة بها حجرتان نوم يتقاسمونها مع أخ آخر وزوجته وطفلهما الرضيع. لقد كانوا يطلبون المساعدة لأن الأخ كان بلا عمل ولهذا السبب لم يتمكن من توفير مسكن خاص به. وقد سألتهم عما إذا كان هذا الأخ يبحث عن عمل وأخبروني أنه كان يعمل في بناء الكنيسة الكاريزماتية المستقلة الجديدة في المدينة. كانت تلك كنيسة يأتي إليها مشاهير المجتمع الكاريزماتي للحديث من فوق منبرها. وعندئذ تساءلت لماذا لم يعد يعمل هناك، فأخبروني أنه لم يتمكن من الاستمرار في العمل نظراً لأن أجرته الأسبوعية لم تكن تغطي حتى نفقات أجرة الحافلة التي كانت تنقله للعمل. فكرة أن الكنيسة لم تكن تدفع لرجل فقير قوت يومه نظير عمله لديها قد أغضبتني بشدة.

ثم بعد ظهيرة ذلك اليوم كنا نقود السيارة لنلحق بموعد آخر وقال مضيبي أننا قد نمر في طريقنا بتلك الكنيسة التي يتم بناؤها. لقد كان مبنى مثيراً للإعجاب به ثلاثة طوابق من الأعمدة الحجرية البيضاء عبر واجهته. كان ذهني يحاول أن يستوعب التناقض بين تلك الثروة وبين الظلم والجور اللذان يتعرض لهما الفقير الذي يقوم ببناء ذلك الهيكل الوثني، ذلك حينما ألقيت نظرة سريعة على الجانب الآخر من الشارع وتدلّى فمي من الدهشة. فقد كان هناك في الجهة المقابلة من الشارع حي كامل لمدينة من الأنقاض التي خلفها الزلزال الذي وقع منذ عشرين عاماً. في ذلك المكان كان البشر ينامون في البرد والرطوبة تحت تلك الأنقاض بينما تهاجم الفئران أطفالهم الصغار ثم يستيقظون كل يوم ليروا أمامهم المسيحيين وهم يشيدون بناءً ضخماً فخماً لإيواء كبريائهم.

القصة الثالثة هي عن منطقة فقيرة منكوبة من آسيا الوسطى حيث يعمل إيفان⁶¹. لقد آمن إيفان ببسوع في السجن بواسطة بعض أعضاء طائفة تقليدية جداً. وقد كان هذا هو المفهوم الوحيد للكنيسة الذي يعرفه، كما أنه قد أحبهم بشدة. بمجرد خروج إيفان من السجن، بدأ في الانتقال إلى الأمم لينشئ الكنائس الجديدة. وحينما

⁶¹ تم تغيير الأسماء لأسباب أمنية.

كان في السجن، قاد صديقه ألكسندر ليسوع وبمجرد أن خرج هذا الصديق من السجن، ذهب إلى مقاطعة معروف أنها تخلو من المؤمنين لكي يصنع تلاميذ.

وسرعان ما قاد ألكسندر مجموعة صغيرة من التلاميذ لمعرفة يسوع ولكن رئيس الشرطة أتى وطلب منه أن يرحل عن تلك المقاطعة لأنه، "لا يرغب في حدوث أي قلق هنا." وقد أتى إمام المسجد المحلي وطلب منه أن يرحل، "وإلا ستحدث مشكلة كبيرة." لكن ألكسندر بقي. وفي ليلة من الليالي بينما كان يقود زوجته واثنين من الأخوة في العبادة، حضر بغتة ثلاثة رجال وأطلقوا عليه الرصاص من النافذة حتى لقي حتفه. عندما أخبرني إيفان بهذه القصة قال لي أن مقتل صديقه قد خلّف لديه المزيد من التساؤلات بل ترك بداخل نفسه الاكتئاب. لقد سألت إيفان إذا كان هذا بسبب أنه أصبح يشعر بالخوف. لكنه اعتبر السؤال المطروح بمثابة إهانة له. لم يكن يخشى على حياته، لكنه تساءل عما إذا كان الأمر يستحق كل تلك التضحية والمخاطرة. والآن أنا متحير. لماذا؟

لقد أخبرني إيفان بسؤاله، لماذا يجب عليه أن يجازف بحياته وبحياة أصدقائه لتشكيل مجموعات من التلاميذ في مناطق جديدة في حين تأتي إحدى الطوائف المسيحية وتهبط بتلك المناطق، وتبني مباني كنسية، وتملاً مقصورات الكنائس بالمقاعد وتعيّن قسًا هناك ثم يرحل هؤلاء التلاميذ الجدد الذين ربهم عن المكان. هؤلاء المتحولون حديثًا للإيمان آسيويون. كانوا يجلسون مباشرة على الأرض لساعات، يشربون الشاي ويتحدثون عن يسوع. غير أنه عندما يصبح عدد تلك المجموعة خمسة عشر فردًا أو ما يقارب ذلك فسوف تشيد الطائفة مبنى وتعيّن قسًا أجنبيًا من خريجي أحد معاهد دراسة الكتاب المقدس. سيبدأ الآسيويون في الرحيل تدريجيًا حتى لا يتبقى على الكراسي سوى بعض الجدات المسنات وحسب.

لقد بدأ إيفان في التوجه لقادة الطائفة ليسألهم عن السبب وراء إقامة الأبنية الكنسية لمجموعات التلاميذ. فقد كانت لديهم منازل يمكن أن يتجمعوا بها. لم يكونوا في حاجة لمبان أخرى في قريتهم. بل كان هناك منازل خاوية. لقد كانوا يحتاجون خبرًا لبطونهم وأحذية لأرجل أطفالهم. لقد كانت لديهم رغبة في أن يجلسوا في حلقات ويشربون الشاي سويًا ويتحدثون عن يسوع مع أصدقائهم. إنهم لا يرغبون في الإنصات إلى شاب غريب أتى إليهم من قوى استعمارية سابقة لكي يعظهم. لم يتقبل القادة تساؤلاته وتم طرد إيفان من الطائفة واعتباره مهرطًا!

اكتشف إيفان منذ ذلك الوقت أن هناك العديد من الناس حول العالم يفكرون مثلما يفكر وأنه ليس مهرطًا. لقد عاد مرة أخرى إلى الناس الذين حرموه كنسيًا وطلب منهم أن "يصرفوه بسلام"، وبعد بعض الوقت فعلوا ذلك. يقوم إيفان الآن بالتلمذة وفقًا للوقا ١٠. لم يمت ألكسندر عتبًا!

إننا لا نغالي بشأن الغطرسة الروحية وتبديد الموارد المالية اللذان يحدثان عندما نقوم ببناء الصروح من أجل تقاليدنا وكبرياتنا الديني. فكل بناء من تلك الأبنية سيظل شاهدًا على عصياننا الجسيم وتمردنا الكامل على ما علّم به يسوع وما قدمه كقدوة لنا.

ومع ذلك، فنحن بالفعل نحتاج للمزيد من التجمعات البشرية المفعمة بالحياة التي تتمكن من توفير الشفاء وكرم المعاملة للذين بلا مأوى والمدمنين والمنبوذين. تجمعات صغيرة العدد لا مؤسسات ضخمة، لكي توفر الدفء العائلي لمن لم يختبر محبة الله العملية الباذلة من خلال العائلة. إنها ليست مراكز لإعادة التأهيل حيث يتم التعامل معك فقط من خلال البرامج ثم تترك المركز، لكنها تجمعات صغيرة العدد مليئة بالشهادات الحية والشفاء الحقيقي، حيث يمكن أن يبقى الأفراد بشكل دائم إذا رغبوا في ذلك. تجمعات يمكن نشرها

ومضاعفتها في المجتمع. هذا الأمر لن يحدث عن طريق خبراء لكن في الأغلب سيحدث عن طريق أولئك الذين أتوا من نفس الخلفية والذين اختبروا الشفاء عن طريق حياة الشركة والعبادة والعمل. هناك تجمعات نامية جديدة في العديد من المناطق المركزية في المدن، حيث يعمل ويخدم الأفراد سويًا كي يوفروا مراكز للضيافة والشفاء والتجديد، للمشردين والمدمنين والمصابين بأمراض عقلية. الفريق الموجود في إحدى مدن آسيا الوسطى هو عبارة عن تجمع صغير داخل المدينة. وقد لاحظوا، في أحد أيام الخريف الماضي، وجود يوغور Uighur (مسلم من شمال غرب الصين) يقف في السوق. وقد سألوه عما إذا كان يحتاج مكانًا للسكن، فأجابهم بأنه يحتاج مكانًا بالفعل وذهب معهم إلى المنزل. وبعد عدة شهور من المعيشة وسط هذا التجمع، سمع هذا الرجل صوتًا يقول، "هؤلاء الأشخاص الذين يخدمونك هم شعبي. اصغ لهم. إنهم يخبرونك الحق." وقد أطاع هذا الرجل وأصغى إليهم وأصبح تابعًا ليسوع وتم تعميده.

٢- ماذا عن الوعظ؟

- ألا نحتاج أن نجتمع سويًا لنصغي إلى وعظ جيد؟ سؤال مثير للاهتمام! هناك تركيز شديد على الوعظ في كل مبنى يتمركز به عدد من المؤمنين. فكلما كان الوعظ جيدًا، تمكن من جمع المزيد من الناس حوله، وتزايدت الموارد المادية التي يمكنه السيطرة عليها. الوعظ هنا وسيلة للتأثير الكبير على الناس والظهور أمام الناس.

لقد شهدنا بالفعل كيف كان موقف بولس نحو الشيوخ الذين كانوا يجتذبون الناس لأنفسهم. لقد دعاهم "ملتوين". فقد كانت رؤيته تتفق مع رؤية السيد التي في لوقا ١٠. وهي رؤية تخص مجموعات صغيرة، يربط بين أفرادها رباط حقيقي وأصيل، وهي تتضاعف عن طريق تلك العلاقات التي تنشأ بين أفرادها عبر البيئة الثقافية التي تجمع بينهم. هؤلاء الذين كانوا يجتذبون البشر لأنفسهم كانوا ملتوين لأنهم أوقفوا آليات التلمذة المبنية على العلاقات المباشرة، والتضاعف العددي للكنائس المنزلية.

ماذا كان موقف بولس تجاه الوعظ؟ لقد كان واضحًا جدًا بشأن هذا الأمر في (١ كورنثوس ٢: ١-٥)،
"وَأَنَا لَمَّا أَتَيْتُكُمْ أَيُّهَا الْخَوَّةُ، أَتَيْتُ لَيْسَ بِسُمُو الْكَلَامِ أَوْ الْحِكْمَةِ مُنَادِيًا لَكُمْ بِشَهَادَةِ اللَّهِ، لِئَلَّا لَمْ أَعْزِمَ أَنْ أَرْغَبَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلَّا يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا. وَأَنَا كُنْتُ عِنْدَكُمْ فِي ضَعْفٍ، وَخَوْفٍ، وَرَعْدَةٍ كَثِيرَةٍ. وَكَلَامِي وَكِرَازَتِي لَمْ يَكُونَا بِكَلَامِ الْحِكْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْبِعِ، بَلْ بِبُرْهَانَ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ، لِكَيْ لَا يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللَّهِ."

لقد فاتنا أن نفهم السياق الثقافي لذلك الوقت الذي كُتبت فيه تلك الرسالة، لذلك أخطأنا في تمييز ما يحدث هنا. كان فن الخطابة أحد الفنون الأساسية في ذلك العهد. وكان الخطيب المقوِّه وقتئذ في الإمبراطورية الرومانية يمثّل نجوم موسيقى الروك في يومنا هذا، كان يدفع مستمعيه لذرف الدموع أو القهقهة ضحكًا. لقد أدرك بولس هذا الأمر، وباعتباره أحد أكثر الرجال المتعلمين في عصره، فقد تم تدريبه بلا ريب على هذا الفن. وتوقع أهل كورنثوس أن بولس سيتحدث إليهم بتلك الطريقة.

رفض بولس القيام بهذا. وفضّل أن يأتي إليهم كشخص ضعيف يرتجف من الخوف. فيبدو كشخص لا يرغب أحد في الإصغاء إليه وفقًا لمعايير الثقافة السائدة وقتئذ. لم تكن لدى بولس رغبة في أن يجتذب الناس ليتجمعوا حوله. لقد تاق لأن يرتكز إيمانهم على قوة الله وعمل الروح القدس. رفض بولس أن يدير أمره منطلقًا من الموهبة البشرية، أو أن يستخدم الحكمة البشرية وقوة الشخصية.

يكمن الخطر في أنك إذا سمحت لبعض الناس أن يعطوك ساعة وراء الأخرى، أسبوعاً تلو الآخر، مؤتمراً بعد مؤتمر، عظة صوتية تلو الأخرى، فسيكون بإمكانهم أن يجعلوك تصدق أن الأسود لونهم أبيض! يتم تقديم الضلال في الوعظ بنفس الاقتناع والمسحة اللذان للوعظ بالحق. هل تقول أن هذا غير ممكن؟ بل هو ممكن بكل تأكيد. إنه يحدث طوال الوقت. كيف أصبح "إنجيل الرخاء" مُرحباً به في العديد من الدوائر المسيحية حول العالم؟ كيف يمكن لأمر لا أساس له على الإطلاق في العهد الجديد أن يستولي على عقول وقلوب المؤمنين إلى هذا الحد؟ ساعة تلو الأخرى من الوعظ والتعليم باستخدام أجزاء كتابية مُقطعة من سياقها واللعب على الاحتياج والجشع البشريين.

كتب كينيث هيجن الكبير Kenneth Hagin Senior قُبيل وفاته - وهو يلقب بالأب الروحي لحركة الإيمان، وبالتبعية هو الأب الروحي لإنجيل الرخاء - كتاباً بعنوان "لمسة ميداس The Midas Touch".⁶² لقد وبخ أتباعه في هذا الكتاب لأجل ماديتهم وأساليبهم الملتوية في جمع التبرعات⁶³. لا أظن أن وعظ الرخاء، الذين يدعون أن هيجن هو أبوهم الروحي، قد يرسلوا لك هذا الكتاب لحثك على التبرع لهم!

إن قناعاتي هي أن التعليم عن الرخاء والتهديد باللعنات والوعد بالبركات فيما يتعلق بأمر العشور والتقدمات هو بالضبط ما كان يحدث في أيام بولس بشأن الختان الجسدي. لقد رأى بولس أن هذا الأمر لا يتعلق بإنجيل يسوع، وقد استحق أن يدينه بولس في (غلاطية ١: ٨)،

وَلَكِنْ إِنْ بَشَرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلَائِكُ مِنَ السَّمَاءِ يَغَيِّرُ مَا بَشَرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «نَاتِيماً»!

وقد أعطى بولس لتيموثاوس توصيات كيفية التعامل مع المعلمين الكذبة في (١ تيموثاوس ٦: ٣-٦) و خَاصَّ إلى أن مثل هؤلاء هم "أُنَاسٍ سَافِدِي الذَّهْنِ وَعَادِمِي الحَقِّ، يَظُنُّونَ أَنَّ التَّوَرَى تِجَارَةٌ. تَجَدَّبَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ." إن تلك الإرشادات في غاية الصعوبة لكننا نحتاج بشدة لمثلها!

وفي هذا السياق عن التساؤل بشأن الوعظ، تعتبر (١ كورنثوس ١٤: ٢٦) عظيمة جداً. "قَمَا هُوَ إِذَا أُيِّهَا الإِخْوَةُ؟ مَتَى اجْتَمَعْتُمْ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَهُ مَرْمُورٌ، لَهُ تَعْلِيمٌ، لَهُ لِسَانٌ، لَهُ إِعْلَانٌ، لَهُ رُجْمَةٌ. فَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ لِلْبُنْيَانِ."

إذا أطعنا تلك الوصية، فلن يتمكن أي شخص من الهيمنة أو التلاعب أو حتى توجيه تيار التعليم والإرشاد في أي اتجاه واحد. هذا هو المناخ المبني على السؤال والجواب، التحدي والاستجابة. وهذا هو التيار الذي يمكن أن يتوجه الروح القدس من خلاله إلى كل عضو من أعضاء جسد المسيح. وهو بذلك الكيان الذي سيكون فيه يسوع الرأس الحقيقي لجسده، ليس رأساً رمزياً وحسب بينما يقوم شخص آخر بتطبيق برنامجه الخاص. هذا هو مبدأ الأخذ والعطاء حيث تتوازن كل وصية مع مثيلتها، حيث يتمكن يسوع من أن يتحدث خلال كل عضو من أعضاء جسده.

عندما نتعمق في سياق الوعظ، سنجد أن القادة في كثير من الأحيان يمهدون الأرض من خلال الإعلان الفعلي أو التلميح الخفي بمهارة عن أن هذا الواعظ هو "رجل أو امرأة الله" (تسمية كتابية من العهد القديم وإحدى التعبيرات عن تعيين الله للبشر، وأي شخص يلجأ لاستخدامه في يومنا هذا يكشف عدم فهمه لكهنوت العهد الجديد الذي لجميع المؤمنين) الذي يجب أن يُصغى إليه دون توجيه أي أسئلة إليه. هنا تقاس الروحانية

⁶² ميداس هو أحد ملوك الإغريق وتقول الأسطورة أنه كان يمتلك القدرة على تحويل كل ما يلمسه إلى ذهب. (فت.ب)

⁶³ "Kenneth Hagin's Forgotten Warning", Lee Grady (3/7/08), www.charisma.com/fireinmybones/index.php.

بمقدار القبول الذي لا جدال فيه لتعليم الواعظ والخضوع المطلق له. وهذا هو أساس أي بدعة. حيث يتم سحق الميل الفطري لحب الاستطلاع والتساؤل، والتشجيع على عبادة القيادة. ذلك الأمر لا يمت لكنيسة يسوع بصلة. امتحن كل شيء! فالروح القدس لن يتمكن من إرشادك إلى كل الحق إذا لم تكن توجه له أي أسئلة.

كما أعلن يوحنا الطاعن في السن في (1 يوحنا ٢: ٢٤-٢٧) مَا أَنْتُمْ فَمَا سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدِءِ قَلِيدَتْ بُتْ إِذَا فِيكُمْ. إِنَّ نَدَبَتْ فِيكُمْ مَا سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدِءِ تَنْتُمْ أَيْضًا تَنْبُونُونَ فِي الْإِبْنِ وَفِي الْآبِ. وَهَذَا هُوَ الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدْنَا هُوَ بِهِ: الْحَيَاةُ دَلِيلًا بِكَتَيْبَتِ لِإِيكُمْ هَذَا عَنِ الَّذِينَ يُضِلُّونَكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَالْمَسْحَةُ الَّتِي أَخْتَنَّمُوهَا مِنْهُائِتَهُ فِيكُمْ، وَلَا حَاجَةٌ بِكُمْ إِلَى أَنْ تُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ، بَلْ كَمَا تُعَلِّمُكُمْ هَذِهِ الْمَسْحَةُ عَيْنُهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ حَقٌّ وَلَيْسَتْ كَذِبًا. كَمَا عَلَّمَكُمْ تَنْبُونُونَ فِيهِ."

إحدى مشكلات الوعظ، فيما يتعلق بالمؤتمرات، هو أنه يتحتم عليك أن تأتي بأمر جديد في كل وقت كي تبيع المزيد من الكتب، وتروج لمزيد من المؤتمرات، وتبيع المزيد من أشرطة الفيديو وتجذب المزيد من مشاهدي التلفاز. عليك أن تأتي بشيء جديد للحفاظ على تدفق الأموال إلى الخدمة والإبقاء على دوران عجلة الخدمة. لن تحيا وقتها ووفقًا للملكوت وتذهب إلى القرية المجاورة لتبدأ كنيسة منزلية أخرى. فقط سيكون كل ما تفعله هو أن تتحدث وتأخذ المال. ثم بعد حين، لا بد أن يكون لديك شيء لتتاجر به، فعليك أن تبدأ في أن تخلق شيئًا جديدًا وأنت تتساءل كيف يمكن لشخص ما أن يخلق شيئًا في الوعظ؟ هذا ليس عسيرًا بمجرد أن تصبح شخصًا يتاجر بكلمة الله. فما أن تفقد نزاهتك وتصبح بائعًا متجولًا للكلمة، ستبقى أمامك خطوة صغيرة للبدء في بيع الأكاذيب.

ماذا عن خدام الله الأمناء والملتزمين الذين تكون مهمتهم الأولية هي الوعظ ليغذوا شعبهم بكلمة الله ويدفعوهم للأعمال الصالحة؟ إن مشكلة الوعظ ما زالت قائمة. إن وعظ الناس بغرض رؤيتهم وهم يتغيرون ويقومون بأعمال الملكوت هو أمر يشبه دفع الشخص للسير على حبل رفيع. ولذلك يشعر الواعظ بالإحباط إذا كانت الأمور التي تحدث على أرض الواقع هي أمور ضئيلة بالنسبة لما يتوقع حدوثه. غير أن القيادة المسيحية لا تتعلق بتشكيل الرؤية والتحفيز. هذه الكلمات غير كتابية. إن القيادة المسيحية تدور حول تقديم القدوة المؤثرة في الآخرين. القيادة هي أن تكون أول من يقوم بالأمر. الذهاب من بيت إلى بيت وتكوين العلاقات هو جوهر القيادة الحقيقية. ليس جوهرها الكلمات الرنانة والمظهر الخارجي البراق والحضور الآخاذ والدعاية العاطفية. الترحال من بيت لبيت يتعلق بنزاهة العلاقات وإعلان ملكوت الله.

قال أحدهم مرةً أن التلاميذ لا يُصنعون من فوق المنبر، بل على أرصفة الشوارع. مرة أخرى، ماذا عن الوعظ؟ له دور محدود جدًا. هناك حالة يمكن أن نقوم فيها بالوعظ وهي عندما نقوم به أمام من لم يؤمنوا بعد. علينا أن نطيع (1 كورنثوس ١٤: ٢٦)، فالمؤمنون الذين يشكلون جسد المسيح سيقضون الوقت بعضهم مع بعض بطريقة مختلفة تمامًا، إذ أن لديهم الروح القدس. لا يحتاجون لأن يعظم أحد.

"فَمَا هُوَ إِذَا أَيْهَا الإِخْوَةُ؟ نَبِيَّ اجْتَمَعْتُمْ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَهُ مَرْمُورٌ، لَهُ تَعْلِيمٌ، لَهُ لِسَانٌ، لَهُ إِعْلَانٌ، لَهُ تَرْجَمَةٌ. قَلِيدُ كُلِّ شَيْءٍ لِلْبُنْيَانِ."

3- ماذا عن اجتماعات العبادة الجماعية؟ ألا نحتاج أن نختبر ذلك الأمر؟

من المفترض أن يكون واضحًا عدم وجود مصطلح مثل "العبادة الجماعية" في العهد الجديد. ومن المفترض أن يكون واضحًا أيضًا أنه في القرون الثلاثة الأولى للكنيسة لم يكن هناك آلات موسيقية وجوقة إنشاد وأزياء مخصصة للمرنمين. أيضًا من البديهي أن يكون واضحًا أنه لم تكن توجد وقتها عبادة على نمط فرق الروك الصاخبة وما تحتويه من قفز ورقص ومكبرات صوت. وبوجود هذه الظاهرة الحديثة على الكنيسة تم استحداث تعبيرات لغوية مثل "المسحة الجماعية"، "إعلان حضور الله"، "ثقل المجد"، "بناء مذبح للعبادة حتى يتسنى لنار الرب أن تهبط"، إلخ. هذه اللغة توحى بمفهوم أن المزيد من الشفاء والتحرير يحدث في المناخ الذي يختبر فيه الحاضرون "المسحة الجماعية" و"إعلان حضور الله".

حقًا؟ كيف يمكنك أن تميز بين "المسحة الجماعية" وذلك الشعور الذي يسود جمهور مباراة كرة القدم أو جمهور حفلات الروك؟ فكل هذه الخبرات المتنوعة تتضمن حشدًا من الناس الذين يتركزون حول شيء واحد، ويهتفون أو يغنون وهم يشعرون أنهم وكل من حولهم وحدة واحدة. كل الأديان تركز على أهمية الاتحاد بين الأفراد وتأثير الأعداد الكبيرة.

ومع ذلك، احتمالية أن يجيب الله طلبًا لا تتناسب طرديًا مع تزايد عدد المصلين! يخبرنا يعقوب أن "طلبة البار تقتدر كثيرًا في فعلها" ويذكر لنا إيليا النبي مثالًا على ذلك (يعقوب 5: 16-17). الله لا يستجيب لنا بسبب عددنا أو تكررنا للصلوات، بل لإيماننا واتضاعنا وعلاقتنا بيسوع.

فكيف إذًا يمكن أن نفهم تلك الـ"عبادة الجماعية"؟ "دارين براون"⁶⁴، الساحر ومحترف ألعاب الخفة البريطاني الذي كان يومًا مسيحيًا كاريزماتيًا، قد يقول أن الأرثوذكس يستخدمون الشموع والبخور والألحان ليدخلوا الحاضرين في حالة خفيفة من النشوة ثم يعززون ذلك إلى حضور الله الذي استدعته الطقوس. كان "دارين" سيقول أن الكاريزماتيين يستخدمون العبادة الحركية والرقص وتكرار استخدام كلمات بعينها في الوعظ لكي يدخلوا الحاضرين في نفس الحالة من النشوة ثم يعززون ذلك أيضًا إلى حضور الله الذي استحضرتهم فعاليتهم. ياله من أمر مثير للاهتمام!

هل تساءلت يومًا لماذا يوجد الكثير من هؤلاء الذين يشهدون أنه قد تم شفاؤهم خلال الحملات التبشيرية، ثم يزول هذا الشفاء بعدها؟ "دارين براون" قد يجيب بأن المناخ العام للاجتماع يخلق حالة من الانتشاء شبيهة بالتنويم المغناطيسي، حيث تكون الحشود مهيأة للوقوع تحت تأثير الإيحاء، برعاية عبارات مثل "تلامس مع المسحة!"، "هل ذهب الألم؟"، "هل تشعر بتحسن؟"

تحت تأثير التنويم المغناطيسي لا يشعر الإنسان بالألم، فمتى انتهت حالة الإيحاء تلك يعود الألم ويزول الشفاء. يزول منك الشفاء الذي لم تنله من الأساس.

منذ متى أصبحت العبادة عبارة عن ساعة أو اثنتين من الترنيمة الانفعاليّ يفوده فريق من المحترفين على أي حال؟ منذ متى أصبح غرض ذلك الترنيمة هو الدخول في حالة من الانتشاء؟ العبادة في العهد الجديد هي تقديم الحياة ليسوع كذبيحة طاعة.

⁶⁴ Darren Brown, www.youtube.com

"فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللَّهِ أَنْ تُثَقِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللَّهِ، عِبَادَتَكُمْ الْعَلِيَّةَ .
وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيِّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَتْهَانِكُمْ، لِتَحْتَرُوا مَا هِيَ رَأْيُ اللَّهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ
الْكَامِلَةُ. " (رومية 12: 1-2)

لا يوجد في هذه الفقرة السابقة أي شيء عن انتشاء شعوري نتيجة حضور ساعة من الترنيم. في سعينا وراء مثل تلك المشاعر نحن نشابه أهل العالم. نريد الحصول على خبرة عاطفية شعورية، وما أن تغادر مكان حدوث هذه الخبرة نادراً ما تكون لدينا أي نية نحو طاعة يسوع فعلياً.

هل كل العبادة الجماعية سيئة؟ بالطبع لا! هل كل من يحضرونها يرغبون في اختبار ذلك الشعور بالنشوة حين "ينطلقون في الروح"؟ بالطبع لا.

ومع ذلك، ما أقصده هو أن هذا الأمر خارج تماماً عن حقائق العهد الجديد ووصايا يسوع. والأمور الغير كتابية دائماً ما تنتهي بمشكلة مهما كان حسن نوايا من بدأها.

المفاهيم التي تعزز مناسبات العبادة الجماعية تلك تناقض بشدة حقائق العهد الجديد:

أ- العبادة حين تتم في مراسم معينة داخل أحد الأبنية، تحت قيادة مجموعة من المحترفين، تعود بنا إلى النسق الديني المنتشر بكل الأديان. يجعل ذلك العبادة نوعاً من الأداء المسرحي الذي يتم تقييم جودته بمقدار الكفاءة الفنية والتجربة الشعورية. باختصار، تلك الأشياء تجعل من العبادة استعراضاً عرضه انتشاء العواطف كما يراه المؤدون. في هذه العبادة الإنسان هو المركز. تلك هي الديانة الإنسانية.

ب- العبادة كمنااسبة يتم التحضير لها وكأداء فني، تستشهد بالعهد القديم كمبرر لوجودها. في العهد القديم كان الله يقيم في خيمة ثم بعدها في معبد. كانت ناره تذهب وتجيء. حضوره كان يذهب ويجيء. الروح القدس كان يذهب ويجيء. كان لديهم رتب كهنوتية وظيفتها الوحيدة هي العبادة في ورديات مدة الواحدة منها ست ساعات. كل وقائع العهد القديم تلك تم تضمينها في العبادة المعاصرة باستخدام مصطلحات مثل الترحيب بالروح القدس وهبوط الروح القدس، من خلال تمجيد العديد من الوعاظ النجوم الذين من المفترض أنهم يحملون القدرة على خدمة المسحة! لقد عدنا بقوة للعهد القديم. إنما الحق الكتابي الذي للعهد الجديد هو "المسيح فيكم رجاء المجد."

ج- تنتشر في مراسم العبادة تلك جملة أن الله يتقابل مع من يتوق إليه فقط وأنا يجب أن نكون جوعى وعطاشى للرب. الله يتقابل بالفعل مع الجوعى إليه والتواقين له وقد اخترنا ملئه وتجديده ونحن نطلبه في أوج انكسارنا وبأسنا. ومع ذلك، تتحول تلك المصطلحات بمنتهى السهولة إلى لغة العهد القديم.. كمثال: "يجب أن نصرخ إلى الرب ليأتي ويتقابل معنا"، "ينبغي أن نطلب وجهه وحضوره"، "فلنبن مذبحاً لتسقط ناره عليه"، "هلموا نصعد للمرتفات"، "ينبغي أن نشهد حضور الله المُعلن". كل هذه التعبيرات قد تم تصميمها لتنتج حالة من التوهج العاطفي ومناخاً من الترقب.

ما الخطأ بذلك؟ ربما الخطأ صغير، لكن إذا عادت بنا تلك الأمور إلى عقليات العهد القديم فنحن نواجه مشكلة. في العهد القديم كان لديهم حضور الله ظاهراً لأن وقتها لم يكن الرب يسكن في شعبه. الأمم كانوا يصعدون للمرتفات! الرب موجود بمكان ما هناك. قارن كل هذه المصطلحات بهذه الصلاة،
"يَسْبَبُ هَذَا أَهْنُرُكَبْتِي لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ نَسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الْأَرْضِ. لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غَنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، لِجَلِّ الْمَسِيحُ بِالْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُتَّصِلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ، مَا هُوَ

الْعَرَضُ وَالطُّولُ وَالْعُمُقُ وَالْعُلُو، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْقَائِقَةَ الْمَعْرِفَةَ، لِكَيْ تَمْتَلُوا إِلَى كُلِّ مَلءِ اللَّهِ.
وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَجِدًا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَتَفَكَّرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِيْنَا، لَهُ الْمَجْدُ فِي
الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ." (أفسس 3: 14-21)

سواء أكان الاجتماع كبيراً أم ضئيلاً، فهناك من سيستقبلون الشفاء ومن لن يستقبلوه. معجزات الشفاء التي
يستمر مفعولها تعتمد في المقام الأول على قلب من يستقبلها أكثر من اعتمادها على المكان الذي تحدث فيه.
فمع كل ذلك يمكننا أن نشهد بأنفسنا، كما تلقينا أيضاً العديد من شهادات الأحياء، عن معجزات شفاء تام قد
حدثت بينما يصلي القديسون لأجل أحبائهم في غرف المعيشة وفي الطرقات. بدون موسيقى. بدون مؤثرات
خاصة. فقط بإيمان هادئ في المسيح الساكن فينا وفي مسحة الروح القدس الثابتة التي تجعل الروح يعمل
لأنه يحب البشر ويحب أن يمجّد يسوع. ما يشفيه يسوع يبقى معافى.
العبادة الحقيقية هي حياة تُعاش كل يوم وبكل الطرق لمجد الله. العبادة الحقيقية ليست لها علاقة بالموسيقى أو
الحشود. العبادة كما في العهد الجديد هي وليمة محبة ينتظر فيها المؤمنون بعضهم بعضاً. العبادة ليست لها
علاقة بما يحدث من خلق مناخ مهيباً أو هبوط قوة ما من السماء. لكن لها علاقة وثيقة بسكنى المسيح وبكيفية
إكرامنا بعضنا لبعض كهياكل للروح القدس.

إن الدعاية التي تستغل مفهوم الجوع والعطش إلى الله هي إساءة استخدام لأحد التطويبات حيث يقول يسوع
"طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعَطاشِ إِلَى الْبِرِّ، لِأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ" (متى 5: 6). "البر" في هذه الآية يمكن ترجمته إلى
"العدالة" أو "العدالة الاجتماعية". ليس المقصود به قداسة فردية شخصية داخلية، لكن علاقات سليمة
وعدالة للفقراء ومعونة للأيتام والأرامل. إذا كان هذا هو البر الذي تطلبه، فلن تذهب إلى الاجتماع لكي
تجده! بل تخرج إلى الشوارع وتحققه، باحثاً عن يسوع في هؤلاء الأصاغر.
إن كان جوعك ليسوع، فيسوع نفسه يقول أنه ليس مع التسعة والتسعين الأمنين في القطيع بل يبحث عن
الواحد الضال (لوقا 15: 4). مازال عليك أن تخرج إلى الشوارع!
ماذا فعل بولس حين كان يطلب الرب؟ لم يذهب لأورشليم حيث كانت تقام أفضل الاجتماعات الروحية، بل
ذهب للصحراء.

وماذا فعل يسوع؟ قضى الليلة وهو يصلي. وخرج ليصلي في الصباح الباكر.
هل تطلب الرب؟ اذهب حيث يمكنك أن تطلبه دون تشويش أو مقاطعة أو تشتيت. تقابل معه في محراب
قلبك. التق به في المكان السري. المسيح فيكم رجاء المجد (كولوسي 1: 27).
الجوع والعطش للرب لا يعني أن تواظب على حضور عدد لا متناهي من الاجتماعات. بعض النهضويين
يريدون أن يجعلوك تصدق ذلك، لكن تذكر أن هؤلاء يجنون أموالهم عن طريق إقامة الاجتماعات.
الذهاب إلى الاجتماع ليس دليلاً على أنك جوعان وعطشان للرب. إنما قد يعني فقط أنك قد ابتلعت طعم
الثقافة الدينية المتمركزة حول الاجتماعات الانتعاشية التي تقيمها شخصيات كاريزماتية شهيرة.

**4- ماذا عن العناية الرعوية الملائمة الممتدة؟ ألا نحتاج للتأكد من كون الناس تسير فعلاً مع الله؟ كيف
يمكنك أن تبقى مع ابن السلام فترة قصيرة وحسب، ثم تغادر؟**

ما تم تسجيله في العهد الجديد يخبرنا أن بولس نادراً ما مكث وقتاً طويلاً في مكان واحد. لقد مكث بأفسس
لعامين، مع الشهادة بأنه نتيجة لذلك "سَمِعَ كَلِمَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ جَمِيعُ السَّاكِنِينَ فِي أَسِيَّا، مِنْ يَهُودٍ وَيُونَانِيِّينَ."
(أعمال الرسل 19: 10). فما حيثيات هذا الأمر؟

مدرسة "تيرأوس" كانت على الأرجح عبارة عن مشى مجاور لأحد بيوت الدعارة حيث كان بولس يستطيع أن يتفاعل مع بعض المجموعات الصغيرة. كيف أمكن لكل الساكنين في آسيا أن يسمعوا كلمة الرب من هناك؟ كانت أفسس مركزاً دينياً وتجاريًا. وكان بولس يتلمذ أولئك الذين يأتون إليه ثم يغادرون ويحل آخرون محلهم. هؤلاء التلاميذ كانوا يعودون إلى أوطانهم، ومن ثم سمعت كل آسيا كلمة الرب. إن آليات ما حدث تكمن في الإرسال والتضاعف، لا في الاجتذاب والإضافة.

لقد فهم بولس أنه كان يضع حجر أساس للمسيح في حياتهم ثم يعهد بهم للمسيح وهو يرسلهم بعيدًا. أنصت لما قاله بولس في الأصحاح الثالث من الرسالة الأولى إلى كورنثوس. هذا الأصحاح تأكيد قوي على عمل الله في حياة شعبه. كان لدى بولس الإيمان الكامل بقدرة الله على التدخل والتحرك. أنصت لهذه الآيات التي تتحدث عن الله وهو يعمل.

"أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ"

"اللَّهُ الَّذِي يُبْنِي"

"فَبِإِنِّنَا نَحْنُ عَامِلَان مَعَ اللَّهِ"

"أَنْتُمْ فَلَاحَةُ اللَّهِ، بِنَاءُ اللَّهِ"

"فَبِإِنِّ كُلِّ شَيْءٍ لَكُمْ"

"وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلِلْمَسِيحِ، وَالْمَسِيحُ لِلَّهِ"

"حَسَبَ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَاةِ لِي كِبَائِهِ حَكِيمٍ قَدْ وَضَعْتُ أَسَاسًا، وَأَخَّرُ بِنْيِي عَلَيْهِ. وَلَكِنْ قَلْبِي ظُرُّ كُلِّ وَاحِدٍ كَيْفَ بِنْيِيهِمْ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وَضَعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ"

كان بولس يضع هذا الأساس أينما ذهب، وكان يعلمه أن عمله قد تم هكذا. كان بإمكانه أن يغادر الكنيسة بعد 3 أو 4 أشهر وانقأ أن الله سيكمل البناء. وماذا كان حجر الأساس؟ حجر الأساس كان المسيح.

مات يسوع ليصير بإمكانك أن تكون فيه. مات لتمتكن من تمييز صوته. مات لتمتكن من الامتلاء بروحه. مات لكي يُريك الأب. مات لكي يكون الرأس بالنسبة لك. مات لكي يسترك بمجده. مات يسوع لكي يكون الوسيط بينك وبين الله. مات لكي يهبك السلطان في اسمه.

ترك بولس بعدئذ كل رجل يبني فوق هذا الأساس. لم يحاول حمايتهم من الوقوع في أخطاء. لم يكن يعاملهم معاملة الأم والأب للأبناء. النار هي التي تمتحن عملهم وبناءهم. فإن خربوا ما كان الله يبنيه فسيخربهم الله. لم يتحمل بولس أي مسؤولية عما بناه أي شخص آخر. لقد أودعهم بين يدي الرب.

كيف حدث ذلك عمليًا على أرض الواقع؟ كانت أهم القضايا محل الخلاف وقتها هي في أي يوم يكون الاجتماع باسم الرب، وهل يمكن أكل ما ذبح للأوثان أم لا. ربما تظن أن بولس، الرسول، كاتب الوحي، الأب الروحي ومؤسس الكنائس، قد يصدر فرمانًا لحل هذه المعضلات. لكنه لم يفعل ذلك.

في الأصحاح الرابع عشر من الرسالة إلى رومية يحدد بولس المشاكل والمبادئ لكنه لا يرسى أي قواعد سوى تلك التي للمحبة. في كورنثوس الثانية 1: 24 يعلن "لَيْسَ أَذْنًا نَسُودُ عَلَى إِيمَانِكُمْ، بَلْ نَحْنُ مُوَارِثُونَ لِسُرُورِكُمْ. لِأَنَّكُمْ بِالْإِيمَانِ تَدْبُثُونَ." لاحظ من فضلك أن هذا الخطاب موجه إلى أقل الكنائس التي يربعاها نضجًا. وفيما يخص الانضباط، لم يأمرهم بل طالبهم وتضرع إليهم. لو كان قد تسلط على إيمانهم لتسبب في سقوطهم

لماذا كان سيتسبب في سقوطهم؟ لأن بولس قد وضع أساس المسيح، فإذا لم يكن يثق به ويحبه كيف ننظر من أهل كورنثوس أن يفعلوا هم ذلك؟ بولس ترك يسوع بيني كنيسته. كان يمارس ما يسميه رولاند لأن "فن الانسحاب". لو استمر الأب في صنع جميع القرارات، فلن يكبر الابن أبدًا.

ليس ثمة تفويض بالسلطة في جسد المسيح. يوجد فقط سلطان المسيح. والمسيح ينشر سلطانه في كل أعضاء جسده. السلطان المنوط بنا استخدامه في خدمة بعضنا بعضًا.

متى وضعت أساس المسيح، يجب أن تنسحب وتدعهم يتحملون مسؤولياتهم كأعضاء في جسد المسيح. إن لم تفعل ذلك سيصيرون اعتماديين عليك. وذلك يحطمك ويحطمهم. ولا تعود القيادة تأثيرًا إيجابيًا وتقديماً للمثل التي يُحتذى بها، وتصبح ممارسة للسطوة والتحكم.

نعم، الكثيرون يريدون ملكًا، ونعم، الكثيرون يريدون أن يصبحوا ملوكًا. نعم، من شأن ذلك أن يبدو ناجحًا وعظيمًا على المدى القصير. ومع ذلك، فحتى مملكة سليمان لم تدم. قد يقول بعضكم "لكن هذا سوف يشجع على التمرد والفرديّة." بالطبع سيحدث هذا، لكنها كانت مخاطرة وكان بولس على أتم الاستعداد أن يواجهها. فإن تنكشف نوايا القلوب أفضل من الخضوع الظاهري الذي يتم ارتداؤه كقناع فوق شهوة السلطة.

بعد أن ألقيت كلمة في مؤتمر للقادة منذ عدة سنين، تنامي إلى مسامعي ما قاله أحد القادة الحاضرين، أنه لو فعل كما قلت وأطلق شعبه حرًا خلف صوت الله، لتركه معظم أفراد كنيسته. وواقفه على ذلك من كان يستمع له. لو كان هذا حقيقيًا فمعنى ذلك أنك تحاول البناء عن طريق أشكال مختلفة من التمسك بحرف القانون والتلاعب بالآخرين. إن كان الأمر كذلك فمن الأفضل أن تكتشفه مبكرًا لا مؤخرًا! من الأفضل ألا تفعل شيئًا.

إذا كنت تضع أساس المسيح في تلميذك، فمن الأفضل أن تبين أولاً ثققتك بهذا الأساس وإلا فلن يفعل تلميذك ذلك أبدًا.

الله يحفظ لنفسه مساحة حول كل رجل وامرأة. هو مجدنا ورافع رؤوسنا. والسبب الذي يجعل كثير من القادة يستهلكون أنفسهم هو أنهم موجودون في تلك المساحة التي حفظها الله لنفسه. حين نجعل الناس معتمدين علينا، نأخذ مكانة الله. بإمكانك الجلوس على عرش الله كيفما شئت لكن الأمر سيكون مؤلمًا جدًا حين يأتي للجلوس وأنت هناك.

5- ماذا عن الرسل وباقي مواهب الخدمة الخمس – أليست تلك سطة المسيح على الكنيسة؟

هناك صورة شائعة عن الرسول، منبعها الحركات الإصلاحية الرسولية الجديدة، وهي أن الرسول هو شخص يستعيد السيطرة على الكنائس ويحكمها. لكن أن يستعيد شخص كنيسة كانت موجودة بالفعل فذلك لا يجعل منه رسولاً بمقاييس العهد الجديد. قد يجعله ذلك مسؤولاً دينياً ليس أكثر. الرسول حسب العهد الجديد هو من يفتح آفاقاً جديدة لصنع التلاميذ في أماكن جديدة. أولئك هم الرواد، المرسلون الحقيقيون. ليسوا المتكلمين بالمؤتمرات ولا من يستعرضون فوق المنابر.

في بعض الدوائر كان الحديث عن طبقات الخدمة الخمس منتشراً لعدة سنوات. المثير للاهتمام أن أفسس 4: 11 هي الآية الوحيدة التي تسردهم بهذا الشكل. يالها من أمور كثيرة بُنيت على آية واحدة فقط! هناك آية واحدة أيضاً نتحدث عن المعمودية من أجل الأموات. نعم، في كورنثوس الأولى 15: 29. فلم لا نثير الجلبة بشأن هذه الآية أيضاً؟ حسناً، لأن لدينا مشكلة مع المعمودية لأجل الأموات، لذلك نحاول أن نتحاشى الحديث عن هذه الآية.

ومع ذلك، يحب الحديث عن أفسس 4: 11 الغير ناضجين والغير واثقين بأنفسهم والمتعطشون للسلطة والمنصب لأنها تبدو وكأنها توحى بوجود مناصب للسلطة في جسد المسيح. في عالم يسوده تحقيق الذات والفرديانية نصير مهوسين بمواهبنا ودعواتنا ومناصبنا. في التصور الهرمي لملكوت الله، نصير مهوسين بالموقع الذي يناسبنا في هيكل السلطة.

أي نوع من القادة ذلك الذي يسعى لكي يكون مرتباً بإحدى "الشبكات الرسولية"؟ أي نوع من القادة يسعى لكي يكون له "أب رسولي"؟ أي نوع من القادة يلهث خلف الألقاب واللافتات؟ إنه ذلك النوع من القادة فاقد الثقة بالنفس الذين لا يدركون مكانتهم في يسوع. يسعون وراء السلطة والسطوة من خلال اتصالاتهم وعلاقاتهم. يبحثون عن الأمان والمأوى عن طريق الانتماء لحركات خدمية عوضاً عن الانتماء لیسوع. ألا يكفيك أن يكون يسوع هو رأسك؟ ألا يكفيك أن يكون الله أباك؟ أليس كافياً بالنسبة لك أن تكون ببساطة عضواً في جسد المسيح؟

"وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ حَمْرًا جَدِيدَةً فِي زَقَاقٍ عَتِيقَةٍ، لِئَلَّا تَشَقَّ الْحَمْرُ الْجَدِيدَةُ الرَّقَاقَ، فَالْحَمْرُ تَنْصَبُ وَالرَّقَاقُ تَلْفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ حَمْرًا جَدِيدَةً فِي زَقَاقٍ جَدِيدَةٍ." (مرقس 2: 22)

الزقاق الجديدة ليس طريقة جديدة للسلوك ككنيسة داخل أربعة جدران وفي إطار سلطوي هرمي. لا أحد سيهتم إن أعدت ترتيب أثاث الكنيسة أو كنت تصيح بصوت عالٍ. لا أحد سيهتم إن كنت تستخدم البخور أو الأعلام، الطبول أو الآلات الوترية. ومع ذلك، حين تقول أن ملكوت الله هو مجموعة من الأحياء تحت رأس واحد، يسوع، وأنها مملكة مقلوبة رأساً على عقب حيث القيادة الحقّة فيها هي سباق نحو القاع، ساعتها ينزعجون وتكون في مشكلة عويصة. أنت خارج الإطار الديني وتمثل تهديداً لكل من بقوا بداخله.

الزقاق الجديدة هي المملكة المقلوبة رأساً على عقب.

الزقاق الجديدة هي القائد الخادم.

الزقاق الجديدة هي كنيسة بسيطة مكونة من الأحياء والأصدقاء.

الزقاق الجديدة هي مملكة كهنة.

الزقاق الجديدة هي علاقات مبنية على الصداقة وعلى حقائق "بعضكم بعضًا" الكتابية، عوضًا عن السلطة والمناصب الهرمية.

بالطبع سيأتي الآن من يقول أن جميعنا لنا نفس القيمة وأننا كلنا متساوون في جوهرنا الأساسي لكن كل منا له وظيفة مختلفة. حسنًا، هذا حقيقي، لكن هل نستخدم هذه الوظائف المتباينة في خدمة بعضنا البعض أم أن بعض هذه الوظائف تمنح فئة قليلة السلطة في منح الإذن ومنعه؟ فكرة منح الإذن بحد ذاتها تعود بنا إلى تلك العلاقات المبنية على القوة والسلطة. هذه "مزرعة حيوانات" جورج أورويل حيث كل الحيوانات متساوون لكن بعضهم "أكثر تساويًا" من الآخر!⁶⁵

مواهب الخدمة الخمسة لا تتعلق بالمنصب أو السلطة أو المكانة في الهيكل الهرمي. لو وجهت خدمتك إلى الأصغر والعالم وجسد المسيح – لو أصبحت خادمًا للكل – فستتبت حياتك بعض الثمر. إذا ميز أصدقاؤك هذا الثمر، ربما يبدؤون بمنحك بركتهم لتكون رسولًا، نبيًا، مبشرًا، راعيًا، أو معلمًا.

وقد تكون الخمس خدمات هي مراحل نمر بها في حياتنا. فنبدأ كمبشرين ونخبر أصدقاءنا وعائلاتنا عن حياتنا الجديدة في يسوع. وحين يأتون ليسوع نبدأ في أن نعلمهم عنه وعن ملكوت الله. ثم نصير لهم رعاة من خلال شفاء آثار العلاقات المؤذية، بالغفران والتعويض وقول الحق. وقد نحتاج بصيرة نبوية لحل عقد علاقاتهم وتحريرهم. وبينما ننضج ونساعد مجموعات التلاميذ على النضوج، نبدأ في التحرك إلى أرض جديدة لنعيد الكرّة بمشاركة خلاص يسوع وصنع التلاميذ. هكذا ننتقل إلى مرحلة الرسل، أدنى خدام المسيح، مواجهين معظم المخاطر ومعرضين لأغلب الأخطار.

وقد تكون تلك الخدمات خماسية الطبقات هي وسائل للتعبير عن الكيفية التي يعمل بها يسوع عبر حياتنا عن طريق محبتنا وخدمتنا للمحتاجين. لأننا أعضاء جسده، فهو يُظهر ملء ذاته من خلالنا حين نقوم بدور الراعي، النبي، المبشر، المعلم، أو الرسول.

مهما كانت دعوتك أو خدمتك، إذا عاينت يسوع، فستعرف أن هويتك وقيمتك ليستا فيم تفعله لكن فقط في يسوع. إذا عاينت يسوع، ستعرف أنه يوجد رب واحد وأننا جميعًا أخوة وأصدقاء، يوجد معلم واحد ونحن جميعًا نتعلم منه، يوجد أب واحد وكلنا أبنائه، يوجد روح قدس واحد ونحن جميعًا هيكله.

طبقات الخدمة الخمس قد تتعلق بأي شيء إلا المنصب والسلطة. إنها تتعلق بالمحبة والخدمة، لا باستعادة الكنائس وجعلها تحت سلطانك. إنها تتعلق بتحرير الشعب وإطلاق الناس نحو حياتهم ومكانتهم في المسيح. وهي أيضًا تلائم الزقاق الجديدة التي للمحبة والقُدوة والصداقة، لا الزقاق القديمة التي للتسلط والتحكم.

⁶⁵ مزرعة الحيوانات Animal Farm هي رواية خيالية للكاتب الإنجليزي جورج أورويل George Orwell. (ف.ت.)

6- ماذا عن المسؤولية؟ ألا تتطلب مساءلة الأشخاص وجود مناصب سلطوية؟

بادئ ذي بدء، حينما يتعلق الأمر بالمحاسبة بعيدة المدى، حيث يكون الرعاية تحت أحد الرسل، ماذا يحدث؟ ليس هناك أسهل من خداع السلطة الموجودة خارج الموقع. بل يمكن معاملتهم كما يُعامل الفِطْر - يتم إبقاؤهم في الظلام وإطعامهم روث الخيول!

القائد يريد أن يترك انطباعًا جيدًا لدى من هم فوقه، لذا يشارك معهم الأشياء الجيدة فقط. وحين تخرج الأخبار السيئة إلى النور، غالبًا ما تكون في صورة أزمة، وساعتها لن يكون لدى القائد الأعلى المسؤول الوقت الكافي أو الثقة المطلوبة للتعامل مع مثل تلك المسائل التي كانت تحدث بالفعل لوقت طويل. يكون من المتوقع منه حينئذ أن يصنع شيئًا إجازيًا؛ أن يجد حلاً من العدم كالساحر الذي يُخرج الأرنب من القبعة. أثناء تطور هذه الورطة قد يعلم بعض السكان المحليين شيئًا بخصوص الأمر أو يشكون في وجود مشكلة لكنهم لن يحركوا ساكنًا إذ أنها ليست مسؤوليتهم. وعادةً ما يتغاضى القائد المسؤول عن التحقيق بدقة في الأمر لنلا يؤثر ذلك على التمويل المادي. دائمًا ما يؤول الأمر إلى حدوث فوضى. لو كان قد تم التعامل مع الأمر من بدايته عن طريق مجموعة من الأخوة الأحباء، الموثوق بهم، المتكلمين بالحق، لازدادت فرصة إيجاد حل ناجح للمشكلة.

في الحقيقة، الشخص يكذب على الروح القدس قبل أن يكذب على رؤسائه. إذا لم يكن الشخص مسؤولاً أمام الروح القدس فلم تظن أنه يكون مسؤولاً أمامك؟

التكلم بالحق هو أحد حقائق "بعضكم بعضًا." والاعتراف بالأخطاء للآخرين. التكلم بالحق والاعتراف بالخطأ لا علاقة لهما بالسلطة الهرمية والمساءلة المفروضة عليك، بل يتعلقان بالصدقة والثقة والتواضع وقبول الضعف والتحرر من الخوف من الدينونة. التكلم بالصدق والاعتراف بالخطأ يحدثان فقط في مناخ خالٍ من المنافسة والأداء الاستعراضي وصراعات القوى.

في الأنظمة الهرمية يتزواج التظاهر المزيف بالأداء الاستعراضي. يجب أن تبدو بمظهر حسن كي تتسلق السلم. والدافع للظهور بمظهر حسن يجعلك تحاول إخفاء ضعفك وفشلك. أضف إلى ذلك أنك تصعد الهرم تدريجيًا بالموهبة والأداء الاستعراضي بدل أن يكون ذلك من خلال صفاتك الشخصية ونزاهة علاقاتك. وغالبًا ما يكون هؤلاء الصاعدون هم أصحاب أقل الصفات جودةً وأضعف العلاقات نزاهةً. لكنهم يعرفون كيف يلعبون لعبة السلطة. أحد أجزاء هذه اللعبة هو تلك القاعدة الصغيرة- إذا قمت أنا بحكّ ظهرك فعليك أيضًا أن تحك لي ظهري! إذا قمت بالتستر عليك، يجب أن تتستر عليّ. قد يبدو على النظام الهرمي مظهر تطبيق المسؤولية، وتلك هي النقطة المهمة، فما يبدو هو مجرد مظهر وليس حقيقة.

لقد أفسدت عقليات السلطة الهرمية والخدمات الاستعراضية العلاقات بين الأصدقاء. هؤلاء الذين يستنزههم طموح الخدمة، لا يكون لديهم أصدقاء. يكون لديهم فقط زملاء ومعارف يستغلونهم وقت الحاجة. وهؤلاء الزملاء والمعارف الذين يتم استغلالهم لا يصدر منهم أي رد فعل، ببساطة لأنهم يلعبون نفس اللعبة. قد

يكون مفهومًا أن تقوم باستغلال الآخرين وأن يقوم الآخرون باستغلالك، لكن يتم قبول هذا فقط في ضوء كونه قطعةً وجزءًا من "خدمة" لا زالت في بدايات نموها.

صمم يسوع ملكوته لينمو عن طريق جماعات من الأخوة. لقد دعا تلاميذه أحباء. لا يوجد ميثاق طائفي أو قواعد سلوكية يمكن أن تحل محل مشاركة الأحباء بما في قلبك وفي حياتك. لا يمكن للمسؤولية أن تُفرض عليك فرضًا، مهما كان مقدار السلطة التي لأي شخص على الآخر. لم يخلقنا الله لندفن في الأهرامات. بل خلقنا لكي نكون أصدقاءه وأصدقاء بعضنا البعض.

الدعوة العظمى هي أن تُدعى "صديقًا". هلم إذًا نتبع يسوع كأصدقاء له ولبعضنا البعض.

ملحق # ١

الرسول، عبید المسيح

كُتِبَ بواسطة برايان دود ⁶⁶Brian Dodd

لماذا يجعل بعض الرسل من أنفسهم نجومًا؟ وفي المقابل، لماذا تزعم بعض الجماعات أنه لا وجود للرسل في يومنا هذا؟ لقد حدد بولس هذه الخدمة ضمن المواهب الخمس التي تحتاجها الكنيسة للنمو والنضوج. لماذا يُضخم البعض هذه الموهبة؟ ولماذا يعتقد البعض أن الله قد أزالها؟ الإجابة تكمن في سوء فهم طبيعة ما كان عليه الرسول في المقام الأول (في السياق الاجتماعي اليوناني-الروماني)، وفهمها من منظور هرمي يضع الرسل على قمة الكيان الكنسي في حين يبدو واضحًا أن العهد الجديد يضعهم في القاع. مفهوم القيادة في العهد الجديد، الذي يجب أن يحدد مفهومنا عن الرسول، هو الخادم المتضع غاسل الأرجل (يوحنا 13) الذي يهرول نحو القاع ليكون خادمًا لكل (متى 20: 20-28 وكورنثوس الأولى 9: 19).

كلمة "رسول" في العالم القديم تعني ببساطة الشخص الذي يتم إرساله (باليونانية: *apostolos*). كان الرسول هو الشخص الذي يُبعث ليتم الأعمال التجارية بالنيابة عن شخص آخر. فلم يكن هناك – في الأصل – أي منظور ديني للرسل. كانوا عادة من العبيد القليلي القيمة الذين يسهل الاستغناء عنهم. وقديمًا كان السفر أمرًا محفوفًا بالمخاطر وخيارًا صعبًا للأفراد. من كان يمتلك الحق إذًا في إرسال شخص للسفر نيابةً عنه؟ مُلّاك العبيد، أو حكومة الدولة، أو قادة الجيش. ولم يكن الشخص المُرسَل – الرسول – يمتلك خيارًا. في حالة الحكومة أو قادة الجيش، عادة ما يكون الرسول الذي يتم إرساله بالأوامر فردًا من الحاشية العسكرية. لكن الرسول-العبد لم يكن متوفرًا لديه هذا القدر من الحماية. كان السيد يختار الخادم الذي يستطيع أن يتحمل فقدانه، ثم يرسله ليدير شؤون تجارته في مكان بعيد. هذا الرسول-العبد ربما يكون في نفس مكانة أقل خادم بالمنزل، ذاك المُكلّف بالعمل المخزي الخاص بغسل الأرجل (يوحنا 13). لذلك يتم إرساله، كونه الأقل أهمية.

يعرف بولس بنفسه كأحد هؤلاء العبيد المرسلين في عدة مواضع من رسائله: "بُولُسُ، عَبْدٌ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْمَدْعُوعُ رَسُولًا، الْمَعْرُوفُ لِإِنْجِيلِ اللَّهِ" (رومية 1: 1). والوصف الذاتي الأكثر شيوعًا لبولس عبر رسائله هو: "أنا عبد أرسله يسوع لغير اليهود كي أنقل لهم الأخبار السارة عن ملكوت الله الذي أُقْبِلَ في يسوع."

من السهل على قارئ الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية أن يغفلوا هذا الجانب المهم من نظرة بولس عن نفسه، حيث أن 190 تعبيرًا يونانيًا مختلفًا عن العبودية قد تم تخفيفها في العهد الجديد إلى "خادم." وهي ترجمة غير دقيقة، إذ أن ثلث سكان الإمبراطورية الرومانية في عهد بولس كانوا من الأسياد مالكي العبيد، وثلث من العبيد، والثلث الأخير كانوا عبيدًا تم تحريرهم. يعبر بولس عما يقصده بمنتهى الوضوح: العبودية

⁶⁶ brianjosephdodd@yahoo.com

1/14/2007

Permission granted to use and forward.

Brian Dodd (Doctor of New Testament Studies, Sheffield University), author of "Empowered Church Leadership: Ministry in the Spirit According to Paul [Downers Grove: Inter-varsity Press, 1991].

للمسيح هي ملكية حصرية – يسوع هو السيد/الرب (والكلمة اليونانية المستخدمة "كيريوس kurios" هي كلمة بسيطة تعني السيلمالك للعبيد). "أَفَأَسْتَعِظُ الْآنَ النَّاسَ أَمْ اللَّهُ؟ أَلَطَّلَبُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ؟ فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِيَ النَّاسَ، لَمْ أَكُنْ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ." (غلاطية 1: 10)

مشكلة أخرى في فهم كيفية استخدام كلمة "رسول" في العهد الجديد سببها الصورة القروسطية التي في أذهاننا للاتني عشر تلميذًا وهالات القداسة تحيط برؤوسهم. والتي توحى بأنهم أشخاص ذوي مكانة رفيعة وأنهم نُخبة قليلة العدد. هذا تفسير مغاير تمامًا لما كان عليه الرسول وقتها. لم يكن "الرسول" لقبًا أو منصبًا قياديًا ربيعًا. كان "الرسول"، قبل عصر يسوع وبعده، عبيدًا وضيعي المنزلة لا يملكون أي سلطة خاصة بهم، وكانوا أشخاصًا عاديين كغاسلي الأطباق في يومنا هذا مثلًا. أي أننا لو كنا نمارس العبودية في العصر الحديث كما كان يحدث قديمًا، ونطق أحدهم لفظة "رسول"، لما جاء بفكر الناس شخص يملك أو يدير استراحة مثلًا. كانوا سيفكرون بالأحرى في النادل أو من ينظف الأطباق. كلمة "الرسول" لم تكن توحى بالمكانة الرفيعة أو السلطة، لكن بالمنزلة المتدنية وقلة الأهمية. وحين تضيف إليها كلمة "المسيح" فهذا يعلن عن الشخص صاحب السلطة الذي يعمل الرسول تحت إدارته. المسيح هو رب العمل، هو من أرسل الرسل وهو الذي يتحدث من خلالهم، فما هم إلا قناة توصيل.

"الرسولية" ليست مصطلحًا روحيًا. لو كنت أتكلم من وجهة نظر روحانية، لشرحت لماذا كانت موهبة الرسول-العبد (في تقديم المساعدات والعطاء وأعمال الرحمة) شائعة جدًا فيما مضى، ولماذا ينبغي أن تكون كذلك الآن. كان هناك العديد من الرسل في العهد الجديد غير الاثني عشر وبولس، رسل لم يكتبوا وحيًا ولم يعتبروا الموهبة الإلهية لقبًا فخماً أو منزلة رفيعة. ما نحتاجه اليوم أكثر من أي شيء هو إطلاق مثل هؤلاء الرسل-العبيد في إرسالية يسوع نحو الضالين والمتألمين. إلهنا رب مُرسِل، يأمر أتباعه أن يذهبوا إلى من ضلوا طريقهم، لا أن ينتظروا مجيء الضالين إليهم.

كثير من القادة قد قرأوا العديد من الكتب وانتابتهم الحماسة لكي يصيروا "رسولين في قيادتهم" وفي نفس الوقت يبقون في موضع المسؤولية، آمنين مطمئنين على مقاعدهم الوثيرة بأحد الأقبية المسيحية. هذا غير قابل للتطبيق. لكي تكون رسولاً عليك أن تصبح شخصاً يمكن الاستغناء عنه، بلا كرامة، وأن تتعرض للسخرية وعدم الائتقي هذه الحياة: "فَلَيْتِي أَرَى أَنَّ اللَّهَ أَبْرَزَنَا نَحْنُ الرُّسُلَ آخِرِينَ، كَأَنَّنا مَحْكُومٌ عَلَيْنَا بِأَلْمُوتٍ. لَأَنَّنا صِرْنَا مُنْظَرًا لِلْعَالَمِ، لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ. نَحْنُ جُهَالٌ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ. ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحُكَمَاءُ فِي الْمَسِيحِ! نَحْنُ حَقَمَاءُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَهْوَاءُ! أَنْتُمْ مُكْرَمُونَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَبِلَا كَرَامَةٍ!" (كورنثوس الأولى 4: 9-10)

الرسل هم عطية الله للكنيسة والعالم (أفسس 4: 11)، ونحتاجهم اليوم بشدة. كنيسة بلا رسل (أو أنبياء) هي نار بلا لهب. ماذا حدث لجسد المسيح؟ لقد بترنا أحد أطرافه الأساسية، الذي هو الرسل، عن طريق العقلة والتحكم الديني والانصياع خلف شهوات المادة (لذلك تقبع معظم المواهب خاملة ولا تُقدَّم للرب – ودور الرسل في عتاد جسد الرب هو كالدعامة التي تثبت الجسد للخدمة والنمو؛ أفسس 4: 11). معظم الرسل الحقيقيين غير موجودين في الكنيسة التي نعهد لها بوضعها الحالي، لهذا نتقد النيران خارجها. يسوع هو رب العمل – كما أُرسِل من قبل الأب، يُرسِل أيضاً خاصته ليتألموا ويخدموا، لكي يُظهر ملء وحضور ملكوته. الرسل والأنبياء هم أساس الكنيسة التي يطلبها الله (أفسس 2: 20، 3: 5-6، 4: 11).

نحن نحتاج أن نُطَلِّقَهُم، رسلاً وأنبياء بلا ألقاب أو تعظيم، نكرات صارت لها قيمة في عين الله من خلال المسيح. إننا لا نتحدث عن نسخة جديدة من "عرض الرجل الواحد" المنتشر كالتعاون في الكنيسة كما نعدها حالياً. نريد رسلاً وأنبياء بلا إبراز للصيغة المفردة للكلمة (رسول، نبي)، لكن مع التأكيد على صيغة الجمع (رسل، أنبياء) كما ذكرها الوحي: " وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءً... " لسنا بحاجة للمزيد من النجوم الفرديين. لكننا بحاجة لمن يجسدون آية "خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللَّهِ." (أفسس 5: 21)

من فضلك يا رب، أرسل فعلة لحصادك!

ملحق #٢

الكنيسة المنزلية في العهد الجديد⁶⁷

سنبدأ هذا الملحق بأن نقتفي آثار ما سجله لنا لوقا ونستعرض منه كيف كانت خدمة يسوع في البيوت. نعم، إن يسوع وبولس والرسل الآخرين قد خدموا أيضًا في المجمع وفي رواق المعبد اليهودي كما هو موضح في بداية سفر أعمال الرسل. غير أنه يتضح أيضًا من سفر أعمال الرسل أن بولس قد اتخذ قراره بأنه لن يذهب لليهود مرة أخرى بل للأمم فقط (أعمال ١٨: ٦-٧). وقد سجل لنا سفر الأعمال أيضًا أن "كَمْ يُوجَدُ رَبَوَةٌ مِنَ الْيَهُودِ... وَهُمْ جَمِيعًا غَيْرُونَ لِلثَّامُوسِ." (أعمال ٢١: ٢٠). ومع ذلك، فهذا الجزء من الكنيسة لم يصمد حتى القرن الثالث، والسبب على الأرجح أن هؤلاء المؤمنين بيسوع قد تم السيطرة عليهم مرة أخرى بواسطة نظام المجمع اليهودي.

نعم، كان هناك تنوع في أماكن اجتماع المؤمنين في بادئ الأمر، لكن أولئك الذين كُتِبَ إليهم العهد الجديد كانوا يلتفون سويًا بصورة مستمرة، وكان هذا في البيوت بشكل أساسي.

١- تسع إشارات، من تسجيل لوقا للأحداث، عن خدمة يسوع في البيوت:

- (لوقا ١٩: ١): "وَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مِنْ أَيْنَ يَدْخُلُونَ بِهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ، صَعَدُوا عَلَى السَّطْحِ. وَذَلَّوهُ مَعَ الْفَرَاشِ مِنْ بَيْنِ الْأَجْرَاءِ إِلَى الْوَسْطِ فَدَّامَ يَسُوعَ."
- (لوقا ٢٩: ١): "وَصَنَعَ لَهُ مِهْرَضِيافَةً كَبِيرَةً فِي بَيْتِهِ. وَالَّذِينَ كَانُوا مُتَكَبِّرِينَ مَعَهُمْ كَانُوا جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ عَشَّارِينَ وَآخَرِينَ."
- (لوقا ٧: ٣٦): "وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِيسِيِّ وَاتَّكَأَ."
- (لوقا ١٠: ٧): "وَأَقِيمُوا فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ أَكْلِينَ وَشَارِبِينَ مِمَّا عِنْدَهُمْ، لِأَنَّ الْقَاعِلَ مُسْتَجِقَ أُجْرَتَهُ. لَا تَتَّقِلُوا مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ." (وصية يسوع بتشديد الكنائس المنزلية)
- (لوقا ١٠: ٣٩): "وَكَانَتْ لِهَذِهِ أُحْتُ تُدْعَى مَرْيَمَ، الَّتِي جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلَامَهُ." (لقد كان بيت مريم ومرثا مركزًا لخدمة يسوع)
- (لوقا ١١: ٣٧): "وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِيسِيٌّ أَنْ يَتَعَدَّى عِنْدَهُ، فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ."
- (لوقا ١٤: ١): "وَإِذْ جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ أَحَدِ رُؤَسَاءِ الْفَرِيسِيِّينَ فِي السَّبْتِ لِيَأْكُلَ خُبْزًا، كَانُوا يَرِافِبُونَهُ."
- (لوقا ١٩: ٥): "فَلَمَّا جَاءَ يَسُوعَ إِلَى الْمَكَانِ، نَظَرَ إِلَى فَوْقِ قَرَاهُ، وَقَالَ لَهُ: يَا زَكَا، أَسْرِعْ وَانْزِلْ، لِأَنَّه يَنْبَغِي أَنْ أَمْكُثَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ."
- (لوقا ١١-١٢): "وَقَوْلًا لِرَبِّ الْبَيْتِ: يَقُولُ لَكَ الْمَعْظَمُ أَيْنَ الْمَنْزِلُ حَيْثُ أَكُلُ الْفَصْحَ مَعَ تَلَامِيذِي؟ فَكَأَنَّكَ يُرِيكُمَا عَلَيْهِ كَبِيرَةً مَعْرُوشَةً. هُنَاكَ أَعْدَاءُ." (لقد تم تعيين مكان وليمة المحبة التي أقامها السيد وتلاميذه لتكون في أحد البيوت. كانت تلك نسخة مطورة من وجبة الفصح اليهودي التي كان لابد أن تأكلها العائلة المجتمعة دائمًا في البيت)

⁶⁷ من أجل عرض علمي عن الكنائس المنزلية في العهد الجديد انظر Paul's Idea of Community: The Early House Churches in Their Cultural Settings by Robert and Julia Banks (Peabody, MA: Hendrickson), 1994 and House Church and Mission: the importance of household structures in early Christianity by Roger Gehring, (Peabody, Hendrickson), 2004.

٢- خمس عشرة إشارة مباشرة عن الكنائس المنزلية في العهد الجديد:

بالنظر من خلال عدسة لوقا ١٠، سنفهم أن بولس في الأغلب كان يكتب إلى كنيسة المدينة وبعد ذلك يلح إلى كنائس محددة في بيوت مختلف القديسين. تلك الكنائس المنزلية المختلفة تُولف كنيسة المدينة. وقد تم اختيار الشيوخ والشمامسة من الكنائس المنزلية الخاصة بالأفراد لرعاية كنيسة المدينة. فقد تولى الشيوخ أمور الرقابة العامة في حين تعهد الشمامسة بخدمة الأيتام والأرامل في الكنائس المنزلية. ومع ذلك، لم يوجه بولس رسائله لشيوخ الكنيسة على الإطلاق بل إلى جميع القديسين. لم يوص الشيوخ بما ينبغي عليهم القيام به لكنه كان دائماً يناشد الكنيسة بأكملها.

- (أعمال الرسل ١: ١٣-١٤): "وَلَمَّا دَخَلُوا صَعِدُوا إِلَى الْعَلِيَّةِ الَّتِي كَانُوا يُقِيمُونَ فِيهَا: بَطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا وَأَنْدْرَاوُسُ وَفِيلِبُّسُ وَثُومَا وَبَرْتُولَمَاوُسُ وَمَنَّى وَيَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى وَسَمْعَانُ الْغَيُورُ وَيَهُوذَا أَخُو يَعْقُوبَ. ٤ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ كَانُوا يُوَاطِنُونَ بِنَقِيٍّ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّلَاةِ وَالطَّلَبِ، مَعَ النِّسَاءِ، وَمَرْيَمَ أُمِّ يَسُوعَ، وَمَعَ إِخْوَتِهِ." - (أعمال الرسل ٢: ٢): "وَصَارَ بَعَثَةٌ مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلَأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ."

- (أعمال الرسل ٢: ٤٦): "وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُوَاطِنُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَقِيٍّ وَاحِدَةٍ. وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ، كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ يَابِتِيهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ."

- (أعمال الرسل ٥: ٤٢): "وَكَاذُوا لَا يَزَالُونَ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي الْبُيُوتِ مُعَلِّمِينَ وَمُبَشِّرِينَ يَبْسُوعَ لِلسَّيْحِ."

- (أعمال الرسل ٨: ٣): "وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجْرُ رَجَالًا وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ."

- (أعمال الرسل ١٠: ٤): "...وَأَمَّا كَرْنِيلْيُوسُ فَكَانَ يَنْتَظِرُهُمْ، وَقَدَعَا أُنْسِبَاعَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ الْأَقْرَبِينَ."

- (أعمال الرسل ١٢: ١٢): "ثُمَّ جَاءَ وَهُوَ مُنْتَبِهٌ إِلَى بَيْتِ مَرْيَمَ أُمِّ يُوَحَنَّا الْمَلَأَبِ مَرْفُوسَ، حَيْثُ كَانَ كَثِيرُونَ مُجْتَمِعِينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ."

- (أعمال الرسل ١٦: ١٥): "فَلَمَّا اعْتَمَدَتْ هِيَ وَأَهْلُ بَيْتِهَا...."

- (أعمال الرسل ١٦: ٢٥-٣٤): بيت سجان فيلبي.

- (أعمال الرسل ١٦: ٤٠): "فَحَرَجَا مِنَ السِّجْنِ وَدَخَلَا عِنْدَ لَيْدِيَّةَ، فَأَبْصَرَا الْإِخْوَةَ وَعَرِيَاهُمْ ثُمَّ حَرَجَا"

- (أعمال الرسل ٢٨: ٣٠-٣١): "وَأَقَامَ بُولُسُ سَنَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ فِي بَيْتِ اسْتَأْجَرَهُ لِنَقِيهِ. وَكَانَ يَقْبَلُ جَمِيعَ الَّذِينَ

يَدْخُلُونَ إِكْلِيوِيَا بِمَلَكُوتِ اللَّهِ، وَمُعَلِّمًا بِأَمْرِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ، بِلَا مَنَعٍ."

- (رومية ١٦: ٥): "وَعَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِيهَا."

- (رومية ١٦: ٢٣): "يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ غَايُسُ مُضَيِّفِي وَمُضَيِّفُ الْكَنِيسَةِ كُلِّهَا."

- (١ كورنثوس ١٦: ١٩): "نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ كَنَائِسُ أَسِيَا. يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ فِي الرَّبِّ كَثِيرًا أَكِيلا وَ بَرِيَسْكَلا مَعَ الْكَنِيسَةِ

الَّتِي فِي بَيْتِيهَا."

- (كولوسي ٤: ٥): "سَلِّمُوا عَلَى الْإِخْوَةِ الَّذِينَ فِي لَأُودِيكِيَّةَ، وَعَلَى نِمْفَاسَ (بعض المخطوطات تستخدم

صيغة المؤنث 'نمفيا') وَعَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِيهِ (بعض المخطوطات تذكر 'بيتها')."

- (فليمون ١: ٢): "إِلَى أَيْفَةَ الْمُحْبُوبَةِ، وَأَرْخُبْسَ الْمُتَجَدِّدِ مَعَنَا، وَإِلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِكَ"

٣- خمسة عشر إشارة غير مباشرة لكنائس البيوت في العهد الجديد:

إذا قرأنا تلك الآيات الكتابية من خلال عدسة الجماعات الكنسية القائمة على وجود المباني الكنسية، فلن تعني سوى القليل. لكن إذا قرأناها عبر عدسة لوقا ١٠ وفي ظل حقيقة أن كنائس القرن الأول تأسست في البيوت، فسوف يصبح للأمر معنى مختلف للغاية ويصير كجزء من التاريخ الخاص بكنائس البيوت البسيطة.

- (أعمال الرسل ١٨: ٧): "فَانْتَقَلَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ اسْمُهُ يُوسُثُسُ، كَانَ مُتَعَدِّدًا لِلَّهِ، وَكَانَ يَبْنِيهِ مَلَاصِقًا لِلْمَجْمَعِ."

- (أعمال الرسل ١٩: ٨): "وَلَمَّا كَانَ قَوْمٌ يَنْتَقِسُونَ وَلَا يَقَعُّونَ.... اعْتَرَلَ عَنْهُمْ وَأَقْرَزَ اللَّامِيذَ، مُحَاجًّا كُلَّ يَوْمٍ فِي مَدْرَسَةِ إِنْسَانَ اسْمُهُ تِيرَانُثُسُ."

- (أعمال الرسل ٢٠: ٨): "وَكَانَتْ مَصَائِيحُ كَثِيرَةٌ فِي الْعِيْلَةِ الَّتِي كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِيهَا."

- (أعمال الرسل ٢٠: ٢٠): "كَيْفَ لَمْ أُوجِرْ شَيْئًا مِنَ الْفَوْرِ إِلَّا وَأَحْبَرْتُكُمْ وَعَدَمْتُكُمْ بِهِ جَهْرًا"

- (رومية ١٦: ١٠): "سَلِّمُوا عَلَى بَلْسَ الْمَرْكِيِّ فِي الْمَسِيحِ. سَلِّمُوا عَلَى الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ أَرَسْتُوبُولُوسَ."

- (رومية ١٦: ١١): "سَلِّمُوا عَلَى هِيرُودِيُونَ نَسِيبِي. سَلِّمُوا عَلَى الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ نَرْكِيْسُوسَ الْكَانِينِيِّ فِي الرَّبِّ."

- (رومية ١٦: ١٦): "سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةِ مُقَدَّسَةِ كَنَائِسِ الْمَسِيحِ. تَسَلِّمَ عَلَيْكُمْ."

- (١ كورنثوس ١: ١٠): "لَأَتِي أُحْبِرْتُ عَنْكُمْ بِإِخْوَتِي مِنْ أَهْلِ خُدُوي أَنْ بَيْنَكُمْ خُصُومَاتٍ."

- (١ كورنثوس ١: ١٦): "وَعَدَدْتُ أَيْضًا بَيْتَ اسْتِيفَانُوسَ. عَدَا ذَلِكَ لَسْتُ أَعْلَمُ هَلْ عَدَدْتُ أَحَدًا آخَرَ"

- (١ كورنثوس ١٦: ١٠): "وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: أَنْ تَتَعَرَّفُونَ بَيْتَ اسْتِيفَانُوسَ أَنْتُمْ بِأَكُورَةَ أَخَائِيَّةَ، وَقَدْ رَتَّبُوا أَنْفُسَهُمْ لِخِدْمَةِ الْقَدِيسِينَ."

- (فيلبي ٤: ٢٢): "يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ جَمِيعُ الْقَدِيسِينَ وَلَا سِيَّامَا الَّذِينَ مِنْ بَيْتِ قَيْصَرَ."

- (٢ تيموثاوس ١: ١٦): "بِعَظْمِ الرَّبِّ رَحْمَةً لِبَيْتِ أُنِيسِيفُورُسَ، لِأَنَّهُ مَرَارًا كَثِيرَةً أَرَاخَنِي وَلَمْ يَحْجَلْ بِسَلِّاتِي."

- (٢ تيموثاوس ٤: ٩): "سَلِّمَ عَلَى فِرْسِنَا وَأَكِيلَا وَبَيْتِ أُنِيسِيفُورُسَ."

- (تيطس ١: ١١): "الَّذِينَ يَجِبُ سُلُوقُهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَفْلُبُونَ بُيُوتًا بِجُمَلَتِهَا، مُعَلِّمِينَ مَا لَا يَجِبُ، مِنْ جَلِّ الرَّبِّحِ الْقَدِيحِ."

- (٢ يوحنا ١: ١): "السَّيِّئُ، إِلَى كَبِيرِيَّةِ الْمُخْتَارَةِ، وَإِلَى أَوْلَادِهَا الَّذِينَ أَنَا أُحِبُّهُمْ بِالْحَقِّ، وَلَسْتُ أَنَا فَقَطْ بَلْ أَيْضًا جَمِيعُ الَّذِينَ قَدْ عَرَفُوا الْحَقَّ."

ملحق # ٣

الآيات الكتابية الخاصة بـ "بعضكم البعض"

العقيدة السليمة من دون نزاهة في العلاقات تعد بمثابة معتقد تقليدي لا روح فيه. لن تتعلموا أن تكونوا أحياء عن طريق الجلوس في الفصول الدراسية والاستماع للمحاضرات. ستتعلمون أن تكونوا أحياء بأن تتبعوا يسوع معاً في حياتكم اليومية. ويحفل العهد الجديد بالوصايا التي تختص بالعلاقات. فهناك أربعون وصية تنص على "بعضكم البعض" وهي موضحة هنا في هذا الملحق، لكن يمكن تمديد تلك القائمة إلى حوالي سبعين إذا قمت بدمج الآيات المماثلة التي تحوي كلمات مثل "أخوة"، "الجيرة"، أو "أعضاء". هذه الوصايا المنثورة في جميع أسفار العهد الجديد، تعزز من واقع تجمعات الأحياء في هيكل من العلاقات الأفقية غير الهرمية، يتصرف فيه البشر من قلوبهم لخدمة بعضهم البعض، وهم بذلك يخدمون الملك الذي يعيش في كل واحد فيهم.

- ١- (يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥) وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. يَهَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي: لِئِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ. »
- ٢- (يوحنا ١٥: ١٢): "هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُمْ."
- ٣- (يوحنا ١٥: ١٧): "بِهَذَا أُوصِيكُمْ حَتَّى تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا."
- ٤- (رومية ١٢: ١٠): "وَأَدِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الْأَخَوِيَّةِ."
- ٥- (رومية ١٢: ١٠): "مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكِرَامَةِ."
- ٦- (رومية ١٢: ١٦): "مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاجِدًا، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ لِلْأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُتَقَادِينَ إِلَى الْمُنْضِعِينَ. لَا تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ."
- ٧- (رومية ١٣: ٨): "لَا تَكُونُوا مَذِينِينَ لِأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلَّا بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ."
- ٨- (رومية ١٤: ١٣): "فَلَا تُحَاكِمِ أَيْضًا بَعْضُنَا بَعْضًا بِالْحَرِيِّ احْكُمُوا بِهَذَا: أَنْ لَا يُوضَعَ لِلْآخِرِ مَصَدَمَةٌ أَوْ مَعْدَرَةٌ."
- ٩- (رومية ١٥: ٧): "لِذَلِكَ اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا قَبِلَنَا، لِمَجْدِ اللَّهِ."
- ١٠- (رومية ١٥: ١٤): "وَأَتَلَّبِي أَيْضًا مُتَيَوِّنٌ مِنْ جِهَتِكُمْ، يَا إِخْوَتِي، أَنْتُمْ أَنْتُمْ مَشْحُونُونَ صَلاَحًا، وَمَمْلُوءُونَ كُلِّ عِلْمٍ، قَادِرُونَ أَنْ يُنذِرَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا."
- ١١- (رومية ١٦: ١٦): "سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ."
- ١٢- (١ كورنثوس ١: ١٠): "وَلَكِنِّي بِلِطَائِكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلًا وَاجِدًا، وَلَا يَكُونُ بَيْنَكُمْ انْتِشَاقَاتٌ، بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاجِدٍ وَرَأْيٍ وَاجِدٍ."
- ١٣- (١ كورنثوس ١٠: ٢٤): "لَا يَطْلُبُ أَحَدٌ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاجِدٍ مَا هُوَ لِلْآخِرِ."
- ١٤- (١ كورنثوس ١١: ٣٣): "إِذَا يَا إِخْوَتِي، جِئْتَ تَجْتَمِعُونَ لِلْأَكْلِ، انْتِظِرُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا."
- ١٥- (١ كورنثوس ١٢: ٢٥-٢٧): "لِكَيْ لَا يَكُونَ انْتِشَاقٌ فِي الْجَسَدِ، بَلْ تَهْتَمُّ الْأَعْضَاءُ اهْتِمَامًا وَاجِدًا بِبَعْضِهَا لِبَعْضِهَا كَمَا كَانَ عَضُوٌّ وَاجِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الْأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ. وَإِنْ كَانَ عَضُوٌّ وَاجِدٌ يُكْرَمُ، فَجَمِيعُ الْأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَهْرَادًا."

- ١٦- (غلاطية: ٥: ١٣-١٥): "إِقْكُم اِرْتَمَا دُعَيْتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ. غَيْرَ أَنَّهُ لَا تُصَيِّرُوا الْخُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ أَحْدُمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. لِأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «نُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» فَإِذَا كُنْتُمْ تَنْهَشُونَ وَتَأْكُلُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَانظُرُوا لِنَلَا تَقْتُلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا."
- ١٧- (غلاطية: ٥: ٢٦): "لَا نَكُنْ مُعْجِدِينَ نُعَاضِبُ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَنَحْسِدُ بَعْضُنَا بَعْضًا."
- ١٨- (غلاطية: ٦: ٢): "إِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ ثِقَالَ بَعْضِ، وَهَكَذَا تَمُمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ."
- ١٩- (أفسس: ٤: ٢): "يَكَلِّ تَوَاضِعٍ، وَوِدَاعَةٍ، وَيَبْطُولِ أَنْتَا، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ."
- ٢٠- (أفسس: ٤: ٣٢): "وَكُونُوا لَطْفَاءً بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضِ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللَّهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ."
- ٢١- (أفسس: ٥: ١٩): "مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمِزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرْتَلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ."
- ٢٢- (أفسس: ٥: ٢١): "خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ فِي خَوْفِ اللَّهِ."
- ٢٣- (فيلبي: ٢: ٣-٤): "لَا سَنِيئًا يَنْحَرْبِ أَوْ يَعْجِبِ بَلْ يَتَوَاضِعِ، حَاسِبِينَ بَعْضُكُمْ الْبَعْضَ أَهْضَلِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ. لَا تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِآخَرِينَ أَيْضًا."
- ٢٤- (كولوسي: ٣: ٩-١٠): "لَا تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضِ إِذْ خَلَعْتُمُ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَا يَسْتُمُّ الْجَدِيدَ الَّذِي يَنْجَدُّ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ."
- ٢٥- (كولوسي: ٣: ١٣): "مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لِكَمَا كَانَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمْ الْمَسِيحُ هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا."
- ٢٦- (كولوسي: ٣: ١٦): "لِللَّكُنْ فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بِيَعْنِي، وَأَنْتُمْ يَكُلُّ حِكْمَةً مُعَلِّمُونَ وَمُنْذِرُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا...."
- ٢٧- (١ تسالونيكي: ٤: ١٨): "لِذَلِكَ عَرُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْكَلَامِ."
- ٢٨- (١ تسالونيكي: ٥: ١١): "لِذَلِكَ عَرُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَابْنُوا أَحَدَكُمْ الْآخَرَ كَمَا تَفْعَلُونَ أَيْضًا"
- ٢٩- (عبرانيين: ٣: ١٣): "بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، مَا دَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ، لِكَيْ لَا يُقْسَى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعُرُورِ الْخَطِيئَةِ."
- ٣٠- (عبرانيين: ١٠: ٢٤-٢٥): "وَلْتَلَا حِطُّ بَعْضُنَا بَعْضًا لِلتَّحْرِيزِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٍ، بَلْ وَأَعْظِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَيَبَالِغِينَ كَثْرًا عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَغْرُبُ."
- ٣١- (يعقوب: ٤: ١١): "لَا يَدُّمُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْإِخْوَةِ. الَّذِي يَدُّمُ أَخَاهُ وَيَدِينُ أَخَاهُ يَدُّمُ النَّامُوسَ وَيَدِينُ النَّامُوسَ. وَإِنْ كُنْتَ تُدِينُ النَّامُوسَ، فَلَسْتَ عَامِلًا بِالنَّامُوسِ، بَلْ دَيَانًا لَهُ."
- ٣٢- (يعقوب: ٥: ٩): "لَا يَبْنُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ لِنَلَا تَدَانُوا. هُوَذَا الدِّيَانُ وَقِفْ قُدَّامَ الْبَابِ."
- ٣٣- (يعقوب: ٥: ١٦): "إِعْتَرَفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ بِالرَّلاَّتِ، وَصَلُّوا وَابْعَضُكُمْ لِأَجْلِ بَعْضِ، لِكَيْ تُشْفُوا. طَلِبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا."
- ٣٤- (١ بطرس: ١: ٢٢): "طَهَّرُوا أَنْفُسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الْآخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرَّيِّهِ، فَأَجْبُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ."
- ٣٥- (١ بطرس: ٣: ١٧): "كُونُوا جَمِيعًا مُتَّجِدِي الرَّأْيِ بِحَسَبِ وَاحِدٍ، ذَوِي مَحَبَّةٍ آخَوِيَّةٍ، مُشْفِقِينَ، لَطْفَاءً."

- ٣٦- (١ بطرس ٤: ٨-٩): "ولكن قبل كل شيء، لتكن محبتكم لبعضكم لبعض شديدة، لأن المحبة تسنر كثرة من الخطايا. كونوا مضيئين بعضكم بعضاً بلا دممة".
- ٣٧- (١ بطرس ٤: ١٠): "ليكن كل واحد يحسب ما أخذ موهبةً، يخدم بها بعضكم بعضاً، كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة".
- ٣٨- (١ بطرس ٥: ٥): "وكونوا جميعاً خاضعين بعضكم لبعض وتسربلوا بالتواضع، لأن: «الله يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة»".
- ٣٩- (١ يوحنا ١: ٧): "ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية".
- ٤٠- (١ يوحنا ٣: ١): "لأن هذا هو الخبز الذي سمعتموه من البدء: أن يحب بعضنا بعضاً".
- ٤١- (١ يوحنا ٣: ٣٣): "وهذه هي وصيته: أن تؤمن باسم ابنه يسوع المسيح، وتُحب بعضنا بعضاً كما أعطانا وصية".

ملحق #٤

التفرغ للخدمة والموارد المالية في العهد الجديد

في بعض الدوائر المسيحية أصبح "التفرغ للخدمة" كالوثن الذي يتم السعي نحوه مهما كانت التكلفة. والتوجه الفكري الذي يقبع وراء هذا السعي مُخربٌ للغاية بالنسبة لجسد المسيح. إذ يُرفع الخدام المتفرغين إلى مرتبة خاصة من القدسية فوق باقي أعضاء جسد المسيح.

وقد أدخل هذا الوثن إلى حياتنا ثنائية خاطئة، أن العمل بالخدمة المسيحية هو شيء "روحاني" أو "مقدس" بينما أي عمل آخر هو عمل "علماني" و"دنوي". تلك المفارقة الثنائية هي من سمات الدين والتدين، ولا علاقة لمفاهيم العهد الجديد بها.

خاطب بولس أهل كولويسي الوثن كانوا عبيدًا، قائلاً: "أَيُّهَا الْعَبِيدُ، أَطِيعُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَا يَخْدَمَةُ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي الدَّاسَ، بَلْ بِدِسَاطَةِ الْقَلْبِ، خَائِفِينَ الرَّبِّ. وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ، فاعملوا مِنَ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ مِنَ الرَّبِّ سَنَأْخُذُونَ جَزَاءَ الْمِيرَاثِ، لِأَنَّكُمْ تَخْدُمُونَ الرَّبَّ الْمَسِيحَ." (كولويسي 3: 22-24)

هذه قضية محورية في العهد الجديد، كوننا جميعًا مملكة كهنة، وأنا "واحد في المسيح"، كما يقول بولس في غلاطية 3: 26-28 "لَأَنَّكُمْ لَجُمَيْعًا اللهُ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لِأَنَّ كُلَّكُمْ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَيْسْتُمْ الْمَسِيحَ: لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلَا لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لِأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ."

لم تعد الذبائح تتمثل في الخراف والكباش. نحن الذبيحة الحية (رومية 12: 1-2) ومن ثم فكل ما تتضمنه حياتي اليومية هو تقدمتي اليومية للرب. لا توجد تفرقة هنا بين مقدس ودنس أو روحاني وعلماني. المسيح افتدى كل الحياة! كل ما نفعل هو للرب.

كثير من الناس ينضمون للخدمة من أجل المال، أو الشهرة، أو المكانة الاجتماعية. لكن الخدمة ليست هويتنا. يسوع لا يقبل ذبيحة مثل تلك الخدمة. الخدمة التي نقوم بها للأسباب الخاطئة ليست تقدمة مقبولة أمام الرب. ليست أعمالنا هي التي تحدد ما يقبله الله كذبيحة حية، بل القلب الذي به نقوم بهذه الأعمال ومن نقدمها إليه. وتكون المجازاة حسب الإخلاص للدعوة. خدمة الأصاغر هي خدمة يسوع. ملكوت السموات هو المملكة المقلوبة رأسًا على عقب، حيث يصبح الأولون آخرين والآخرين أولين. لهذا فإن الشخص الغير معروف الذي يخدم الأصاغر قد ينال مكافأة أكبر من تلك التي للمتكلم اللبق الذي يعظ بالمؤتمرات ويؤلف الكتب المؤثرة.

كل عمل شرعي هو خدمة! من خدمته أهم، الواعظ أم الطباخ؟ خادم المنبر أم عامل النظافة؟ المتكلم في المؤتمرات أم سائق السيارة الأجرة؟ بدون الطباخ والعامل والسائق لن يكون بالإمكان إقامة الندوات والمؤتمرات. نحن جسد المسيح. نحن مملكة الكهنة. لن ينمو ملكوت الله بغير خدمتنا بعضنا لبعض وخدمتنا ليسوع.

يريد يسوع أن تتجسد حياته في كل مجالات السلوك البشري، ليرى الجميع كيف صار الكلمة جسدًا!

أ- مع ذلك، يذكر العهد الجديد أولئك الذين يعيشون من الإنجيل وأن هذا "حق" لهم، وهذا الحق قد أوصى به الرب:

- 1- لوقا 8: 1-3، يخبرنا أن يسوع وتلاميذه كانوا يرتحلون دون أن يضطروا لإعالة أنفسهم لأن مجموعة من النسوة لمقتدرات اللاتي شفاهن كُنَّ يخدمنه بأموالهن.
- 2- أعمال الرسل 6: 1-7، تخبرنا عن مجموعة من الرسل والشمامسة الذين يخدمون الكنيسة وتقوم الكنيسة بإعالتهم مادياً.
- 3- كورنثوس الأولى 9: 7-14، نتحدث عن حق الذين يزرعون الروحيات في أن يحصدوا الجسديات، وتخلّص إلى أن الذين ينادون بالإنجيل، من الإنجيل يعيشون. هذا ما فعله يسوع وما أوصى به كأمر طبيعي لمن يرتحل لنشر أخبار الملكوت السارة، مثلما فعل يسوع وبولس وغيرهم.
- 4- كورنثوس الثانية 11: 9 تحمل شهادة بولس عن تسديد أخوة مكدونية لاحتياجه. لقد مارس بولس حقه في أن يعيش من الإنجيل.
- 5- فيلبي 4: 10-15 يمتدح بولس أهل فيلبي من أجل إخلاصهم له ويثني على كونهم، وحدهم من دون باقي الكنائس، قد شاركوه في حساب العطاء والأخذ.
- 6- تيموثاوس الأولى 5: 17-20 نتحدث عن تقديم "كرامة مضاعفة" للشيوخ المدبرين حسناً. قد يقول البعض أن هذه الفقرة تشير إلى صرف مرتب للقس المحليّ. دعنا نرجع إلى الأصحاح العاشر من لوقا مرة أخرى. لماذا يمكن لمجموعة مجتمعة في أحد البيوت أن تحتاج أو ترغب في تخصيص مرتب للراعي/الأسقف/الشيخ/القس الخاص بها؟ ولماذا قد يرغب هو في أن يفعلوا ذلك؟ إذا كنا نرى الشيوخ بصفتهم قادة لكنائس منزلية أبلوا بلاءً حسناً مع أسرهم وعائلاتهم فتم فرزهم للخدمة على نطاق أوسع من بيوتهم، ساعتها يكون لكلامنا معنى. لأنهم حينئذ يسافرون لتقديم النصيح والمشورة والتعليم والمساعدة في زرع كنائس منزلية جديدة. وكخادم مرتحلين لن يتمكنوا من العمل بوظائفهم وتجارتهم كالسابق وسيحتاجون لممارسة حقهم في العيش من الإنجيل

على الرغم من هذا، فإن أحد أهم الصفات التي تميز حركات الكنائس المنزلية سريعة النمو، هي وجود الدعم الذاتي لدى القادة المحليين وأيضاً، على الأقل جزئياً، القادة المرتحلين. القائد يكون ذاتي الدعم؛ معتمداً على نفسه مادياً. إذا كان يُنظر إليك كمن يتلقى أجرًا ليقول ما يقوله، ستفقد كلماتك سلطتها الأدبية. أما إذا كنت تتكلم على نفقتك الخاصة فستحمل كلماتك المزيد من المصداقية. ينبغي أن تؤمن بما تقوله! أضف إلى ذلك أنك حين تجني رزقك بنفسك فإنك تتخرط في أنشطة العالم العادي، وهذا العالم هو المكان الذي يوجد به الحصاد. الكثير والكثير من القادة منعزلون في حارتهم المسيحية الضيقة، يحدثون أنفسهم ويقودون الآخرين بواسطة الفرمانات والمراسيم. يتصرفون وكأن النفوة بالشيء، والقيام به، هما نفس الأمر. غير معتادين على تحمل مسؤولية الحياة العادية ولا على أن يتم تقييمهم من ثمارهم. ويُعد بولس مثالا على القادة الخُدّام الذين يعتمدون على أنفسهم مادياً.

ب- نموذج بولس، والتعليم المتعلق بالسبب وراء عزوفه في أغلب الأحيان عن ممارسة حقه بأن يعيش من الإنجيل.

1- أعمال الرسل 20: 26-35 تعد تسجيلًا للخطاب الأخير الذي وجهه بولس لشيوخ أفسس، وتحمل تعبيرات صريحة بشأن تعاليم بولس والمثال الذي قدمه. يقول بولس أنه لم يشته لباس أو فضة وذهب أحد، وأنه عمل بليسيهه حاجاته وحاجات الذين معه، ثم يقول "في كل شيء أريئكم أنه هكذا ينبغي أنكم تتعبون وتعضدون الضعفاء، مُتذكِّرينَ كلماتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَذْهُ قَالَ: مَعْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الْأَخْذِ"

يقدم بولس حياته كنموذج ومثال يحتذي به هؤلاء الذين سيقودون الآخرين لتبعية يسوع. وقد كان ينتظر من أساقفة أفسس أن يفعلوا مثله؛ أن يكسبوا قوتهم بأنفسهم. إنه مثال ينبغي أن يحتذي به كل الشيوخ في جميع الأزمنة، وهو أيضًا نص كتابي عن الموارد المالية لا تسمعه كثيرًا في المؤتمرات!

2- كورنثوس الأولى 4: 12 تنص ببساطة على أن نتعبُ عامِلينَ يَأْيدِينَا. يقدم بولس هذا كدليل على حبه واهتمامه لأهل كورنثوس وكبرهان على أبوته لهم.

3- كورنثوس الأولى 4: 12 في هذا الأصحاح يتحدث بولس عن الرسل الذين مارسوا حقهم في الزواج والعيش من الإنجيل. ثم يعود ويقول أنه وبرنابا لم يستعلا هذا السلطان بل استمرا في العمل "لئلا يجعلنا عائقًا لإنجيل المسيح." كيف يمكن أن يكون قبول المال من أهل كورنثوس عائقًا لإنجيل المسيح؟ ببساطة، لأنهم من الممكن أن يتهموه بأنه جاء إليهم أملاً فقط في الحصول على نقودهم.

4- كورنثوس الثانية 11: 7-9 تسجل لنا جزءًا من سلطة بولس الأدبية نحو أهل كورنثوس، كونه بشرهم مجانًا ولم يتقل على أحد.

5- كورنثوس الثانية 12: 13 تخبرنا مرة ثانية كيف أن بولس لم يتقل على أحد من كورنثوس.

6- كورنثوس الثانية 12: 14 يكرر نفس الأمر بقوله أنه لم يتقل عليهم، لَأَنَّهُ لَا يَبْغِي أَنَّ الْأَوْلَادَ يَتَّخِرُونَ لِوَالِدَيْنِ، بَلِ الْوَالُونَ لِأَوْلَادِهِ. أولئك الذين يدعون أنفسهم "آباء رسولين" ثم يطلبون من أولادهم الروحيين أن يقدموا لهم العشور، هم ببساطة لم يقرأوا كتابهم المقدس أبدًا، ويكشفون بذلك الجشع الذي يحركهم. هؤلاء ليسوا رسلًا كبولس، بل حسب كلامه هم رسل كذبة.

7- كورنثوس الثانية 12: 17-18 تخبرنا أن من كانوا يعملون مع بولس قد حذوا حذوه فيما يتعلق بالموارد المالية. في بعض الأحيان لا يتكلم قائد الخدمة مباشرة عن التمويل النقدي، ويترك أحد أعضاء فريقه يقوم بذلك نيابةً عنه. يريد بذلك أن يترقّع عن الحديث في مثل تلك الأمور المادية. لم يفعل بولس ذلك، وكان كل أعضاء فريقه يشاركونه التزاماته والقيم التي كان يؤمن بها.

8- تسالونيكي الثانية 3: 6-12 هي وصية بسيطة جدًا. بولس يوصيهم أن يتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب، أي لا يعمل! ورغم أنه يقرّ بحقه في أن يعيش من الإنجيل ويأكل خبزه مجانًا، إلا أنه يضرب بنفسه مثلًا في العمل بتعب وكهيطلب منهم أيضًا أن يتمثلوا به. الخلاصة؟ "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغَلَ فَلَا يَأْكُلْ أَيْضًا."

ج- الرسل والأنبياء الكذبة يتم كشفهم عن طريق محبتهم للمال...

لقد تحدث بولس بأسلوب شديد للغاية عن كشف زيف الرسل والأنبياء الكذبة من خلال موقفهم من المال. وفي هذا السياق، ليس من الغريب أن نجد مُصِرًا على أن يعمل ليكون مثالًا يُحتذى به للقادة الآخرين. لقد ندد يسوع بتصرفات قادة اليهود من أجل محبتهم للمال وسعيهم وراء المكانة الاجتماعية وإعجاب الناس. لقد أدانهم من أجل أنهم قد وضعوا أحمالًا فوق عاتق الشعب دون أن يساعدهم حتى على حملها (متى ٢٣: ٤) وجزء كبير من ذلك الحمل كان يتمثل في الاستغلال المالي. لقد وضعت الأنظمة الكهنوتية حول العالم عبئًا ماليًا ضخمًا على أولئك الذين يتوجهون إليهم. الدين دائمًا ما يظلم الناس وخاصة الفقراء، من أجل المال. لم يرغب بولس في أي من تلك الأمور، مثله مثل يسوع، وقد كان واضحًا للغاية في إدانته لأولئك الذين كانوا يخدمون في مقابل المال. لقد قرر بولس أن يعتزل مثل هؤلاء، الذين كان دافعهم للخدمة هو الجشع المادي، بعمله ليلاً ونهارًا كي يعول نفسه. لقد فضل أن يعاني بدلًا من أن يعطي أحدهم الفرصة لاتهامه بأنه يتاجر بكلمة الله. وإذا كان هذا أمرًا واقعًا في أيام بولس، فكم بالأحرى يكون في زماننا، حيث يعتقد العالم بأسره أن كل قائد مسيحي يخدم فقط من أجل المال. في هذا الزمان يتم الترويج للكتب الروحية، وتُباع الحُلي الدينية، وتُقال الأكاذيب بشأن بركة المائة ضعف التي سيباركك بها الرب ما أن تتبرع بمالك، وكل هذا يتم بواسطة مجموعة من المحتالين الذين يرتدون ساعات رولكس وملابس مصممة لهم خصيصًا. غير أن هؤلاء الذين يحبون كلمة الله لا يتاجرون بها.

١- (٢ كورنثوس ١١: ١٣-٢٠) تتحدث مباشرة إلى الرسل الكذبة. فيتهم بولس أهل كورنثوس بمهادنتهم للسلوك المؤذي مثل: "إِن كَانَ أَحَدٌ يَأْكُلُكُمْ! إِن كَانَ أَحَدٌ يَأْخُذُكُمْ! إِن هُنَّ أَحَدٌ يَرْتَفِعُ! إِن كَانَ أَحَدٌ يَضْرِبُكُمْ عَلَى وُجُوهِكُمْ!" إن مثل هؤلاء الرسل الكذبة هم من وضعوا القديسين تحت سيطرتهم، وتلاعبوا بهم من أجل الحصول على أموالهم واستغلواهم في بناء ملكوتهم المصغر الخاص.

٢- يتحدث بولس في (١ تيموثاوس ٦: ٣-١٠) إلى تيموثاوس عن المعلمين الكذبة الذين "يَظُنُّونَ أَنَّ التَّوْبَى تَجَارَةٌ" وماذا كانت وصيته للقديسين عندما يلتقون بمثل هؤلاء المعلمين الكذبة؟ "تَجَنَّبْ مِثْلَ هَؤُلَاءِ." نحن إذًا بهذا المقياس نحتاج أن ننأى بأنفسنا عن أغلبية من يقدمون العظات عبر شاشات التلفاز، وعن جميع أولئك الذين يعطون عن الرخاء كدليل على الطاعة والإخلاص لله.

٣- تسجل لنا (تيطس ١: ١) تعليم بولس لتلميذه تيطس عن أنه سيكون هناك معلمون كذبة "الَّذِينَ يَجِبُ سَدُّ أَفْوَاهِهِمْ، هُمُ الَّذِينَ يُبَيِّنُونَ بَيُوتَنَا بِجَمَلَاتِهَا، مُعَلِّمِينَ مَا لَا يَجِبُ، مِنْ أَجْلِ الرِّبْحِ الْقَبِيحِ." نعم، إن واعظي التلفاز يستخدمون آيات الكتاب المقدس. نعم، إنهم يدعون أنفسهم مسيحيين. ونعم، يبدو للعيان أنهم ناجحون للغاية. لكننا نرى أن بولس قد صرح بأن أفواههم يجب أن تُسد. لماذا؟ لأن الغرض الرئيسي وراء كل ما يفعلونه هو جمع الأموال.

٤- (١ بطرس ٥: ٢-٣) هي دعوة للرعاة لخدموا شعب الله "بِالِاخْتِيَارِ... بِنَشَاطٍ لِرَبْحِ قَبِيحٍ.... لا كَمَنْ يَسُوذُ عَلَى نُصْبَةٍ، بَلْ صَائِرِينَ أَمْثِلَةً لِلرَّعِيَّةِ." ومرة أخرى، نجد في تلك الآيات أن الجشع والتحكم في البشر يجعل من قيادتنا قيادة زائفة، ثم يأتي التصريح الصادم عن أن الله "يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" كيف يقاوم الله المستكبرين؟ الفعل المستخدم هنا لا يعني المقاومة السلبية، حيث يمكن أن يُقرأ، "يقاوم ضد المستكبرين". وأنا لا أرغب في أن أخوض قتالًا ضد الله!

٥- تُعد (٢بطرس ٢: ٣، ١٤) تعبيرًا واضحة عن أن الأنبياء الكذبة يتميزون بالطمع. كيف يحدث ذلك؟ أحد القادة لديه سيارة مميزة الطراز أو أثاث مكتبي له نمط معين، سنجد أن من يأتي بعده سيرغب أيضًا في أن يقتني مثل تلك الأشياء. أحد واعظي التلفاز لديه طائرة خاصة، سنجد أن باقي الوعاظ يرغبون في نفس الشيء. هذا الأمر لا يمت لـ "نشر الإنجيل" بصلة. تلك أذنوبة. هذا أحد أشكال الطمع. وكلما تعرض القادة المسيحيون المشاهير، واحدًا تلو الآخر، لفضائح مالية وجنسية، اتضح كيف يقاتل الله ضد المستكبرين. إنه يسمح لمثلث الشر بأن يقوم بعمله. أولاً، تعظم المعيشة والتفاخر بالمكانة الاجتماعية والإنجاز والمواهب. ثم ثانيًا إشباع شهوة العيون. يمكننا أن نحصل على أي شيء نريد. وتتم إساءة استخدام أموال شعب الله في تمويل قادة حياتهم مليئة بالرفاهية. وأخيرًا تأتي شهوة الجسد والخطايا الجنسية (أمثال ٢٢: ١٤). إذا كان بإمكاننا أن نحصل على أي شيء أرغب به، فلماذا لا نحصل أيضًا على أي رجل أو امرأة أرغب به أو بها؟

عندما كان بولس يوصي تيموثاوس بشأن علاقته مع الشيوخ في (١ تيموثاوس ٥: ١٧-٢١)، حاول أن يجد توازنًا بين تلقي الاتهامات وبين توبيخ أولئك الذين يعيشون في الخطية. لم تكن الاتهامات تُقبل بناءً على شهادة شخص واحد. مع ذلك، كان على تيموثاوس أن يوبخ هؤلاء القادة الذين وجدوا مخطئين "أمم الجميع"، لِكَيْ يَكُونَ عِنْدَ الْبَاقِينَ خَوْفًا.

ونحن نشهد الآن المزيد والمزيد من الخطايا الخطيرة التي يُنْهَم فيها مشاهير القادة المسيحيين ولكن يتم التستر عليهم من قِبَل المحيطين بهم في الخدمة. وإذا سعى أحدهم لمواجهة هؤلاء أو تهذيبهم بشأن الطمع ومحبة المال المسيطرة عليهم، يُقال عنهم أن بهم روح الفقر الديني وأنهم يُطلقون الأحكام على الآخرين. وإذا سعى أحدهم لمواجهة الخطية الجنسية يتم إخباره بأنه لا يعرف الرحمة أو الصفح، وأخيرًا سيخبرونه أن العالم يحتاج لهذا الخادم الذي سقط من أجل دوره الذي يقوم به في استرداد الكنيسة. ليس هناك توبيخ وليس هناك خوف. هناك فقط تبرير للخطية وغريزة تدفع لاستمرار هذا الاستعراض الذي يقومون به. تمتاز معظم وسائل الإعلام "المسيحية" بالبراعة في خلق الفرص كي يتحدث البشر "معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح"، لكنها ضعيفة جدًا في ربح التلاميذ. وسائل الإعلام لديها براعة في ربح الظهير الجماهيري والقاعدة المالية لها لكنها عاجزة عن ربح أتباع مكرسين ليسوع. لقد عهد يسوع بالخدمة التي أسسها طوال حياته لاثني عشر تلميذًا ووثق بهم أنهم سيشاركون حياته في علاقاتهم القريبة مع الآخرين. لم يكن لديه خطة أخرى. كانت الخطة الوحيدة لديه هي تضاعف العلاقات تحت قيادة الروح القدس. نحن أتباع يسوع. لا يجب أن ننخدع بسيطرة وسائل الإعلام من قِبَل رموزها المشهورة من القادة المسيحيين. لقد كان يسوع رائدًا وقدم لنا منهجه الخاص بإرساء مقاصده التي كانت تتمحور حول استثمار حياته، التي ضحى بها، في عدد قليل من التلاميذ، وتمكينهم من أن يفعلوا الأمر نفسه. لا يمكننا إجراء التعديلات على منهجه.

د- الإهتمام بالفقراء في العهد الجديد.

لقد أشرنا إلى حقيقة أن يسوع قد توحد توحيدًا كاملاً مع الفقراء وأنه قد أعلن أن أي شيء يُفعل مع الأصغر، يُفعل معه. ويجب أن تكون (متى ٢٥) و(إشعياء ٥٨) هي المقاطع التأسيسية لكل ما نفكر به وما نعيش وفقًا له، كما اعتبرها مؤمنو القرن الأول كذلك. وأحد الأسباب التي أدت إلى النمو السريع للكنيسة

الأولى كان هو أنهم كانوا يلتقطون الأطفال الرضع المتروكين من قبل ذويهم في القنوات والمجاري المائية بالإمبراطورية الرومانية، ويقومون بتربيتهم كأطفالهم.

- (يعقوب ١: ٢٧): "الذبيانة الظاهرة التقيية عند الله الأب هي هذه: ائققاد اليتامى والأرامل في ضيقيتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم."

- (أعمال ٦: ١): "وفي نك الأيام... حدثت تدمر من اليونانيين على العبرانيين أن أراملهم كن يفعل عنهم في الخدمة اليومية."

- (١ تيموثاوس ٥: ٣): "أكرم الأرامل اللواتي هنن بالحقيقة أرامل."

لقد تولى الشماسة مسؤولية إدارة المهام الخيرية التي يجب على جسد المسيح أن يقوم بها وقد كان عليهم أن يتعاملوا مع تحديات كيفية تقديم المساعدة، ولمن يجب أن تقدم وكيفية فرز تلك الطلبات المقدمة من أجل الحصول على المساعدة بينما لا يستحق أصحابها المساعدة في الواقع.

هذا الإهتمام بالفقراء كان التوصية المالية الوحيدة التي خرجت من المجمع الذي كان في أورشليم (أعمال ١٥) وما تم تسجيله هناك لا يذكر أي شيء عن الأمور المالية. لكننا نفهم أكثر عن تلك الأمور من رسالة غلاطية.

- (غلاطية ٢: ١٠): "...غير أن نتكر الفقراء. وهذا عينه كئت اعنتيت أن أعله"

ومع ذلك، فما تم تجميعه من الكنائس لمساعدة فقراء القديسين في وقت المجاعة هو ما أعطانا الصورة الأوضح عن طريقة تفكير بولس في الأمور المتعلقة بجمع وتقديم الأموال من أجل مساعدة الفقراء.

- (١ كورنثوس ١٦: ١-٣): "وأما من جهة الجمع لأجل القديسين، فكما أوصيت كنائس الهطية هكذا أعلوا أئتتم أيضا. هلي أول أسبوع، ليضع كل واحد منكم عدده، خازنا ما تيسر، حتى إذا حدث لا يكون جمع حينئذ."

قبل كل شيء، أوصاهم بولس بالجمع لكن لم يكن هناك مبلغا محددًا أو حصة معينة مطلوبة. بل كان على كل واحد أن يقدم بقدر بركتته.

نلاحظ، ثانيًا، أن بولس أرادهم أن يتمموا عملية الجمع قبل مجيئه إليهم. العديد من وعاظ إنجيل الرخاء، في أيامنا هذه، يرغبون أن يكونوا على رأس عملية جمع التقدّمات الخاصة بخدمتهم. لماذا؟ لأنهم يتقنون في قدرتهم على التلاعب بالناس كي يتبرعوا بالمال. لم يرغب بولس في التلاعب بالناس أو إكراههم على شيء. بل كان على أعضاء الكنيسة أن يتخذوا قرارهم فيما يجب عليهم التبرع به، بتسكين قلوبهم أمام الله. لقد تجسدت ثقته في الروح القدس وهو يتحدث لشعب الله.

- (٢ كورنثوس ٨: ١-٨): "...نعمة الله المعطاة في كنائس مكثونية، أنه في احتبار ضيقة شديدة فاض وفور فرجهم وفور هم العميق لغنى سخائهم. لأنهم أعطوا حسب الطاقة، أنا أشهد، وفوق الطاقة، من تلقاء أنفسهم. مئتمسين مئًا، بطلبية كثيرة، أن نعلب النعمة وشركة الخدمة التي للقديسين.... كذلك يتمم لكم هذه النعمة أيضا."

العطية كانت من أجل القديسين، وكان الدخول في "شركة الخدمة التي للقديسين" مصحوبًا بالفرح والتضحية. من الصعب أن تشعر بالابتهاج وأنت تدفع الأموال من أجل طوب الأبنية الفخمة، وفواتير الكهرباء والوقود ورواتب السكرتيرات وعمال النظافة، كل هذا للإبقاء على المبنى قائمًا. لكنه أمر مختلف أن تميز حياة الشركة المضحية التي بين الأخوة والأخوات.

- (٢ كورنثوس ٨: ١٣-١٥): "فإنه ليس لكي يكون للأخرين راحة ولاكم ضيق، بل يحسب المساواة. لكي تكون في هذا الوقت فضالتكم لإعوانهم، كي تصير فضالتهم لإعوانكم، حتى تحصل المساواة. كما هو مكتوب: «الذي جمع كثيرًا لم يفضل، والذي جمع قليلًا لم ينقص».

لقد كانت شركة الخدمة التي للقديسين من أجل المساواة وتلبية الاحتياجات حتى يتسنى تسديد احتياجاتك طوال الطريق. كيف يمكننا أن نعرف الأخوة والأخوات المحتاجين؟ كيف نتدبر أمر مسؤولياتنا تجاههم؟ كيف يمكن لمبدأ المساواة أن يتخلل تفكيرنا ونقتنع به؟ كيف يمكن تطبيق مبدأ "انتظروا بعضكم بعضًا" هنا؟

بعض مشاهير الوعاظ يتباهون بغناهم ورفاهيتهم ويعتبرون ذلك علامة على إحسانات الله ودليلاً على صحة الرسالة التي يقدمونها، ويتلاعبون بالمستمعين إليهم حتى يصدقوا عليهم المزيد من المال، باعتبارهم الأرض الخصبة التي يزرعون فيها أموالهم فيحصلون المزيد من النقود. إنهم يتباهون بالجور وعدم المساواة ويستهنئون بالفقراء ويصفونهم بأنهم أراضي جرداء غير مناسبة للبذور النقدية. هذه كذبة شنعاء. وقد أعلن الله أنه اختار فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان، وورثة الملاكوت الذي وعد به الذين يحبونه" (يعقوب ٢: ٥).

وقد أعلنت الأمثال أيضًا أن "من يرحم الفقير يعرض الرب" (أمثال ١٩: ١٧).
(٢ كورنثوس ٩: ١): "فإنه من جهة الخدمة للقديسين...."

كانت العطايا والتقدمات تُقدّم للقديسين، لا للقادة. حتى في سفر أعمال الرسل حيث كانت توضع "عند أرجل الرسل"، كان هدفها الرئيسي هو رعاية القديسين، بالأخص الأرامل والأيتام. لم تكن العطايا تُستخدَم لرفاهية القادة إطلاقًا.

كورنثوس الثانية 9: 5... هكذا كأَنَّها بركة، لا كأَنَّها بخل" العطاء في العهد الجديد هو البقاء في محيط البركة والكرم، لا أن يصبح الأمر إلزامًا قانونيًا أو جبريًا. العهد الجديد هو عهد من الله بقلب جديد، كقلب الله، قلب مليء بالسخاء. هل نتق في سخاء الرب الذي يُظهره من خلال شعبه أم لا؟

كورنثوس الثانية 9: 6 "من يزرع بالبركات في البركات أيضًا يحصد" إن الوعد بحصد ما يزرع قد جاء بشأن تقديم العطاء للفقراء، وهذا العطاء سيكون حصاده "كُلَّ نِعْمَةٍ" وازداد "في كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (9: 8) وسوف "يُقَدِّمُ وَيُكَثِّرُ يَدَارِكُكُمْ وَيُمِي غَلَاتِ يَرُدُّكُمْ". (9: 10)، و "يُشْبِئُ بِنَا شُكْرًا لِلَّهِ" (9: 11) ويجعلهم "يُمَجِّدُونَ اللَّهَ عَلَى طَاعَةِ اعْتِرَافِكُمْ لِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، وَسَخَاءِ التَّوَنُّجِ لِهِمْ وَلِلْجَمِيعِ" (9: 13) ويزيدون دعاءهم لكم (9: 14).
تقديم الشكر والمجد والدعاء لله، كلها تتضاعف كالبذور التي يتم زرعها وحصدها.

يعقوب 2: 5 "سَمِعُوا يَا إِخْوَتِي الْأَجْبَاءَ: أَمَا اخْتَارَ اللَّهُ فُقَرَاءَ هَذَا الْعَالَمِ أَغْنِيَاءَ فِي الْإِيمَانِ، وَوَرَثَةَ الْمَلَكَوْتِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ؟"

يوبخ يعقوب الكنيسة هنا لأجل تفضيلهم الأغنياء، ويواجههم بما يفعلونه أنهم يُظهرون "المحابة" ويصيرون "قضاة أفكار شريرة". القاعدة الأساسية هي أن تحب قريبك كنفسك. ونحن ما زلنا نسأل "من هو قريبي؟"

هذا السؤال في غاية الأهمية خاصة بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة وأصبحنا نشهد ونعرف معاناة الكثيرين جدًا في كل أرجاء المعمورة. وهو أيضًا سؤال مهم في كل قرية قد تسكن فيها وتعرف الشخص الذي يسكن قبالتك أو الأشخاص الذين هم على قارعة الطريق. فما الذي خلص إليه يعقوب؟

يعقوب 2: 15-17 "إِنْ كُنَّ أَحْ وَأُحْتُ عُرْيَانَيْنِ وَمُعْتَازَيْنِ لِلْيَوْمِ، فَقَالَ لَهُمَا أَحَدُكُمَا: «أَمْضِيَا بِيَسْلَامٍ، اسْتَدْفِينَا وَاشْبَعَا» وَلَكِنْ لَمْ تُعْطُوا وَهُمَا حَاجَاتِ الْجَسَدِ، فَمَا الْمَنْفَعَةُ تَهْكَدَا الْإِيمَانَ أَيْضًا، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْمَالٌ، مَيِّتٌ فِي ذَاتِهِ." العهد الجديد لا يعرف شيئًا اسمه التبرعات لتشييد المباني أو تقديم العطايا لتوفير حياة مرفهة. كل التركيز هو على البشر، ويبلغ ذلك ذروته بقول السيد أن ما "فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم." يسوع، أعطنا أن نخدمك بقلوب نقية وأيدي طاهرة.

-ستيف ومارلين هيل
stevehill@harvest-now.com
www.harvest-now.org

بعض الكتب المفضلة لدي

- Houses That Change the World, Wolfgang Simson (Waynesboro, GA: Om Publishing), 2001, 303 pages. This is the book that started it all for many! Complete, readable and powerfully convincing. Thanks so much Wolf!
- Organic Church, Neil Cole, (San Francisco, CA, Jossy-Bass), 2005, www.cmresources.org . Does God only move far far away or long long ago? The account of a movement which started in California and is going around the world.
- Simply Church, Tony and Felicity Dale (Austin, TX: Karis Publishing), 2002, 120 pages. A very good introduction to all things house church. Great website at www.house2house.org.

- Pagan Christianity: The Roots of our Church Practices, Frank Viola and George Barna (Tyndale House). The most heavily footnoted book many will ever see as the pagan roots of modern church practices are documented and exposed.
- Church Planting Movements, David Garrison (Richmond, VA: International Mission Board of the Southern Baptist Convention), 1999. A free 30 page booklet is available for download at www.churchplantingmovements.com The full book and many other resources are also available to order.
- Missionary Methods: St Paul's or Ours, Roland Allen (Grand Rapids; Erdmans), 1954. An Anglican Missionary to China, Allan said that his books would not be read until at least twenty years after his death. He still speaks! A classic.
- The Global House Church Movement, Rad Zdero (Pasadena: William Carey Library), 2004. A great introduction to the house church movement from a good friend.
- For training, example, challenge from David Watson, a foremost disciple making pioneer, go to www.cpmtr.org Practical and powerful!